رحلات

في بلاد العرب

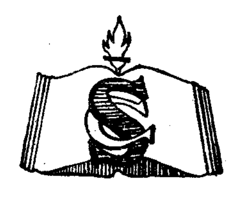
في

شمال الحجاز والأردن

تاليف المقدم

عاتق بن غيث البلادي

الطبعة الأولى



منشورات

دار المجمع العلمي - جدة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

والحمد لله حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين ، وعلى آله الطاهرين ، وصحبه الغر الميامين ، ومن سار على نهجهم المستقيم وحذا حذوهم ايماناً بالعمل الصالح الخالص لوجه رب العالمين ، ورضي الله عن العاملين لرفعة شأن أمتهم بما يجيدون وما يحذقون « ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » .

أما بعد : فمن سنة ١٣٧٦ ه قد أتيح لي التردد والجوس خلال شمال الحجاز والأردن ، حتى لم أكد أترك مدينة أو قرية الا زرتها ، فمن المدينة المنورة إلى خيبر وتيماء وتبوك وحقل ومدين ، في شمال الحجاز ، إلى عمان ومعان واربد والمفرق والسلط والبتراء ، وغيرها من مدن وقرى شرقي الأردن ، إلى القدس والخليل ونابلس وجنين وطول كرم وقلقيلية،وحتى القرى الصغيرة كعنبتا وعرّابة وأذنة وبتّير، وغيرها كثير من مدن وقرى فلسطين السليبة .

فتهيأت لي معرفة بهذه الديار وسكانها أعتقد أنها توازي معرفة أهل البحث والتنقيب من أهلها الأصليين .

ولما انني كنت من الحريصين على دراسة واحياء تراث هذه الامة الرائدة الشاهدة ، هذا التراث الذي طال ركوده في زوايا النسيان ، وعلاه غبار الاهمال ، وحاول الحط من شأنه العاجزون عن خدمتــه والمستغربون ، أقول : لما كنت حريصاً على ذلك فما كنت أدع مثل هذه المناسبات تمر على ألاّ ولي تسجيلات وتدوينات حفظت لي الكثير مما أضفته إلى هذه الرحلات ، فكان رفداً طيباً ومرجعاً نافعاً .

وفي سنة ١٣٩٤ هـ صدر الأمر الكريم بترقيتي من رتبة رائد إلى رتبة مقدم ، ثم لحق ذلك نقلي من منطقة مكة المكرمة إلى منطقة تبوك، فوجدت ان مدة المناسبة تستحق أن أفيد منها من لم يتح لهم ماأتيح لإ من خبرة في هذه الديار ذات الحضارات العريقة والرسالات السماويه المذكورة في القرآن الكريم • فقمت برحلة برية من المدينة المنورة إلى تبوك ، ثم قمت باخرى إلى مدين ، ثالثة إلى الأردن •

وفي هذه الرحلات الثلاث ـ رحلات في بلاد العرب ـ حاولت أن أقدم الجزل من المعلومات التي يتطلع إليها كل معني بدراسة تأريخ أمته وجغرافية بلاده ، ومعرفة امكانيات هذه الأمة الطبيعية والبشرية ، فسجلت المسافات ، ووصفت الأعلام البارزة ، والمدن والقرى الظاهرة•

وأعطيت عناية خاصة في تقديم القبائل القاطنة هنا في بحوث مركزة عميقة ، بعد زيارة ديارها والاستملاء من العارفين فيها •

وهذه المنطقة ـ شمال الحجاز والأردن ـ رغم كونها بلد حضارات عريقة خلدت آثاراً ذات قيمة كبيرة لم يعطها الكتاب العربي العناية اللازمة ، وفي العصور المتأخرة اعتنى الغربيون بهذه المنطقة فقاموا برحلات ودراسات وصدرت لهم عدة كتب[1]، فترجمت كتبهم ، فعادت إلينا مشوهة محرفة من جراء أعمال مترجمين يجهلون حتى أسماء القبائل العريقة والمعالم الشهيرة[2] •

والعربي بطبعه يتشوق إلى ذكر الديار ومعالم الأطلال ، ولهم في ذلك أشعار ومناجاة ، وحنين ومناشدة ، ظل هذا طبع سلفهم فدرج عليه خلفهم فهو أبداً عادتهم وديدنهم ، ولما صدرت هذه الترجمات تلقفوها وقرأوها ، واعتبروا خطأها صواباً وما رواه أصحابها من

---

(١) منها : رحلة موزل في شمال نجد ، ورحلة فلبي في أرض مدين ، وتاريخ شرقي الاردن لبيك ، وأعمدة الحكمة السبعة للورنس ، وغيرها •

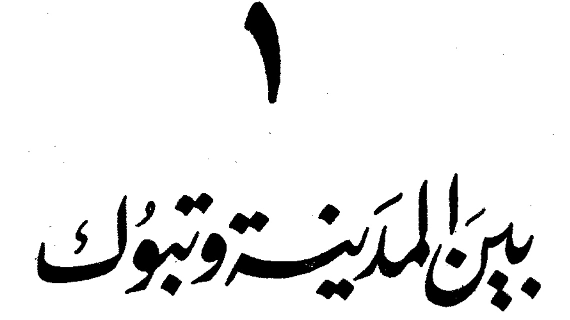
(٢) انظر : مقدمة كتابي (الرحلة النجدية) •

الحقائق المسلم بها ؛ ثم اهتم بعض الاخوة العرب بالكتابة عن هذه المنطقة بعد قراءة كتب الغربيين ، فجاءت كتاباتهم تنقل كثيراً من تلك الترجمات كما وجدوها ، فرسخوها خطأ وتحريفاً فأخذ عن هذه الكتب العربية كمراجع دونها العرب عن بلادهم • وان كنت لا أدعي العصمة بل لا أدعي أنني ضربت صفحا عن هذه الكتب والمترجمات غير أنني هنا حاولت أن أدون ــ بالدرجة الأولى ــ مشاهداتي ومقابلاتي ، واذا رجعت إلى مالا بد من الرجوع إليه ــ كالكتب المؤلفة عن الأردن ــ فهذا عمل المضطر المجبر ، مع الحرص على طرح كل ما يثبت لدي خطله نتيجة معلوماتي الخاصة •

وختاماً فهذه مشاهدات شخص من أعرف الناس ببلاده ، وليست معولة على النقل أو محطوبة بليل ، جاءت نتيجة الرغبة في خدمة هذه الأمة الطيبة وهذه الأرض المقدسة •

أرجو أن أكون قد وفقت فيها إلى ما صبوت إليه ، فما أصبت فيه فأرجو من الله أن يجزيني عليه خير الجزاء ، وما أخطأت فيه أن يغفر لي، « وانما الأعمال بالنيات » والله أحمد على ما أعطى وأنعم حمد الشاكر المنيب المعترف بمنه وكرمه •

عمان في ٢٧ جمادي الثانية سنة ١٣٩٥ هـ
الموافق ٦ تموز سنة ١٩٧٥ م
عاتق بن غيث البلادي


١
بين المدينة وتبوك

الوصول الى المدينة والخروج منها

وصلنا إلى المدينة المنورة الليلة الأولى من شهر رجب سنة ١٣٩٤هـ الموافق عشرين من تموز « يوليه » سنة ١٩٧٤ م ، والثامن والعشرين من فصل السرطان ، وهو من أشد فصول السنة حراً في بلاد العرب • وفي الصباح الباكر خرجنا من المدينة ، وسار الطريق شمالاً شرقيـاً جاعلاً جبل أحد يساره ثم جبل وعيرة أيضاً ، فصعدنا صحاصيح وثنايا ليست مرتفعة ، وعلى « ٢٣ » كيلاً هبطنا وادي النقمي •

وادي النقمي

واد يمر شمال المدينة فيصب في « الخُلَيل » على مرأى من جبل أحد ، في أسفله مزرعة تسمى الزبير ، وهي الأرض التي تركها الزبير ابن العوام فبيعت في تركته ، وكانت جزءاً من الغابة •

والنقمي أول ديار بني رشيد من هتيم • وقد يتحاشى بعض أهل هذه الديار تسمية النقمي فيسمونه «النعمى» مبدلين القاف عيناً مهملة، وتيمناً بالنعمة • وكان اسمه « نقمى » بثلاث فتحات ، والقصر[1]•

---

(١) انظر عنه وعما يمر بعده من معالم حجازية كتابي « معجم معالم الحجاز » •

ممناة

سار الطريق قليلاً في وادي النقمي ثم جاءنا من اليسار واد هو وادي ممناة أحد روافده وادي النقمي ، يصب فيه من الشمال ، فأخذه الطريق قابلاً ، فسرنا فيه حتى بلغ الطريق أعلى نواشعه التي تسيل من جبال : الذبحي ، والشهباء ، والبيضاء ، على « ٥٢ » كيلاً من المدينة، فظهر على ثنايا هبطت بنا على وادي اللحن •

وادي اللحن

واد من كبار الأودية في هذه الناحية ، يأخذ أعلى مساقط مياهه من جبلي شمذ ، والشفية المشرفة على الصلصلة من الجنوب غير بعيد ، فيسمى وادي اللحن وفيه قريات صغار بهذا الاسم، وسكانه بنو رشيد، فاذا انحدر سمي «ألتمة» بفتح الهمزة ، وسكون اللام : وهذا القسم داخل في ديار ولد محمد من بني سالم من حرب،يصب في وادي الحمض « إضم » قرب المليليح على قرابة « ٧٠ » كيلاً شمال المدينة •

وقد مر بي لهذا الوادي ذكر في بعض الكتب القديمة •

سار الطريق في وادي اللحن باتجاه الشمال الشرقي فظهر أمامه جبل أحمر جميل ذو رأسين في أساس واحد بينهما ثنية عالية عسرة المسلك ، هذان جبلا أشمذين اللذان يقول فيهما رزاح بن ربيعة العذري أخي قصي لامه :

جمعنا من السر من أشمذين ، ومن كل حي جمعنا قبيلا

وكانتا بين جهينة وأشجع ، أما اليوم فهما لبني رشيد[1] .

وعند خروج الطريق من وادي اللحن صعد في ثنية سهلة تدعى الشفية ــ بالتصغير ــ جاعلا الأشمذين على يساره على مرأى منه . تبعد الشفية عشرة أكيال جنوب الصلصلة .

الصُّلصُلَة

وعلى « ١١٨ » كيلاً من المدينة وصلنا الصلصلة : قرية كانت صغيرة ثم أخذت في الانتعاش بعد تعبيد الطريق بين المدينة وتبوك .

تقع الصلصلة في أرض فياح حمراء تحيط بها الجبال والحرار ، فيها زراعة ضعيفة لبني رشيد تكثر فيها المقاهي حيث أصبحت محطة رئيسية على هذا الطريق ، وواديها يدعى « صَرَيع » يأخذ مياه الاشمذين وحرة الكورة ــ المشرفة على الصلصلة من الشمال الغربي ــ ثم يتجه شرقاً فيصب في وادي « الغَرَس » .

البحرة

البحرة كمؤنث البحر قرية لبني رشيد على الضفة الغربية لوادي الغرس . تحركنا من الصلصلة فوصلناها بعد « ٣١ » كيلاً من الصلصلة وهي قائمة على حزمين متقابلين يقسمهما الطريق ، ويبدو أن أهل البحرة عافوا اسمها فأطلقوا عليها اسم « السُّرير » نسبة الى جبيل تراه شمالها، فصارت المعاملات والمرافعات توجه باسمه ، وقد أخذت تنمو فكثرت بيوتها ، ومزارعها غير متقدمة ، وفيها مدرسة ومسجدان .

---

(١) عقدنا فصلا بهذه الرحلة لقبائل شمال الحجاز فانظر هذه القبيلة هناك .

في ضيافة ابن سمرة

شيخ البحرة أو السرير رجل من بني رشيد يدعى ابن سمرة ـ بكسر السين ـ سألنا عن بيته فأشير إليه فقصدناه فاذا له مجلس متطرف عن بيت العائلة ووجدنا المجلس مفتوحا وأمامه رجل من أبناء عم الأمير ، والخبر أن مجالس شيوخ البادية تظل مفتوحة ولا يمنع أحد من غشيانها ، وعندما وصلنا المجلس رحب بنا ذلك الشخص وكان الناس في صلاة العشاء فدخلنا فلم يلبث ابن سمرة أن جاء وفاجأنا بسؤال « وش جرتكم على دخول المجلس ما فيه أحد»[1]؟!

قلنا : هذه عادة العرب ، لا يمنع من يغشى المجلس العام ، وكان الرجل أصنج « أصم » فترجم كلامنا إليه ، فأبدى امتعاضا وعدم قبول هذا العذر ، فأدركنا ذلك الرجل فقال : أنا أدخلتهم .

ولمحاولة أخذ معلومات عن قبيلة بني رشيد وديارها أخذنا نناقش الرجل ، وكان ـ فيما يبدو ـ غير مهيب لدى قومه ، حيث أسكتوه مرات عديدة وقاموا باملائنا المعلومات التي نسأل عنها ، ولم نطل المكث فخرجنا الى مقهى هناك فنمنا فيه .

---

(١) جرتكم : دليلكم .

خيبر الخضراء

خيبر النخل ، وخيبر الحصون ، وخيبر الحرار •

كل هذه الاسماء يمكن أن تسمى بها خيبر ، ففيها ما يقرب من ثلاثة ملايين نخلة وعدد من الحصون الأثرية ، وهي تتخلل حراراً سوداً تتفجر من أصولها الينابيع التي يقدر عددها بـ « ١٨٠ » عيناً جارية •

استيقظنا صباحاً فسرنا شمالاً ، ومن قرية البحرة هبطنا وادي الغرس فجزعناه ، وكان أمامنا عن بعد جبل عطوة الأحمر الجميل ، والذي كان يسمى الصهباء للونه الذي يضرب الى الحمرة وبسفحه بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيي بن أخطب ملك خيبر في زمانه وزوجة كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق[١] •

ثم جزعنا وادي هدنة ، واد كثير الدوم يأتي من يمين الطريق فيصب في وادي الغرس من الشمال الشرقي •

وبعده مررنا بقاع « قعقران » وهو ما كان يسمى قرقرى : قاع واسع يشقه الطريق يتصل غرباً بجبل عطوة ، ويبعد ستة أكيال عن خيبر •

وجبل عطوة : جبلان في أصل واحد أحمران ، يسمى أحدهما عطوة الشامي : يطل على خيبر من الجنوب ، والثاني ـ اليماني يطل على أسفل وادي الغرس من الشمال ، ويبعد جانبه الجنوبي عن خيبر بما يقرب من ١٧ كيلاً •

(١) السيرة النبوية : ٢/٣٣٦ •

وادي السلمة

ولم نلبث كثيراً فهبطنا وادي السلمة ، وهو واد يمر بسفح جبل عطوة من الشمال وبطرف قرية « الشَّرَيْف » من الجنوب ، وقد وصله اليوم عمران خيبر وفيه قرية من صنادق على جال الطريق .

ومنه دخلنا قرية « الشريف » أم خيبر وقصبته ، فيها مقر الامارة وكل دوائر الحكومة ، تقع بين واديين : وادي السلمة في الجنوب ، ووادي الصوير في الشمال ، وهي على ظهر الحرة ، وكانت تسمى قرية بشر : بطن من عنزة يظهر أنهم هم الذين أسسوها فنسبت اليهم ، ومنها ظهرت لنا سلسلة جبال حَجَر في الشمال ، وكذلك رأس جبل غمرة وجرس وعتاب .

وخيبر اليوم بلاد واسعة تضم أودية عديدة وقرى كثيرة آهلة بالسكان ، وملاك مزارعها ـ في الأصل ـ قبيلة عنزة ، ثم عامروا أهل خيبر ـ وهم جنس من الزنوج ـ على تلك المزارع الواسعة بالنصف ، يقوم الخيبري بغرس النخل وحرث الأرض وسقي المزارع ، أما العنزي فلا عليه شيء من ذلك وله نصف الغلة يستلمها معبأة من المربد.

شيء من تاريخ خيبر

كان يسكن خيبر بعض اليهود عند ظهور الاسلام ، وما أن هاجر الى المدينة صلى الله عليه وسلم ، حتى امتلأت نفوس يهود خيبر حسداً وعداء كاخوتهم بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع ، وأخذوا يناصرونهم ويراسلونهم ، ويستغلون نفوذهم لدى قبيلة غطفان التي

كانت تسكن براري خيبر ، فلما جاهرت يهود خيبر بالعداء وتأكد رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم فائدة مهادتتهم وموادعتهم قر رأيه على القضاء عليهم لتطهير جزيرة العرب من مثل هؤلاء .

خاصة أن اليهود الذين جلوا من المدينة كبني قينقاع في السنة الثانية وبني النضير في السنة الرابعة للهجرة قد انضموا الى يهود خيبر ، وقد أصبحت هذه الواحة الخصبة مجمعاً لجميع الحاقدين على الرسالة وصاحبها ، فلم يعد بد من تطهيرها .

بدء الحرب مع اهل خيبر

١ ـ سرية قتل كعب بن الأشرف :

وبدأت المناوشات مع يهود خيبر بأن انتدب نفر من الأنصار رضي الله عنهم لقتل كعب بن الأشرف اليهودي . وسبب ذلك أن كعباً كان يحرض ضد رسول الله ويقول الأشعار الحماسية ويثير الثأرات فدعا عليه صلى الله وعليه وسلم قائلاً: اللهم أكفني ابن الأشرف بما شئت ، في اعلانه الشر وقول الأشعار ، ثم قال : من لي بابن الأشرف فقد آذاني ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا به يا رسول الله ، وأنا أقتله . فقال : افعل وشاور سعد بن معاذ في أمره .

واجتمع نفر من الأوس منهم: عباد بن بشر وأبو نائلة والحارث بن أوس وأبو عبس بن جبر الى محمد بن مسلمة ، وطلبوا من رسول الله الاذن في قتله فأذن لهم . وكان أبو نائلة أخاً لكعب بن الأشرف من الرضاع ، فاحتال أبو نائلة الى دخول الحصن بمن معه في ليلة مقمرة فقتلوه وحملوا رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان مقتله

في الرابع عشر من ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة[1] .

٢ ـ سرية عبد الله بن عتيك الى أبي رافع :

ثم سرية عبد الله بن عتيك الى أبي رافع سلام بن أبي الحُقيق النضري ، في شهر رمضان سنة ست من مهاجرة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قالوا : كان أبو رافع ابن أبي الحُقيق قد أجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب فكثر شره واجتمع له عدد منهم ، فبعث رسول الله عبد الله بن عتيك ونفر من المسلمين فقتلوه[2] .

فقال حسان بن ثابت :

لله در عصابة لاقيتهم
يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف

يسرون بالبيض الخفاف إليكم
مرحاً كأسدٍ في عرين مغرف[3]

حتى أتوكم في محل بلادكم
فسقوكم حتفاً ببيض دفف[4]

٣ ـ غزوة خيبر :

ويتوج صلى الله عليه وسلم هذه الأعمال الخفيفة في ظاهرها القاصمة في تنائجها ظهور أعداء الله ورسوله ، يتوجها بفتح عظيم يقضي به على بؤر الفساد ويدك حصون بني صهيون فلا تقوم لهم بعده قائمة أبداً ، فيسير إليهم ، في السنة السابعة من الهجرة في شهر جمادى الأولى، فحاصرهم وقاتلهم حتى استولى على حصونهم وضياعهم ، وكانت لهم حصون منيعة الا من الله ، ومن تلك الحصون : النطاة ، وناعم وحصون الشق وحصون الكتيبة مثل : القموص والوطيح وسُلالم ، وقتل منهم عدداً كثيراً وسبا وغنم وتزوج صفية بنت حيي بن أخطب المتقدم ذكرها ، وهو تأريخ طويل وأقوال كثيرة ليست هذه الرحلة مكاناً له .

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٣١ ، ٣٢ .
(٢) نفس المصدر : ص ٩١ .
(٣) مغرف : ملتف الأغصان .
(٤) سريعة القتل .

التكوين الجغرافي لخيبر

١ ـ الحرة :

حرة خيبر حرة واسعة تتخللها الأودية التي تجعل منها حراراً عديدة ذات أسماء متفرقة ، وتبدأ هذه الحرة من مشارف الصويدرة والشقرة في الجنوب عند طريق المدينة الى القصيم ثم تمتد شمالاً ، وكانت هذه تسمى حرة النار ، فتمر بالصلصلة وخيبر ثم شرق سلاح الى أن تنتهي بضرغط شمال شرقي سلاح ، وكان القسم الشمالي منها يسمى حرة ليلى .

وتسيل مياه هذه الحرة في ثلاث جهات :

آ ـ شرقاً في وادي الرمة ، كأودية : الحائط « فدك قديماً » والحويّط « يديع قديماً » والحليفة .

ب ـ جنوباً كأودية : نجار « وادي الصويدرة » والشقرة ، ووادي الحناكية « نخل قديماً » .

ج ـ أدوية خيبر ، وهذه أفردنا لها فصلاً فيما يتبع .

وكانت خيبر سوقاً من أسواق العرب في الجاهلية تحت حماية قبيلة غطفان .

وتشمل اليوم مكاناً إدارياً يمتد من مشارف الصلصلة جنوباً الى حفيرة الأيدا شمالاً وتضم في الشرق الحائط والحويّط ، وغرباً برمة وما حولها .

أودية خيبر

الأودية الرئيسية التي تتكون منها أمارة خيبر هي ستة أودية ، وهي من الجنوب الى الشمال :

١ ــ وادي الغرس : بفتح الغين المعجمة ، والراء المهملة :
واد يأخذ أعلى مساقط مياهه من جنوب الحرة ومن جبلي اشمذ ثم يتجه شمالاً ، فاذا مر عند البحرة المتقدمة سمي وادي الثمد وقد يسمى وادي الدوم ، ثم ينحرف غرباً ماراً بقرية زَبَران جاعلاً الصهباء بينه وبين الشريف قاعدة خيبر ثم يدفع في المجامع حيث تصب كل أودية خيبر .

٢ ــ وادي السلمة : وادٍ ليس كبيراً ، ينشأ من قرب الطريق ثم يمر بين عطوة «الصهباء» جنوباً والشريف شمالاً ، وفيه بلدة «مكيدة» ثم يتجه غرباً الى المجامع .

٣ ــ وادي الصوير : أحد الأودية الزراعية الرئيسية ، يمر تحت الشريف من الشمال آتياً مطلباً من بعيد ، وهو كثير العيون والنخيل ، وقيل أن ما يقرب من ٥٠٪ من نخل خيبر هو في هذا الوادي ، يذهب مغرباً فيجتمع بسابقيه في المجامع .

٤ ــ وادي أبي وشيع : واد يقرب من وادي الصوير في كثرة النخل والمياه سمي بالقرية الرئيسية فيه ، يقطعه الطريق بعد الصوير مباشرة شمالاً بينهما حرة ممتدة بامتدادهما من الشرق الى الغرب ، ثم يعانق سابقاته في المجامع .

٥ ــ وادي المضاويح : قليل القرى والمزارع يقطعه الطريق شمال

أبي وَشيع ، وفي صدره قرية العين ليست بعيدة من الطريق يميناً ، لها ذكر في محطات الطريق قديماً ، وهو أيضاً يجتمع مع السابقة ، واظنه سمى لبياض تربته، لأن الضيحة عند العرب البياض أو الضوء.

٦ ــ وادي الزهيراء : من أطول أودية خيبر مدى غير أنه من أقلها خصباً ، يأتي من الأطراف الجنوبية للجناب متجهاً جنوباً حتى يصل بلدة « العشاش » سلاح قديماً، ثم يأخذ في الانحراف جنوباً غربياً حيث يقطعه الطريق بين العشاش والشريف ، وقد تسميه العامة وادي غمرة لأن جبل غمرة يشرف على العشاش من الجنوب . ومن روافد هــذا الوادي وادي يمن وجبار الاتي ذكرهما .

واذا اجتمعت أودية خيبر في المجامع تكون وادي الطّبق : واد فحل كثير الروافد تقع فيه آثار برمة ، يستمر مغرباً من خيبر حتى يدفع في وادي الحمض « إضم » ولا صحة للقول أن هذه الأودية تذهب الى وادي القرى أو أن مياه الحرة الغربية تذهب الى هناك ولا تقربه كما أشار بعض الباحثين ، فجميع المياه المنحدرة من الحرة غرباً أو من سلسلة حجر الواقعة غرب العشاش تتحول الى هذا الوادي الفحل ثم تصب في إضم . ومن تلك الأودية وادي الصحن الذي يمر الطريق به بين خيبر والعلا ، أما وادي القرى فأول سيول تتجه اليه من الشرق هي سيول الهضب الآتي ذكره والذي يبعد من هنا قرابة تسعين كيلاً .

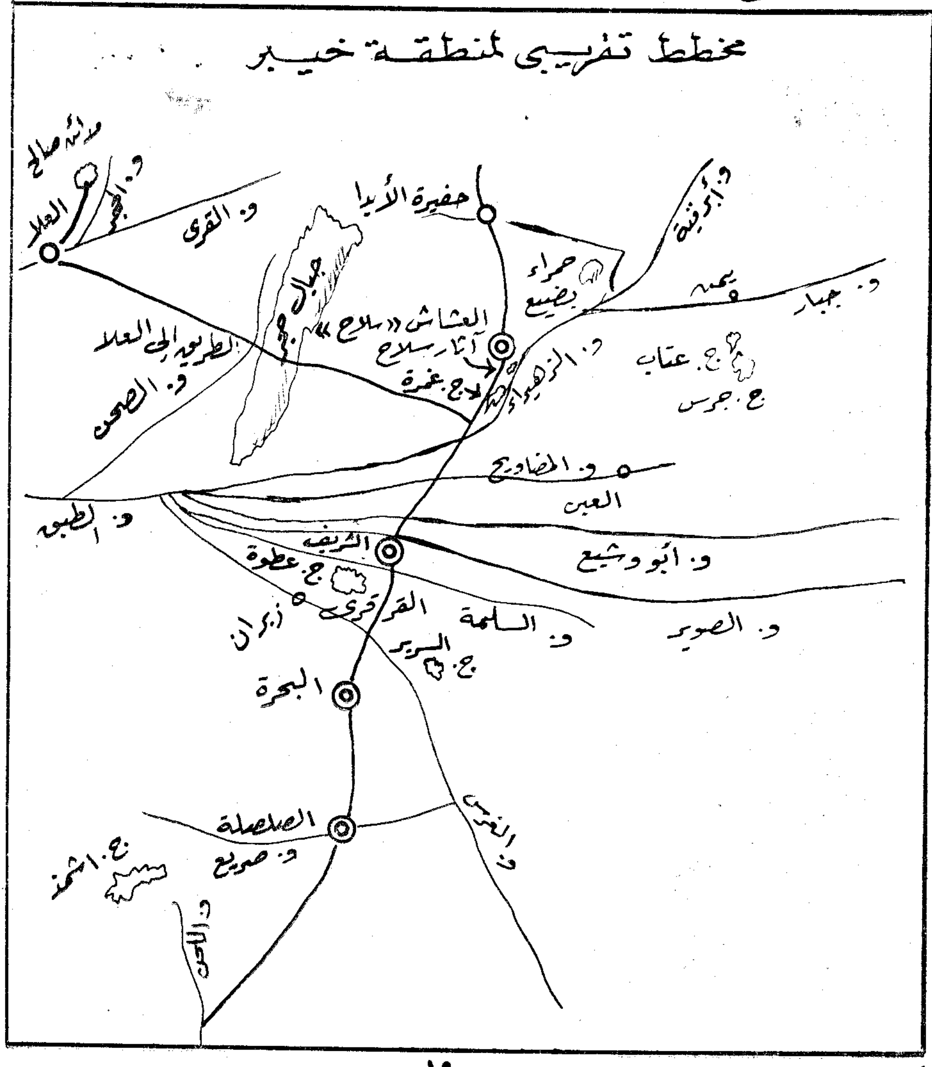
القرى الرئيسيّة في خيبر

تتكون خيبر من قرى عديدة أهمها : الشريف ، وقد تقدم الحديث عنها ، ثم أبو وشيع ، ومكيدة وزَبَران ، والعين ، والعشاش وسيأتي الحديث عنها[1] .

---

(١) عن جميع المعالم الواردة في هذا الكتاب انظر : « معجم معالــم الحجاز » لزيادة الايضاح .

اذا ألقيت نظرة على أودية خيبر ألفيتها تشبه التاج في تكوينها ، فوادي الغرس ــ كما تقدم ــ يأتي من الجنوب متجهاً شمالاً ثم يعدل الى الغرب ، ووادي الزهيراء يأتي من الشمال متجهاً جنوباً ثم يعدل غرباً وهما يكونان طرفي التاج ، ووواديا الصوير وأبي وشيع يسيران في الوسط فيشبهان رأس التاج ، ثم وادي السلمة ووادي المضاويح وهما كالضلعين القصيرين في التاج ، ثم تجتمع هذه الاودية جميعها في المجامع كقاعدة التاج .



سكان خيبر

كأي بلدة عريقة لها ضواحي كثيرة يكون سكانها مزيجاً من الحضر والبدو ، فالسكان الذين لهم الاسم والشهرة هما قبيلتا عنزة وهتيم[1] ، فالأولى تمتلك جل نخيل خيبر وتمتد ديارها من شمال خيبر الى الجناب فتيماء ثم مشرقة الى قرب حائل،والثانية تمتد ديارهامن شمال المدينة شاملة جل الحرار حيث لها الصلصلة والبحرة مارة شرق نخيل خيبر الى جبل جرس ثم شمالا شرقيا الى حرة ضرغط ، مائلة شرقاً على فروع وادي الرمة ، ولها هناك الحائط والحويط والحليفة• أما السكان الحضر في قرى خيبر فجلهم من السود المولدين ، وأصل هؤلاء من العبيد الذين يشتريهم ملاك النخيل فيوكلون إليهم العناية بتلك النخيل كالتأبير والسقي والجداد ، ثم تحرروا فتكاثروا فصاروا بيوتاً لها أسماء وأنساب وأصبحوا يشاركون الملاك في المزارع على نظام المعامر المعروف في الحجاز •

ونوع آخر كثر في هذا العهد يتكون من الوافدين المستوطنين كالتجار وموظفي الدولة وغيرهم ، وقد فضل بعضهم الاقامة الدائمة هنا وصارت لهم ضياع وأملاك • وكان خيبر ــ من قديم الزمن ــ مشهورا بحمى الملاريا التي كانت تفتك بالسكان غير أن سود البشرة لديهم مناعة طبيعية ضد هذه الحمى ، وكان العرب الأقدمون اذا أمّ أحدهم خيبر عشّر كما يعشر الحمار اعتقاداً منهم أن من يفعل ذلك لا تصيبه الحمى غير أن بعضهم كان يأنف ذلك ويرفضه •

---

(١) انظر فصل قبائل شمال الحجاز في هذه الرحلة •

وفي هذا العهد كوفحت الملاريا فقل ضررها فاطمأن الوافدون الى البقاء والاستيطان فكثر نزل البلد وتضاعف عدد سكانه ، وهي من حسنات هذا العهد عهد العلم والنور وخدمة الانسانية ، فقـد كان الانسان بالامس مهملاً لا يهتم أحد بصحته أو تعليمه أو حتى فض النزاع بينه وبين أخيه الانسان ، فكان البقاء للاقوى والغلبة لذي العشيرة والنادي ، ولكن الجميع قد يتساوون في الجهل والمرض ، حيث لا مدارس ولا مستشفيات . ويوجد اليوم في خيبر مستوصف وعدد من المدارس ، ومع أنها غير كافية الا أنه قيل لنا أن هناك مشاريع تحت الدراسة وأخرى تحت التنفيذ .

مواصلة الرحلة

قضيناوقتاً ليس قليلاً في التنقل بين الشَّرَيْف ومكيدة وزَبَرَان وقبيل الظهر واصلنا رحلتنا باتجاه الشمال ، ومن الشريف هبطنا وادي الصوير ، والصوير قرية شمال غربي الشريف غير بعيدة منها سمي الوادي بها ، وبطرف الوادي على ضفته الشمالية مر الطريق على قبور الشهداء ، وهم شهداء غزوة خيبر[1] ثم صعدنا حرة معترضة فهبطنا على أبي وشيع ، الوادي الرئيسي الثاني في خيبر ، وكان يعرف بالشق ، وأبو وشيع قرية كبيرة هناك ، نسب الوادي اليها ، ثم قطعناه فصعدنا حرة تتخللها الاشعب والأفرع التي يسمونها رياضاً ، ولم نلبث أن هبطنا وادي المضاويح : واد واسع نسبياً ليست به زراعة على الطريق يمر شمال الشريف على « ١٩ » كيلاً ، في صدره قرية العين التي تقدم الحديث عنها .

وبعد « ٢٣ » كيلاً من الشريف هبطنا وادي الزهيراء فعبرنا فوق جسر من الاسمنت المسلح ، وعلى طرفه الآخر وجدنا رجلاً من هتيم يرعى غنماً له ، كان من أعرف الناس بهذه الديار ، ولم نلبث أن فرق الى يسارنا طريق العلا ، وهو طريق ترابي عبد فيما بعد ، يأخذ غرباً فيعلو ريعاً يسمى « شرف العمامة » تراه من هنا يقسم سلسلة جبال حَجَر التي صارت الان الى يسارنا ممتدة بامتداد الطريق مسافة تزيد على ثمانين كيلاً .

والى أمامنا مباشرة عن قرب ينتصب جبل غمرة ، أسمر بارز يدعه الطريق يمينه ، ولشهرة هذا الجبل أطلق بعضهم اسم وادي غمرة على وادي الزهيراء .

---

(١) انظر تفصيلهم في السيرة لابن هشام ، وطبقات ابن سعد .

سلاح

ومقصدنا الان بلدة « العشاش » التي تقع على « ٤٣ » كيلاً شمال الشريف • وصلنا بلدة العشاش القائمة على أنقاض « سلاح » القديمة ، وقبل وصولنا ونزولنا على الأيدا اتفقت مع الابن سعد بآن أقول لمضيفنا أننا قد تغدينا ، ولن نلبث أن نخرج من عندهم فنتغدى في الطريق • سألت عن بيت علي بن فرحان الأيدا فدللنا عليه ، وقادنا صبي الى مجلس متطرف عن بيوت السكن ، ولم يطل بنا الانتظار حتى حضر فهد بن علي الأيدا ، وهو شاب حسن البشر دمث الأخلاق ، ورث عن أسرته الكرم واحترام الرجال ، ورحب فهد فقلنا له ما اتفقنا عليه فلم نر منه ما يدعو الى التأكيد ، وعنده حضر نفر من عنزة ، واليديان هم شيوخ ولد علي من عنزة •

وجعلنا نسجل ما يمليه فهد ورفاقه ، فاذا الساعة قد جاوزت الثالثة والنصف ، فأستأذنا فاقترح علي أن نشرف من مرقب يشرف على البلدة لنرى بالعين « يمناً وجباراً » الموقعين التأريخيين فصعدنا المشراف فاذا المكانان شمالاً شرقياً من العشاش يريان بألعين ، وأشار فهد الى طرف العشاش من الجنوب ليرينا موقع بلدة سلاح التأريخية •

ولما هبطنا من المرقب أردت توديع فهد الكريم ، فأخذ بيدي وأشار الى مكان ليس بالبعيد فاذا ذبيحة تسلخ وقدر مركب على النار ! وقال : « هذا عشاكم على النار » •

لقد جعلنا فهد أمام الأمر الواقع فلم نبد معارضة لأن المعارضة في مثل هذه الأمور غير مقبولة في قانون الضيافة ، فدخلنا مسجد أبي فهد فصلينا العصر ، ولما خرجنا من الصلاة كان قد نزل عليه ضيوف

---

(١) الطبقات لابن سعد : ٢/١٢٠ •

من عنزة الشمال ، فطلبت منه أن نرى آثار سلاح فأرسل معنا سيارة ونيت فوقفنا على الآثار فاذا هي على ربوة ترتفع عن مجرى السيل يمكن أن تميز منها المسجد وأساسات أخرى على شكل مربعات ، والى جانبها فقر عين سلاح القديمة مجصصة ظاهرة .

وكانت سلاح بلدة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما عاد من فتح خيبر أخبر أن عيينة بن حصن جمع جمعا من غطفان فعقد صلى الله عليه وسلم لبشير بن سعد الأنصاري الى يُمْن وجُبَار في شوال سنة سبع من الهجرة وبعث معه ثلاثمئة رجل فساروا حتى نزلوا بسلاح ثم ساروا الى يمن وجبار فأصابوا غنائم وأسروا رجلين[1] . وجبار واد تراه من مشراف العشاش « سلاح » شمالاً شرقياً والاسم لماء هناك ويمن ماء أيضاً في نفس الوادي ، وسيل الوادي يصب في وادي العشاش من أعلاه . وظلت سلاح محطة للحجاج حتى تحول الطريق الشامي الى تبوك فالعلا فاندثرت ، ثم بنى بعض العنزيين عشاشاً بجوار البلد القديم فسميت العشاش .

ولما عبد طريق شمال الحجاز أخذت العشاش في الانتعاش ، وحفر أهلها ـ ومنهم مضيفنا ـ آباراً على فقر عين سلاح القديمة ولكن الماء ليس غزيراً وعليها اليوم زراعة تتكون من عشرين بئر ويقدر عدد بيوتها بمائة بيت أو أكثر وبها مقاه ومحطة محروقات .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « يوشك المسلمون أن يحاصروا الى المدينة ، حتى يكون أبعد مسالحهم بسَلاَح »[2] .

وبين المغرب والعشاء كنّا قد قضينا مأربنا فتحركنا من بلدة العشاش مودعين اليديان الكرام باتجاه الشمال .

---

(١) الطبقات لابن سعد : ٢/١٢٠ .
(٢) معجم ما استعجم « سلاح » عن أبي داود في كتاب الملاحم .

حفيرة الأيدا

خرجنا من العشاش في الساعة التاسعة ليلاً ميممين الشمال في ليلة حالكة السواد ، وليس من عادتي في الرحلات أن أسير ليلاً غير أن هذه ليست المرة الأولى التي أسير فيها على هذا الطريق ، بل سرت فيه سابقاً مرات عديدة فوجدت أنه لا لزوم لانتظار الصباح •

وفي الساعة العاشرة الا ثلثاً وصلنا حفيرة الأيدا على « ٨٧ » كيلاً من خيبر • وكانت هذه بئر حفرها فرحان الأيدا أمير ولد علي من عنزة ، في واد صغير هو أحد روافد وادي الزهيراء من أعلاه فاتخذها قاعدة له وحصنها بأن وضع مدفعاً رشاشاً على رأس أكمة شمال الحفيرة تسمى ضلع العبد لسوادها فكانت تصد غارات القبائل التي تغير على ولد علي وأهمها كانت غارات منقرة شيخ بلي السراة ، فقد كان هذا يشن غارات على عنزة وشمر وبني عيطة والحويطات ، وفي احدى هذه الغارات قتل فرحان الأيدا على ماء عُرَيدة شمال غربي الحفيرة ، ثم تولى بعده ابنه محمد بن فرحان الأيدا وكان له دور في اخضاع بلي فصارت له حظوة عند الدولة السعودية حتى صار عطاؤه السنوي — فيما سمعت — مبلغ « ٧٥ » ألفاً • وفي سنة ١٣٨٢ هـ تحول اليديان من الحفيرة الى العشاش « سلاح » المتقدم ذكرها • وقد اندثرت اليوم فلم يبق من آثارها سوى البئر وخرائب قليلة ، وهي مورد للبادية هناك ؛ ومن الحفيرة يبدأ الجناب شمالاً ، واسعاً ممتداً •

الجناب وما حوله

تجاوزنا الحفيرة فلم نلبث الا دقائق حتى اعترضنا وادي سرّاء : واد يأتي من الأشياخ غرب الحفيرة فيعترض الطريق من اليسار الى

اليمين فيكون رأس وادي « قــو » الوادى الــذى يخترق الجهراء « الجناب » مسايراً الطريق حتى يصب في نقرة الحيران جنوب تيماء •
والجناب أرض فضاء صحراوية واسعة تمتد من حفيرة الأيدا المتقدمة حتى تقرب من مدينة تيماء ، وتتصل شرقاً بصحارى نجد الواسعة ، أما غرباً فيحف بها هضب أشعل ممتد من الجنوب الى الشمال ، يسمى جنوبه هضب واقصة: بئر هناك، وشماله هضب عردات : ماءتان تسمى احداهما عردة والثانية عريدة • ونمنا في هذا الخبت الواسع الذي ذكرتنا نسائم قيظة ببرد الشتاء •

وفي الصباح واصلنا سيرنا مشملين ، وكنا نرى جبل ردام الى يسارنا بارزاً كجزء من هضب واقصة الأنعام ، والى اليمين ظهر حزم معترض يطلق عليه جبل رؤاف ، وهو أقل من أن يكون جبلاً ، وله شهرة في كتب الجغرافيا[1] ، وبعده على مرأى يظهر جبل شامخ حائز في هذه الفلاة الواسعة ، هذا جبل « بِرْد » المشهور أيضاً ، وهو جبل أمغر يساير الطريق مسافات بعيدة ، وقد توهم قلبي أن القرى منتشرة على جوانبه ! والواقع أنه خالٍ من السكان والعمران ولا توجد قربه الا ثمائل تحدث من السيول ثم تجف في القيظ فلا يكاد يروده أحد • ويطلق على الجزء الأعظم من الجناب اسم « الجهراء »• واصلنا سيرنا تلفحنا نسائم الصباح العليلة فمررنا بمحطة للمحروقات ومقهى في وسط الجهراء ، وفي الطرف الجنوبي لنقرة الحيران رأينا يمين الطريق فريق من بيوت الشعر لحي من قبيلة « الخماعلة » من عنزة فهزعنا اليها فرحب بنا رجل منهم وشب النار وقدم لنا تمراً ولبناً لم يناسب ذوق سعد فظل بلا افطار، وجاءت عجوز تتفهوى معنا وتمازحنا وكانت تقول : لاتكتبوا أسماء ديارنا فتخبروا بها الحكومة ! والى الجنوب منــا كانت قارة الحيران : قارة على يمين الطريق تشرف على نقرة الحيران[2] •

---

(١) كل هذه المعالم مفصلة في كتاب « معجم معالم الحجاز » كما المحت سابقا
(٢) الحيران : جمع حوار ، وهو ولد الناقة في السنة الأولى •

ونقرة الحيران : أرض في نهاية الجهراء من الشمال ، كثيرة النقر التي تتخللها الصخور الضخمة أرضها رخوة يكسوها نبات الرمث ، وكانت السيارات تنغرز عجلاتها فيها فتبقى أياماً وليالي حتى عبد الطريق، وهي من مرابع قبيلة عنزة •

ومن نقرة الحيران ترى جبل غنيمات أو غنيم المعروف قديماً بجبل « حدد » كان من أرض كلب •

قال النابغة :

ساق الرفيدات من جوش ومن حدد   وماش من رهط ربعي وحجّار

وهو جبل أسمر تراه شمالاً يشرف على تيماء من الشرق في شكل سلسلة تمتد شمالاً حتى تكنع في وادي تيماء مطلع شمس عن المدينة ، بقرب • ويقال : أن الصنم « صلم » على قمة هذا الجبل لازال ظاهراً •

ويتصل بالنقرة من الشمال القرشع : أرض خشنة تخرج فيها من النقرة فتسير فيها الى سفح جبل حدد ، ثم تهبط على تيماء ، وهنا ينقطع عن نظرك ذلك الهضب الذي ظل على يسارك من الحفيرة حتى هذا المكان ، ثم تظهر جبال خشنة غرباً على رأس وادي تيماء ، منها : جبلة ـ جبلتان ـ والفرول وغيرها •

تيماء : مخطط تقريبي

نفود البتراء
قاع تيماء
كُتيب غزيّة
نفود الحنزاء
تيماء
ج. غنيم
القريشع
نقرة الحيرات
و. تيماء
المحجة
القليبة
السلاعو
الفرود
جبلة
طريق إلى مدائن صالح
غرابيل الزوله
ج. برد
رُواف
ذروع وادي القرى
و. سرّاء
جعفر عنزة
حضيرة الأبلا و. الحفيرة
ج. بردام

و.. وادي
ج.. جبل

تيماء

ثانية مدينة في شمال الحجاز بعد تبوك ، تقع في واد ينحدر من الغرب من جبال تراها بعيدة ثم يتجه مشرقاً حتى يصب في قاع شمال المدينة بقرب ، ولذا ظلت تيماء كواحةفيهذه الصحراء غزيرة المياه جيدة الزرع كثيرة النخل •

ويحيط بتيماء جرف عال يسمى الدائر وهي منخفضة تهبط اليها من كل اتجاه • ويزرع فيها العنب والرمان الى جانب البلح ، وتشتهر تيماء ببئر « هدّاج » بئر واسعة الفوهة غزيرة الماء حكي أنه كـان يصدر عنها تسعون غرباً ، ورأيت اليوم عليها أربع آلات ضخ من ذوات أرأبع بوصات ، ولكن قيل أنها لا تشتغل في آن واحد ، ورأيت صخرة تبرز وسط الماء فقيل لي : اذا برزت هذه الصخرة لم يعد ينقص الماء أبـداً •

العمران

وطابع تيماء العمراني هو الطابع القديم ، فبيوتها مشيدة من اللبن ، متلاصقة ، وشوارعها أزقة ضيقة ، غير أن الناحية التي يمر فيها الطريق وهي الجنوبية الغربية قامت فيها بعض المباني المسلحة ولهـا ساحة واسعة قامت فيها سوق صغيرة للخضار والجزارة ؛ وفي الغرب خططت ضاحية جميلة ذات شوارع منسقة ، غير أن البنيان أثناء مرورنا فيها لم يزد على بضع فلل ثم رأيتها بعد ذلك قد اتسعت وكثر عمرانها •

الآثار

وفي تيماء كثير من الخرائب التي قد يعود عهدها الى زمن موغل في القدم ولكن لم أجد من يستطيع تحديد ذلك ، وهناك قصور يطلق عليها أسماء ، ويضاف بعضها الى اصحابها كقصر بدر بن جوهر الذي يتوهم فلبي ـــ كعادته ـــ أنه يهودي •

الأبلق

أما أشهر حصون تيماء وأسيرها شهرة وأوغلها في التأريـــخ فهو « الأبلق » حصن السموأل بن عادياء ، الذي يقول فيه السموأل نفسه :

بنى لي عاديا حصناً حصيناً ... وماء كلما شئت استقيت
رفيعاً تزلق العِقْبان عنه ... اذا ما نابني ضيم أبيت
وأوصى عاديا قدْماً : بأن لا ... تهدّم يا سموأل ما بنيت
وفيت بأدرع الكَندي ، إني ... اذا ما خان أقوام وفيت

والكندي الذى يذكره هنا أمرؤ القيس بن حجر • وله قصة مع السموأل مستفيض ذكرها في كتب الادب والتأريخ • ويضرب للوفاء فيقال : أوفى من السموأل •

وزعم بعض الأقدمين أنه من بناء سليمان عليه السلام فقال الأعشى :

ولا عاديا لم يمنع الموت ما له ، ... وورد بتيماء اليهودي أبلق
بناه سليمان بن دواد حقبة ... له أزج عال وطي موثق
يوازى كبيدات السماء ، ودونه ... بلاط،ودارات،وكلس، وخندق
له دومك في رأسه ، ومشارب ... ومسك، وريحان، وراح تصفق
وحور كأمثال الدمى ، ومناصف ... وقدر،وطباخ، وصاغ، وديسق
فذاك ولم يعجز عن الموت ربه ، ... ولكن أتاه الموت لا يتأبق

ويقع الأبلق على رابية في الجنوب الغربي من البلدة القديمة قرب الطريق والباقي منه أساسات طمرها الرمل ، وهو معروف عند أهل تيماء مشهور للكبير والصغير .

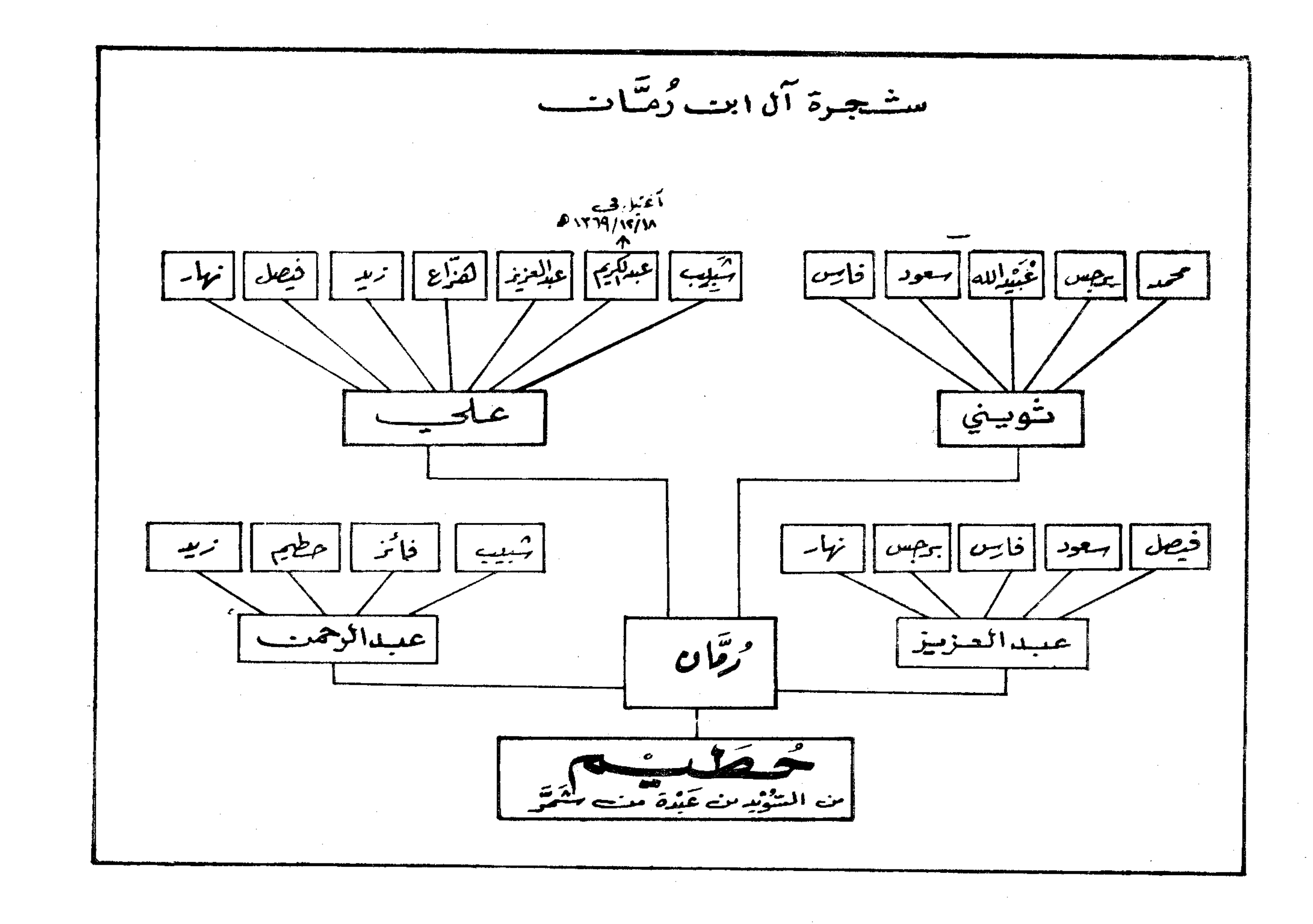
دولة داخل دولة

من لمسات تأريخية نجد أن أسرة من بني سويد من عبدة من شمر استطاعت التمركز في تيماء في القرن الثالث عشر الهجري ربما في أوله، وكان مؤسس هذه الأسرة رمّان بن حطيم ، ثم صارت تدعى آل ابن رمان ، والأمير يقال له ابن رمان . ونظراً لقرب تيماء من حائل فقد كانت تتبعها دائماً ، غير أن هذه التبعية تتأثر بقوة الحاكم وضعفه سواء في حائل أو تيماء .

وعندما فتح الملك عبد العزيز حائل سنة ١٣٤٠ ﻫ لم يعر تيماء اهتماماً فقد كان مشغولاً بغيرها وله تطلعات أكبر وأسمى من هذه الواحة المعزولة في الصحراء ، ولكن ما أن تمت له السيطرة على شمال الحجاز وجهات السرحان والقريات حتى نظر الى تيماء فاذا هي دولة مستقلة داخل دولته،فأخذ يكاتب أميرها عبد الكريم بن علي بن رُمّان ابن حطيم ، وذلك بواسطة أمير المدينة أنذاك ابن ابراهيم ، غير أن ابن رمان كان حذراً وكان عديم الثقة في وعود الملك ففشلت المفاوضات فتوقفت .

مقتل عبد الكريم

ظل عبد الكريم حاكماً مستقلاً على تيماء وضواحيها القريبة فشدد على أهلها ودفن بعض الآبار الزراعية المتطرفة خوفاً من غزو ابن سعود ، ومنع السفر من تيماء حتى عن أقرب الناس اليه ، فقد كان في حالة حرب نفسية وتوهمية ، ومن الواضح أن ابن سعود لم ينو يوماً أن يغزوه والا لكان من السهل عليه ذلك .



شجرة آل ابن رُمّان
حُطَيم
من السّويد من عبدة من شمّر
رُمّان
علي
ثويني
عبدالرحمن
عبدالعزيز
نهار
فيصل
زيد
لهزاع
عبدالعزيز
عبدالكريم
شبيب
اغتيل في ١٨/١٢/١٢٦٩هـ
فارس
سعود
عُبَيْدالله
برجس
محمد
زيد
حطيم
فائز
شبيب
نهار
برجس
فارس
سعود
فيصل

ونتيجة لأعماله هذه كرهه الكثيرون من أهل تيماء وصاروا يتمنون الخلاص منه ، خاصة وانه يجبرهم على الفقر ، والأعمال كثيرة في السعودية والاردن انذاك •

وفي يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٣٦٩ هـ اغتيل عبد الكريم بن رمان[1] اغتاله فارس بن عبيد الله بن ثويني بن رمان ، أطلق عليه النار من بندقيته وهو في صلاة الفجر قبل أن يسلّم ، وليس في صلاة الجمعة كما ذكر فلبي •

كان فارس موقوفاً من قبل ابن رمان تحت حراسة برجس بن محمد بن ثويني ابن عم القاتل وابن أخت الأمير عبد الكريم ، وكان برجس أحد حرس ابن رمان ، وعند الصلاة ترك برجس بندقيته في غرفة الحرس المجاورة للمسجد ولبيت الأمارة الملتصق بالمسجد والذي يسمى قصر « المغيض » فاستغل فارس ذلك الخطأ من الحرسي فأخذ البندقية فسددها الى ظهر عبد الكريم وهو في الصلاة •

وطبيعي أن يترك الناس الصلاة فيسرع برجس فيقبض على القاتل ، وسرعان ما قفزت « حصة » بنت عبد الكريم الى داخل المسجد فطلبت من برجس أن يقتل فارساً أو أن يعطيها البندقية لتقتله هي بيدها ! ولما أن اعطائها البندقية يعتبر في عرف شجعان الجزيرة من العار ودليل خور الحاضرين وامتياز المرأة عليهم فقد تجرأ برجس فقتل فارساً •

وأسرعت « حصة » تعد العتاد وتحضر السلاح فوق ظهر القصر . وقيل أن أبناء عبد الكريم كانوا غياباً فتولى الأمر برجس المذكور ولكنه انهار ولم يعد في استطاعته عمل شيء بل وحاول أن يهرب من البلد • وبالصدفة كان عبد العزيز التويجري أمير القليبة كان قد أرسل سيارة تحضر جريداً وجدوعاً من تيماء وكانت بائتة تلك الليلة هناك ، ولما وقع

(١) رواية عبد العزيز التويجري أمير القليبة آنذاك والى الآن •

م : ٣ « رحلات »

الخبر أسرعت تخبره وأخبر هو بدوره خالد السديري أمـير تبوك آنذاك ، فتوجه بقوة فاحتل تيماء ثم تزوج حصة بنت عبد الكريم • وبهذا قضى على أمر هذه الأسرة •

وليس لدينا الكثير بل حتى الكفاية عن تأريخ تيماء ، غير أن المؤرخين حفظوا لنا تنفاً يسيرة تشير الى أن تيماء ظلت على مر الزمن تتأثر بما حولها من البلاد ، ففي السنة التاسعة للهجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في وادي القرى ، ولما علم أهل تيماء ـ وكان جلهم من اليهود أرسلوا اليه فصالحوه فأبقاهم على ما بأيديهم ، فلما جاء عهد عمر وأجلى اليهود من الجزيرة العربية أجلى يهود تيماء •

ثم صارت محطة للحاج وسوقاً لما يجاورها من البادية الواسعة ، وكان حاج دمشق يمر في صحراء الاردن على باير ثم جوش فالعلم فتيماء ، وظل الطريق يأخذ من تيماء على الجناب فسلاح فخيبر ، ثم يبدو أن الأمن ساء في هذه الديار فصار الطريق يخرج من تيماء على المحجة جنوباً غربياً ثم الى مدائن صالح فالعلا « قرح » ثم مدت السكـة الحديدية في أول القرن الحالي فتحول الحجاج والمسافرون عن تيماء فتأخرت ، وحتى بعد توقف السكة الحديدية يظهر أن الناس كانوا قد ألفوا ذلك الطريق ، ويذكر لنا بعض الرحالين أن حاج الشام ارتاد هذا الطريق من معان الى سرغ فتبوك فالعلا من عهد قديم ، ولا زالت الجادة القديمة بين تيماء وباير ماثلة ظاهرة •

عهد تيماء الذهبي

ولا شك أن عمر تيماء أطول من هذا وقد وجد بعض الرحالين في القرنين الحالي والسابق نقوداً وآثاراً ، ومع أن تيماء ظلت بـين الانتعاش والانتكاس فان هذا العهد يعتبر عهدها الذهبي ، فلأول مرة تمر بها طريق رئيسية عامةوتخطط تخطيطاً حديثاً وتفتح فيها جميع مرافق

الدولة مثل : المحكمة والمستشفى والشرطة ومكتب زراعي وغيرها ، ويصبح فيها تعليم منظم للذكور والاناث •

وقد تخلصت اليوم من عزلتها فأصبح في امكانك أن تتصل منها بجميع أنحاء العالم •

وقد أخذت تتقدم عمرانياً ويتوقع لها مستقبل زاهر فيما لو توسعت الرقعة الزراعية •

وليس لتيماء ضواحي غير الفلاوات ولذا سيظل عدد سكانها محدوداً •

الحول والقليبة

خرجنا من تيماء بعيد صلاة العصر ، فأخذ الطريق باتجاه الغرب مع ميل قليل تدريجي الى الشمال • وهذه الأرض الممتدة من تيماء شمالاً الى الطبيق « جوش » تعرف باسم الحول : جمع حالة ، والحالة عند أهل هذه الديار الأرض الجدباء التي تتخللها الحزوم ؛ ومنها حالة عمار • وفي هذه الأرض تقع القليبة : قرية في منتصف الطريق بين تيماء وتبوك على « ١٣٥ » كيلاً من الاولى ، و «١٣٦ » من الثانية ، وهي في الأصل بئر كان يستقى منها البوادي فلما عمر الطريق جعل فيها مركزاً للتفتيش ثم تكاثر نزلها قليلا وفتحت فيها مدرسة ، وتقع على رأس وادي ثجر ، وتتبع تبوك اداريا •

ولعل أول من عين فيها الشيخ عبد العزيز التويجري منذ ما يقرب من ثلاثين سنة•قبل القليبة مررنا بواد به طلح على شكل سلسلة على طول الوادي ، ثم ظهرت الى اليسار جبال السلاعو ذات التكوين الموحش ، ويقول أهل هذه الديار أن السعالى كانت تتخذ لها من هذه الهضاب سكنا فكانت تقطع هذا الطريق •

وفي أول مقهى من القليبة ــ ولعله الوحيد ــ اتخذنا لنا مناماً •

عبد العزيز التويجري

وفي الصباح فاجأنا أمير القليبة الشيخ عبد العزيز التويجري بزيارة دون أن نستأذنه، فوجدناه ورفاقه على طعام الافطار وكان يستعد للسفر الى تبوك ، وهذا الرجل من أعرف الناس بهذه الديار وتأريخ

هذه الحقبة فيها ، فقد امضى في هذه القرية مايقرب من ثلاثين عامـــاً ، وليس للقليبة مشاريع ولا مطامح تشغل أذهان أهلها فالذين يرومون التمدن والرفاهية لا يرضون بالاقامة في بلدة لا تفترق الحياة فيها عن الحياة في بيوت الشعر ، والذين رضوا بالاقامة هنا لم يعد يهمهم غير استلام المرتبات في آخر الشهر ، وجلهم من الطاعنين في السن ، غير أن لهم أملاً في وضع آلة ضخ كافية على البئر ، ولو حصلوا على ما طور كهرباء كان أمراً مبهجاً حقاً .

وبعد شرب الشاي والقهوة في مضافة عبد العزيز ودعناه رغم اصراره على أن نتناول طعام الغداء عنده،وهو كرم يتحلى به كل أمرائنا .

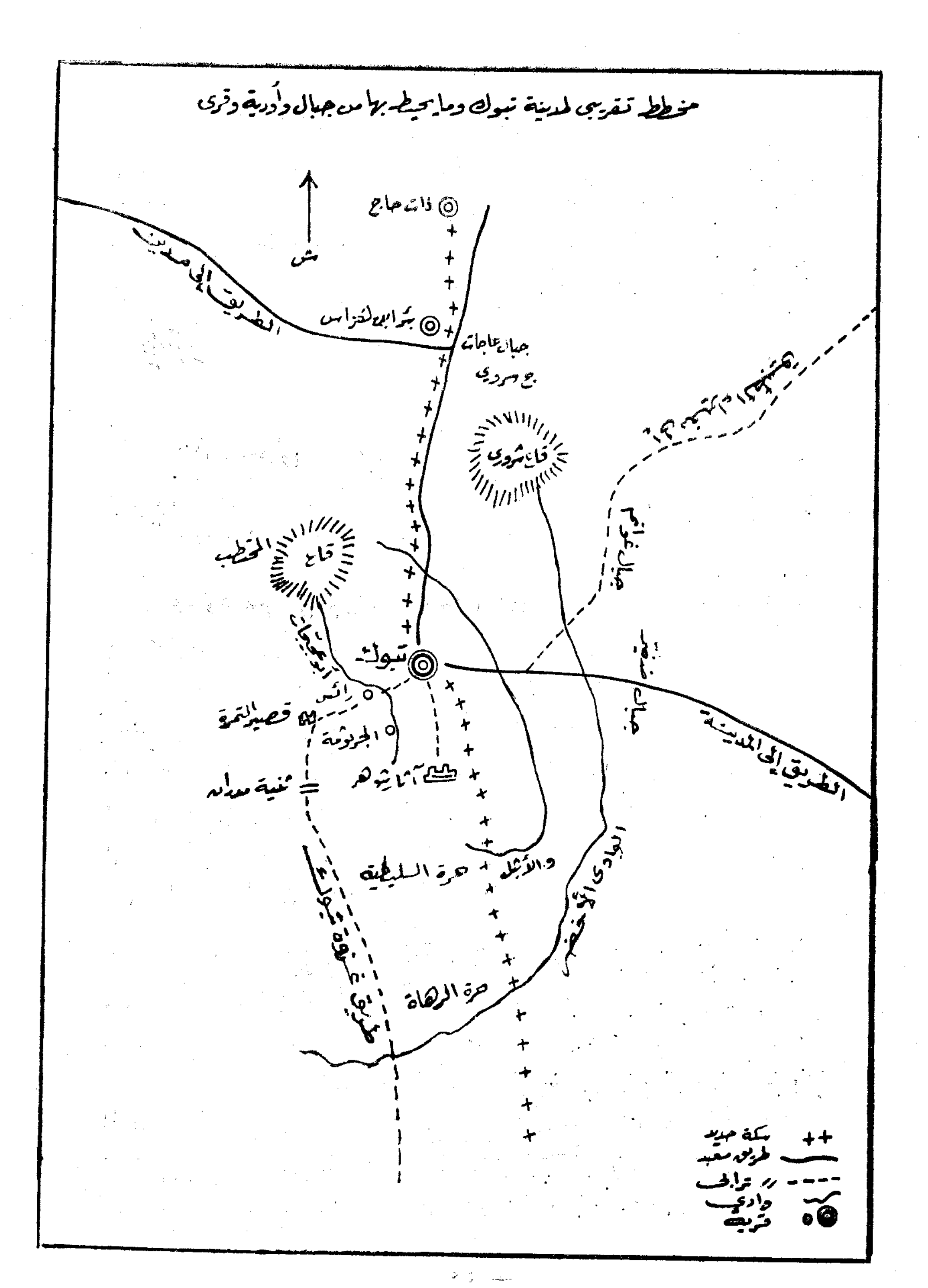
تبوك

أم شمال الحجاز ، وقاعدة المقاطعة الشمالية من المملكة العربية السعودية ، المدينة التي قفزت من حياة العهود البدائية الى حياة القرن العشرين خلال عشرين سنة فقط . تحركنا من القليبة ، وكان الطريق أخذ شمالاً غربياً ، وبعد مسافة ليست بعيدة فرق الى اليمين طريق تحت العمل الى الجوف وقُرَيّات الملح ، ثم صعدنا سلسلة جبلية معترضة تعرف باسم ضفيّر ـ تصغير ـ وكبره النعمان بن بشير ، حيث قال :

ان ليلى ، وان كلفت بليـــلى   عاقهـــا عنك عائق غـــير وانِ
كيف أرعاك بالمغيب ودونـــي   ذو ضَفِير فـــرائس فمعـــان

وكل من رائس ومعان معروفان في شمال الحجاز، وسيأتي ذكرهما .

وعلى « ١٣٦ » كما تقدم وصلنا تبوك ، واجتزنا قبلها بثلاثين كيلاً « الوادي الأخضر » : أحد الأودية الرئيسية فيها والتي يعود اليها اكتناز حوض تبوك بالمياه الجوفية ، ثم عارضتنا البساتين الحديثـة ذات التخطيط الحسن والانتاج الجيد تحيط بها سياجات من الاشجار العالية المتخذة كمصدات للرياح، وأرض تبوك لانفتاحها شديدة عصف الهبائب المثيرة للغبار . وهذه البساتين تهدى أرضها مجاناً من الدولة لعشاق الزراعة والمتشوقين لها ثم يدفع البنك الزراعي قروضاً لهؤلاء قد تصل الى مائة ألف ريال للمقترض الواحد يدفعها ـ فيما بعد ـ أقساطاً .



مخطط تقريبي لمدينة تبوك وما يحيط بها من جبال وأودية وقرى
ش
ذات حاج
بئر ابن الهرماس
جبال عاجات
ج سروري
قاع شروري
قاع
الحطب
تبوك
رائس
قصير التمر
الجرثومة
ثنية مدان
آثار شهر
حرة السليطية
والأثلة
الطريق إلى المدينة
الوادي الأخضر
حرة الرهاة
سكة حديد
طريق معبد
" ترابي
وادي
قرية

ولكن الحاصلين على هذه الأراضي جلهم من التجار والموظفين لإعراض عامة الناس عن ذلك ، بل أن ما أعطي لعامة الناس ظل لم يستثمروه ، ويقوم على هذه المزارع يمنيون يستأجرونها ، ولهم بها عناية تجعل انتاجها مضاعفاً .

في تبوك

كان وصولي الى هنا وصول موظف الى مقر وظيفته ، ونظراً لمعرفتي السابقة بالمدينة لم أقم بمقابلة غير الزملاء والرؤساء هنا ، وهي مقابلات رسمية لا سبيل الى ذكرها هنا .

وتعود معرفتي تبوك الى سنة ١٣٧٦ هـ أثر الاعتداء الذي قامت به عصابات صهيون على مصر وساعدتها دولتا بريطانيا وفرنسا ، وعرف فيما بعد بالاعتداء الثلاثي على قناة السويس،فقد أمرت الدولة السعودية بتحريك لواء من الجيش كنت أحد أفراده فقمنا برحلة برية من الطائف الى عمان ، وبين المدينة وعمان كان الطريق ترابياً متعباً ، كان أشد ما قابلناه فيه : نقرة الحيران ، ورمل ضُفَيِّر وبطن الغول . وكانت تبوك آنذاك تتكون من بويتات لبن ودكيكينات كالمستودعات ، وكانت على غزارة مائها تئن تحت وطأة الظمأ .

ثم عدت الى تبوك سنة ١٣٧٩هـ أثر عودة ذلك اللواء من الاردن[1] فاذا هي خطت خطوات لا بأس بها ، فأمضيت فيها ست سنوات تحولت خلالها من قرية صغير الى مدينة صغيرة ، وخططت تخطيطاً جميلاً ، ثم عدت اليها اليوم فاذا هي مدينة من الدرجة الثانية بالنسبة الى مدن المملكة السعودية ، ويعود انتعاش تبوك السريع الى عدة عوامل منها :

(١) سافر اللواء الحادي عشر الى الاردن في ١/٤/١٣٧٦ هـ وخرج منه في شوال سنة ١٣٧٨ هـ الى حقل .

١ ــ جعلها قاعــدة عسكرية فتضاعف عدد سكانها واحتــاج العسكريون الى المئات من المساكن لأسرهم ، وقيام منشآت ضخمه ومعسكرات آخرها المدينة العسكرية الحديثة •

٢ ــ غزارة مياهها وخصوبة أرضها •

٣ ــ تعتبر تبوك عقدة مواصلات في شمال الحجاز ، فمنها طريق الى الاردن ، وآخر الى حقل والبدع ، وآخر الى قريات الملح والجوف، وطريق الى مدائن صالح والعلا ، وطريق الى ضبة على الساحل ، والطريق الرئيسية الى المدينة ، وتمر فيها سكة حديد الحجاز بين المدينة وعمان ، وهي سكة معطلة اليوم غير أن احدى الشركات تعمل على نزع القضبان القديمة وترميم الجسور، يقال ان ذلك استعداداً لتسييرها فعسى ولعل•

٤ ــ قيام الطريق الرئيسية بين المدينة وعمان معبدة مما سهــل وصول الفواكــه والخضار من الاردن وكذلك اللحوم ومواد البنــاء والأيدي العاملة ، ومن حيث مواد البناء والأيدي العاملة تعتبر تبوك مدينة للاردنيين بجزء ليس يسيراً من نهضتها الحاضرة ، وقد سهل هذا الطريق مرور الشاحنات من بيروت وكل الشام الى المدينة وجدة مما زاد في الحركة وبخاصة قطاع اصلاح السيارات ومحطات الوقود والصيانة•

موقع تبوك

تقع على الطريق الرئيسية بين المدينة وعمان ، تبعد عن الأولى « ٧٧٨ » كيلاً وعن الثانية « ٤٥٠ » وتقع بالنسبة لخطوط الطول والعرض عند تقاطع « ٣٢َ/٣٦° طولاً ، و٢٧َ/٢٨° عرضاً » • وترتفع عن سطح البحر « ٢٥٤٣ قدماً » في سهل واسع ممتد من الجنوب الى الشمال بين سلسلتين من الجبال : جبال ضفيّر وغوانم وعاجات شرقاً ، وسلسلة حسمى وجبال الزيتة غربــاً ، ومن الجنوب حــرار الرهاة والسليطية وغيرها، ويتصل سهلها في الشمال بسرغ والشراة في الاردن،

وطول هـذا السهل قرابة مائـة كيـل من الشمال الى الجنوب ، وقرابـة خمسين كيلاً عرضاً من الشرق الى الغرب ، ومياهـه غزيرة تتدفق الى سطح الأرض في أنابيب الارتوازات • أي أن تبوك لـو استصلحت كل ارضها الصالحة للزراعة لاستوعبت مالا يقل عن مليون نسمة ، ولأصبحت المدينة من أمهات المدن في المملكة العربية السعودية بل في كل بلاد العرب •

السكـان

سكان تبوك في الأصل بنو عيطة القبيلة التي تضرب دائرة حول البلدة ، من حرة الرهاة في الجنوب مارة شرق البلدة وغربها الى قرب الكرك في الاردن ، وكانت حاضرة البلد أسرة الحميدات ، وهي بطن من قبائل الاردن استوطن تبوك من زمن بعيد ، وكان يعيش تحت حماية شيوخ بني عطية •

وعندما مر فلبي بتبوك أوهمه « عناد الغريض » من الحميدات بأن الحميدات من الكعابنة من قريش ! ونسابوا الاردن ينفون علمهم بهذا النسب ، كما أن قبيلة الكعابنة المشهورة في الاردن هي فرع من بني صخر ، والكعابنة لا يدعون أنهم من قريش وينفون كون الحميدات منهم ، ويؤكدون أن الحميدات هؤلاء من حميدات الكرك[1] ونسب بني صخر معروف لا يتصل بقريش[2] وليس لدى « عناد » ما يثبت هذا النسب ، أما ما ينفيه فمنه : نفي الكعابنة المقدم ، ثم أن قريشاً لها ميزة لا زالت تتمسك بها وهي عدم تزويج غير القرشيين •

والذي يظهر أن عناداً قرأ في بعض الكتب أن بني كعب بطن من قريش ، فألصق الحميدات بذلك ، وفي هذا الكتاب تجد ما هو أغرب من هذا كزعم أحدهم أن الحويطات من الأشراف ! وزعم فلبي : أن الشرارات من الأشراف ! •

---

(١)و(٢) انظر آخر الكتاب « قبائل الاردن » •

أما سكان تبوك اليوم فهم خليط من أنحاء الجزيرة العربية والاردن ، ولم يعد لسكانها القدامى غير تلك الأراضي التي تباع القطعة منها بملايين الريالات .

أودية تبوك

سلف أن قلنا : إن أودية تصب في سهل تبوك مما جعله مكتنزاً بالمياه الجوفية ، وهذه الأودية هي :

١ ــ قاع المعظم : نهي واسع تصب فيه أودية عديدة فيتكون ماؤها في ذلك القاع الواسع الواقع جنوب تبوك على قرابة مائةوثلاثين كيلاً ، فيه بركة المعظم المشهورة . يقال أن الملك المعظم عيسى العادل أمر ببنائها للحجاج ، ذلك أن المكان محطة بين تبوك ومدائن صالح ، وفيه محطة للسكة الحديدية ، وينتهي سيله الى الوادي الأخضر .

٢ الوادي الأخضر : واد من أكبر أودية تبوك يأخذ من حرة الرهاة فيدفع شرقاً وفيه محطة للسكة الحديدية بهذا الاسم ، ثم يجتمع به المعظم جنوب تبوك على قرابة أربعين كيلاً ثم يعرج شمالا فيمر شرق تبوك فيدفع في قاع شرورى شمال تبوك . وعلى كبر الأخضر وكثرة سيوله لم تقم به زراعة ، ولعل ذلك عائد الى أن سكانه من بني عطية ظلوا ــ كعادة أهل البادية ــ زاهدين في الزراعة والتحضر .

٣ ــ وادي الأثيل : واد يسيل من حرة السليطية وهي الحرة المشرفة على تبوك من الجنوب ، ثم يندفع شرقاً ماراً جنوب تبوك على « ١٥ » كيلاً ، ويسمى أسفله « أبو نشيفة » ثم يعدل شمالاً فيمر بطرف تبوك من الشرق فيصب في قاع المحتطب شمال تبوك[1].

(١) لمزيد من الايضاحات عن هذه المعالم انظر « معجم معالم الحجاز ».

قال عمر بن ربيعة :

وبذي الأثل من دوين تبوك أرقتنا ، وليلــة الأخراب

وقد سال وادي الأثيلي ــ كما يسمونه اليوم ــ سنة ١٣٨٣ هـ فجرف متاعاً كثيراً للجنود الساكنين قرب المعسكرات هناك •

٤ ــ وادي أبي عُجيجات : وادٍ يسيل من حرة السَّليطية من سفوحها الشمالية فيدفع شمالاً ماراً غرب تبوك بينها وبين قرية «رائس» ثم يدفع مع سابقه في قاع المحتطب ، وتقع على هذا الوادي عدة عيون منها : عين رائس ، وأم سبعة وغيرهما ، تقع في صدره قرية «الجرثومة» وهي قُريَّة قليلة النزل سكانها بنو عطية غير أن ما بها من آثار يدل على قدمها ، ثم قرية رائس على ضفته الغربية على ثلاثة أكيال من تبوك غرباً الى الجنوب ، ويقول البعض هنا : أن هذه هي تبوك القديمة ، وهو قول يحتاج الى نظر وبحث • ويملك رائس اليوم كل من كريّم العطيات ، وابن حرب من شيوخ بني عطية •

٥ ــ وادي البقّار : واد يقع غرب سابقه ، يأخذ من سفوح حرة الرهاة الغربية ومن حرة العويند ورؤافة ثم يمر غرب تبوك فيدفع مع سابقيه ، وليست به زراعة •

قال الأبيرد بن هرثمة العذري ــ وهذه ديار بني عُذْرة ــ وكان تزوج امرأة فأمهرها خمسين ناقة :

واني لسمح ، إذ أفرق بيننــا باكثبــة البقار يا أم هاشــم
فأفنى صداق المحصنات أفالها فلــم يبق الا جلّة كالبراعــم

٦ ــ وادي ضَمّ : بفتح الضاد المعجمة، وتشديد الميم: يأخذ هذا الوادي معظم سيوله من سراة حسمى الواقعة غرب تبوك ، وله فروع عديدة ثم يصب في قاع غرب شرورى ، وليست به زراعة أيضاً •

٧ ــ وادي دَبْل : يأخذ مياه جبل الطبيق « جوش » وجبال رايات ثم يدفع غرباً فيصب عند المشيطية شرقاً من حالة عمار ، ثم ينتهي سيله الى ذات حاج شمال تبوك على « ٧٥ » كيلاً تقريباً •

وليست به زراعة غير عين ذات حاج المعروفة باسم « سلمى » • وهناك أودية أخرى أصغر من هذه تركناها للاختصار ، وكل كبيرة وصغيرة من هذه الديار حواها معجم معالم الحجاز ، « وفوق كل ذي علم عليم » •

الجبال المحيطة بتبوك

تقع تبوك ــ كما قدمنا ــ في سهل واسع مستطيل تحف بــه سلاسل جبلية وحرار ومرتفعات أقل من ذلك ، ومن الجبال والحرار التي ترى معظمها من البلد[1] :

١ ــ شروري : أكبر جبال تبوك وأشهرها ، تراه منتصباً شمالاً مع ميل يسير الى الشرق ، يبعد قرابة أربعين كيلاً ، وله ذكر في الكتب الجغرافية القديمة •

٢ ــ جبال ضُفَيّر : بضم الضاد المعجمة ، وفتح الفاء ، وتشديد الياء ، وقد تقدمت الاشارة اليه : سلسلة جبلية ممتدة من الجنوب الى الشمال تمر شرق تبوك ، يخترقها الطريق الى المدينة ، سيولها الشرقية في وادي ثجر : واد يتجه مشملاً كثير الروافد وفيه بئر ثجر المشهورة اليوم باسم « بئر فجر » ورأسه جنوب القليبة عند السلاعو ، ويعرف اليوم بوادي فجر ، يصب في قاع واسع جنوب شرقي جبل الطبيق • ومياه ضفير الغربية في الوادي الأخضر الذي يمر بينها وبين تبوك •

٣ ــ غوانم جمع غانم : هي آخر سلسلة ضفير من الشمال ،

(١) انظر المخطط في الصفحة (٣٩) من الكتاب •

تراها من تبوك شمالاً شرقياً وراء الوادي الأخضر ، يمر غربها الطريق الى مغيراء الطبيق وقريات الملح ، مياهها الى قاع شروری •

٤ ــ عاجات : جبال شمال تبوك ترى بالعين ، تشرف على بئر ابن هرماس من الشرق ، ويتصل بها من الجنوب الشرقي شروري ، وهي على شكل قور يمر الطريق الى عمان بسفوحها الغربية •

٥ ــ حِسْمَى : اسم قديم لسلسلة الجبال التي تمر غرب تبوك موغلة شمالاً حتى تدخل في اقليم الشراة الأردني ، والاسم اليوم يطلق فقط على طرفها الجنوبي ، وكانت حسمى مساكن جذام ، وأعظم جبل بحسمى هو جبل اللوز يرتفع «٢٠٩٨» قدماً ، وجبل الشوق، وتتصل حسمى في الجنوب بحرة الرهاة ، ويبلغ أعلى ارتفاع في جنوبها «٤٠٠٠» قـدم •

قال كثيّر عزة :

سيأتي أمـير المؤمنين ، ودونـه جماهير حسمى:قُورُها وحزونها

تجاوب أصدائي بكـل قصيدة من الشعر مهداة لمـن لايُهينُها

ومن حسمى « علقان » أرض ذات قور طوال مصمعدة مصعدة في السماء لا يرقى معظمها •

٦ ــ جبل الزاوية : جبل تراه من تبوك مغيب الشمس بارزاً من بين تلك السلسلة ، والزاوية المنسوب اليها هي التقاء حسمى بحرة الرهاة ، الأولى مجنبة والثانية مشرقة ، فصار التقائهما يشبه زاويـة المثلث ، وهي أرض طيبة المرابع •

٧ ــ وتروشيبان : جبلان بارزان على ظهر حرة الرهاة ، تراهما من تبوك قبلة المصلى ، ولا يذكران الا معاً دائماً •

٨ ـ حرة الرهاة : تقع جنوب تبوك وكل مياهها الى هذا السهل العظيم ، ممتدة من الشرق الى الغرب ، وتكاد تكون الحد بين بني عطية شمالاً وبلي جنوباً ، وقد حرفها بعض الباحثين فدعاها « الرحا» وهو خطأ نتج عن ترجمة رحلات الأوربيين •

٩ ـ حرة السليطية : هي الحرة التي تشرف على تبوك من الجنوب ، وقد ذكرت في غزوة تبوك باسم حرة تبوك ، ومياهها في ثلاثة أودية كلها تصب في تبوك : وادي الأثيل شرقاً ، وأبو عجيجات شمالاً ومياهها الغربية تنصب في وادي البقار •

١٠ ـ جبل الطبيق:تصغير طبق: ليس من جبال تبوك ولكنه مما يتردد اسمه هنا ، والمسافات في المناطق الصحراوية ليست من الفوارق الكبير ، يقع هذا الجبل الضخم على الحدود بين الاردن والسعودية شمال شرقي تبوك بما يقرب من مائتي كيل • معظم مياهه في وادي ثجر ، وفيه آثار كلوة الاتية ، وكان يسمى قديماً « جَوْش »

قال النابغـة :

ساق الرفيدات من جَوْش ومن حَدَدٍ
وماش من رهط رِبعيّ وحجار

وقال المتنبي :

طردتُ من مصر أيديها بأرجلها حتىمرقنَ بنا من جوش والعَلَم

والعَلَم جبل يقع جنوب جوش على الجادة القديمة ، ليس بعيداً من بئر ثجـر •

الآثار حول تبوك

١ ــ شَوْهَر : والآثار فيه تسمى « رجوم شوهر » : بنايات على شكل رجوم مربعة الشكل صغيرة الحجم لا يتسع أحدها لأكثر من شخصين ، وبابه ضيق لدرجة أنه لا يسع الرجل البدين ، مخطط لها تخطيطاً عسكرياً بحيث تقع حول تبة عالية فتغطي جميع الطرق المؤدية الى تلك التبة على شكل دفاعي متناسق ، وتقع على تلك التبة « شوهر » القلعة الرئيسية التي كانت ــ ولا شك ــ مقر القائد أو الحاكم ، والبنايات كلها بالحجر الجاف لا أثر للنورة فيها مما يدل على أنها قبل عهد النورة ، واعتقادي أنها نبطية أو لحيانية ، تبعد شوهر «١٥» كيلاً جنوب تبوك في السفوح الشمالية لحرة السليطية •

٢ ــ رؤافة : آثار نبطية تقع جنوب تبوك على « ١٢٠ » كيلاً تقريباً ، يخرج الطريق اليها على رائس ثم يقطع وادي البقار فيمر في الزاوية ثم يعدل جنوباً فشرقاً ، فيها بنايات تدل على حضارة سادت هذه الديار القاحلة اليوم ، ويظهر أنها كانت مصيفاً لارتفاع أرضها ونزاهة موقعها ، وأعظم أثر هنا بناء مربع بحجارة الحرة يبلغ ضلعه قرابة « ٩ » أمتار ، لازال في حالة حسنة ، والى جانب ذلك آثار أخرى ، ليس من المستطاع تمييزها لغير الخبير في الآثار • وقد تحدث عنها عبد الله فلبي في رحلته « أرض مدين » وذكر أن بناءها يعود الى « ١٦٥ » ب م • وهو استنتاج منه وتفسيراً لنقش هناك لا زال ظاهراً •

٣ ــ قُصَيْر التمرة : بقايا قصر أثري يقع جنوب غربي تبوك على « محجة مدران » يبعد عن المدراة « ثنية مدران » بستة أكيال شمالاً ، وعن تبوك ثمانية أكيال ، وطريقه على رائس ثم على الخور •

٤ ــ ثنية مدران : وتعرف اليوم بالمدراة ، ولعله اسمها القديم تصحف : ثنية لها ذكر في السيرة في غزوة تبوك ، تقع جنوب تبوك على « ١٤ » كيلاً ، على المحجة القديمة وهي طريق تخرج من تبوك على رائس ثم قصير التمرة ثم المدراة ، وكل ما قيل فيها غير ذلك فهو خطأ وانظر تفاصيل أوفى في « معجم معالم الحجاز » وسيل هذه الثنية يدفع الى وادي البقار ، وأعتقد أن لقصير التمرة علاقة تأريخية بها ، والمسافة بينهما ستة أكيال كما تقدم •

٥ ــ عين تبوك : عين كانت تسقي كل بلدة تبوك ، ولها قنوات وبرك عمرت على مر الزمن لسقي الحاج ، ويقال انها هي العين التي وردها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة تبوك ، وتسمى « عين السِّكر » وهو نبات يكثر هنا ، من أكل منه ظهرت عليه علائم السكر •

ثم دخلتها جرثومة البلهارسيا فصار من يشرب أو يستحم فيها يتبرز دماً ظاهراً فيظن العامة أنه الحيض ! فصاروا يقولون : من شرب من عين السكر حاض • ثم اندثرت اليوم فلم تبق غير جدر البرك والقنوات ، أما الماء فقد غار وانقطع •

٦ ــ كلوة : وهي في لهجة العامة تعني « كلية » آثار في جبل الطبيق المتقدم في الجبال ، تبعد شمال قرية « مُغَيَراء الطبيق » بما يقرب من ثمانين كيلاً ، وتتكون من قصر وبركة للماء ، ومجار تجلب الماء من الجبل الى البركة ، والمكان كان محطة للحاج غير أن الآثار تشبه آثار الأنباط الذين كانوا ينتجعون هذه الأماكن ، ويفرون اليها من الروم •

٧ ــ القُرَيَّة : آثار قرية نبطية مندثرة تقع غرب بئر ابن هرماس الى الجنوب قليلاً ، وأعظم أثر فيها قلعة أو قصر قديم ، وهو بناء ضخم يزيد طوله عن « ٩٠٠ » متر وعرضه يقرب من « ٢٧٠ » متراً وحولها آثار بلدة لم يبق من أكثرها غير أساسات ومجاري مياه • وقد أسهب في وصفها (فيلبي) في كتابه « أرض مدين » •

القرى التابعة لمدينة تبوك

تتوسط مدينة تبوك صحراء ظلت قاحلة قليلة السكان الا من تلك العيون التي تشمل حيزاً لا يزيد عن تسعة أكيال مربعة ، غير أن حظها في القرى أحسن من حظ جارتها تيماء ، فعلى مر الزمن كانت تقوم مناهل وقريات حول واحة تبوك ، وفي هذا العهد تقدم بعضها قليلاً ، ومن هذه القرى :

١ ــ بئر ابن هِرْماس : كانت بئراً على طريق الحاج شمال تبوك على « ٦٠ » كيلاً ، ويقول بعض أهل هذه الديار : إن ابن هرماس من شيوخ بني عطية حفر هذه البئر[1] • وفي العهد هذا صار فيها أمير ومدرسة وتقدمت نسبياً •

٢ ــ ذات الحاج : بتخفيف الجيم ، والحاج نبات يكثر في هذه الديار : محطة للحجاج قديمة ، ثم صارت احدى محطات سكة حديد الحجاز ، ثم وضع فيها جمرك الحدود الشمالية إلى أن نقل إلى « حالة عمار » ، تقع شمال تبوك على « ٧٥ » كيلاً بينها وبين حالة عمار ، وجنوب حالة عمار إلى الغرب قليلاً بحوالي « ٢٩ » كيلاً ، وقد تأخرت اليوم ، وقد يعود إليها الأمل عند تسيير السكة الحديد ، ولها عين تسمى « سلمى » منها شرب السكان •

وذكرها ياقوت فقال : حَاجٌ ، آخره جيم : ذات حاج : موضع بين المدينة والشام • وقرأت عنها في احدى رحلات الحجاج ، وقال أحدهم أن لجميل بثينة بيتاً على ذات الحاج •

---

(١) أوضحنا ذلك عند الحديث عن قبيلة بني عطية •

٣ ــ الجرثومة:قرية شبه مندثرة فيها بيت لبن أو بيتان ومجموعة من بيوت الشعر جنوب تبوك على وادي أبي عُجيجات ، على ما يقرب من تسعة أكيال من تبوك •

٤ ــ رائس : بلدة قديمة زراعية غرب تبوك بثلاثة أكيال ، ويقول البعض انها كانت أم المنطقة أو هي تبوك الأولى ، وهو قول فيه نظر ، قال النعمان بن بشير :

يا خليليّ ودعا دار ليلى	ليس مثلي يحل دار هوان
إن قينية تحل محبّاً	وحفيراً فجنتي ترفلانِ
لا تؤاتيك في المغيب إذا ما	حال من دونها فروع القنان
إن ليلى ولو كلفتُ بليلى	عاقها عنك عائق غير وانِ
كيف أرعاك بالمغيب ، ودوني	ذو ضفير فرائس فمعان[1]

وتأخرت رائس فيما بعد ، وقوامها اليوم بستانان أحدهما لعيد ابن حرب والثاني لكريّم العطيّات ، وهما شيخا بني عطية اليوم •

٥ ــ عُيَيْنة : تصغير عين :

قرية صغيرة غرب بئر ابن هرماس بما يقرب من عشرين كيلاً على الطريق إلى حقل والبدع ، في الطرف الشمالي الغربي لسهل تبوك ، ويدل اسمها على أنها كانت عيناً ثم صارت قرية ، وعليها مأمور طارفة تابع لتبوك هو اليوم صديقنا حماد بن راشد منقرة ، أهل بيته شيوخ بلّي السراة •

---

(١) معجم البلدان « ضفير » •

لمحة من تاريخ تبوك

كانت تبوك معروفة قبل الاسلام ، وكانت خاضعة لحكم الروم وخلال هذا الحكم دخلت في حكم العرب الأنباط فترة من الزمن ، ولا بد أن حكم دولة لحيان التي كانت عاصمتها الخريبة بالعلا قد امتد الى تبوك •

وجل ما نجد من تأريخها في الكتب العربية تلك الغزوة المشهورة بغزوة تبوك ، فقد أورد كل من ابن هشام في السيرة النبوية ، وابن سعد في الطبقات الكبرى ـ مع اختلاف في التعبير ـ ما ملخصه :[1]

عزم رسول الله سنة تسع للهجرة في شهر رجب على غزو جموع جمعتها الروم بالشام حيث جاء: ان هرقل ـ ملك الروم ـ رزق أصحابه لمدة سنة كاملة ، وأجلبت معه لَخْم وجُذام وعاملة وغسّان وقدموا مقدماتهم الى البلقاء •

فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الناس إلى الخروج وأعلمهم بوجهته ، وذلك خلاف عادته إذ كان اذا أراد مكاناً ورّى بغيره « والحرب خدعة » وأرسل إلى مكة واستنفر العرب ، وكان الوقت قيظاً شديد الحر والناس في عسرة وحاجة ، ولذا سمى ذلك الجيش جيش العسرة •

واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري ، وعلى أهله علي بن أبي طالب رضي الله عنه • وكان عبد الله بن أبيّ قد جمع جيشاً

(١) طبقات ابن سعد ج٢ ص ١٦٥ وما بعدها ، والسيرة ج ٢ ص ٥١٥ وما بعدها •

كثيفاً من حلفائه اليهود والمنافقين فعسكر على ثنية الوداع[1] فلما سار صلى الله عليه وسلم ، تخلف عبد الله بذلك الجيش .

فسار رسول الله فمر بوادي القرى ثم مر على الحجر « مدائن صالح » فنهى أن يشرب من ماء بئرها أو يعجن به عجيناً ، ودعا الله فأمطرت سحابة شرب الناس منها ، ثم سار حتى قدم تبوك في ثلاثين ألفاً ، فأقام بها عشرين ليلة يقصر الصلاة[2] ، وهرقل مقيم بحمص من أرض الشام .

ثم أرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر بدومة الجندل[3] فوجده يصيد البقر في ليلة قمراء فأسره وقتل أخاه حسّاناً فقدم خالد بأكيدر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن دمه وصالحه ثم أعاده إلى قريته .

وكان رسول الله قال لخالد : ستجد أكيدر يصيد البقر ، وقد صدق صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك يقول بُجَيْر بن بجرة الطائي :

تبارك سائق البقرات إني ... رأيت الله يهدي كل هادِ
فمن يك حائداً عن ذي تبوك ... فإنا قد أمرنا بالجهادِ

قلت : وهذا الشعر ، وتصريحه صلى الله عليه وسلم بغزوة تبوك يشهدان أن اسم تبوك كان معروفاً قبل الغزوة ، خلافاً لمن قال : ان اسم تبوك اشتق من قوله : « مازلتما تبوكان منذ اليوم»[4] . وان هذا الحديث لا يصمد للبحث . كما أن ابن هشام يروي أن ذلك الماء

(١) ثنية بطرف جبل سلع من الشرق .
(٢) وفي السيرة بضعة عشرة ليلة .
(٣) قرية من الجوف شمال شرقي تبوك على قرابة ٤٥٠ كيلا .
(٤) معجم البلدان « تبوك » .

الذي نهى رسول الله عن مسه هو في الطريق وليس عين تبوك ، وأنه في وادي المشقق في الطريق ، وأنه صلى الله عليه وسلم ، وضع يده تحت الوشل ، فجعل يصب في يده ثم ينفحه به فانخرق الصخر فظهر الماء ثجاجاً . ولم يورد ذلك الحديث . والوشل لا يكون الا من صخر ، وليس في تبوك صخر ، بل سهل تنبع عيونه نبعاً غزيراً . فالرواية اذاً على مكان في الطريق لم أتبينه بعد ولعل اسمه قد تغير .

ومما تقدم يثبت لدينا أن اسم « تبوك » معروف قبل الغزوة .

وينقل لنا الجاسر عن موزل « يذكر بطليموس اسم محلة تعرف بتباوا « Thapaua » عند الحدود الشمالية الغربية لبلاد العرب السعيدة » جغرافيا ٧١٦ ق ٢٧ .

واني أعتبر هذا الاسم ـ الكلام للجاسر ـ تحريفاً لكلمة «تبوكا « Thapaucu » أو تبوك ، إذ ينطبق المكانان كل منهما على الآخر .

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يُحنَّة بن رؤبة ، صاحب أيلة[1] فصالحه وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح[2] فأعطوه الجزية ، فكتب لهم عهداً بذلك[3] .

وما أن تم فتح الشام حتى تلاشت أهمية تبوك ، فانكفأت على نفسها وعاشت كمورد للبادية وربما سوق صغيرة ، فلما صار أهل الأمصار يؤمون بيت الله قوافل متلاحقة كانت تبوك في هذه المفازة منهلاً ومحطة ذات قيمة .

---

(١) هي العقبة اليوم : ميناء الأردن ، مدينة متقدمة وذات موقع استراتيجي هام .
(٢) سيأتي ذكرهما في معان .
(٣) السيرة لابن هشام طـ٢ ش الحلبي ، ص ٥٢٥ المجلد الثاني .

وفي أواخر العهد التركي كان لتبوك حاكم مسؤول عن الأمن في الطريق بين تيماء والعـــلا ومعان وأيلة ثم تضاعف نشاطـــه واتسعت مسؤولياته عند وصول سكة الحديد إليها سنة ١٩١١ ــ ١٩١٢ م وتململت البلدة فدبت فيها الحياة قليلاً، ولكن ما أن جاءت سنة١٩١٦م حتى أعلن العرب الثورة ضد الدولة العثمانية فاهتزت هذه القرية لدوي القطارات المسرعة إلى المدينة بالمؤن والجنود ، ودمرت أجزاء من الخط الحديدي كضرورة حربية وعمل استراتيجي فتدمر مع ذلك أمل هذه القرية ، وغادر الأتراك البلد فحلت محلهم السلطة الهاشمية فعين للبلد حاكم ، غير أن لسلطة الفعلية على القبائل والبوادي ظلت ــ كما كانت في العهد التركي ــ لشيوخ بني عطية ، وكان مقدموهم ثلاثة : أبو دميك ، وعيد بن حرب ، وكريم العطيات • ثم دخلت المدينة في العهد السعودي فعين لها أمير من قبل الدولة ، ثم توالى عليها عدد من الأمراء كان آخرهم ثلاثة من السداري هم : خالد مساعد ثم سليمان ، أميرها الحالي وما أن أهلت سنة ١٣٧٤ هـ حتى بدت تبوك تستعد لتكون قاعدة عسكرية ضخمة بحكم موقعها الجغرافي فبدأت تنتعش في قفزات ما كان أحد يظن أنها تبلغها ، وها هي اليوم من مدن الدرجة الثانية ، وأعتقد أنها ستبلغ الأولى حتماً •



٢

قبائل شمال الحجاز

ليس لدينا تحديد جغرافي لما نسميه « شمال الحجاز » غير أني هنا أطلقته على كل المنطقة الواقعة شمال المدينة إلى حدود الاردن ، وهي منطقة شاسعة يبلغ طولها قرابة تسعمائة كم ، ويبلغ عرضها ما يقرب من سبعمائة • وكثيرون يعتبرون شمال الحجاز ما جاوز مدائن صالح شمالاً وكل هذه آراء فردية إذ أن المقصود هو الجزء الشمالي من اقليم الحجاز ، وهذا تعبير قد يضيق وقد يتسع حسب المناسبة •

وهذا الجزء ــ كباقي الحجاز ــ يتكون من غور وجَلْس وسراة، فالجلس هنا : هي المنطقة الممتدة من المدينة إلى حدود الاردن على طول الطريق وجانبيه ، وفيها من المدن والقرى ما تحدثنا عنه آنفاً •

والغور : هي المنطقة الساحلية من ضبة وما حولها إلى العقبة شمالاً ، وكل ما سال إلى البحر فهو غور •

أما السراة : فهي تلك السلسلة الجبلية التي تبدأ من وادي الحمض مارة غرب العلا ، ومنها : سراة بلي ، ومرتفعات حسمى ، وجبل اللوز، وغيرها • وأهم أقسام شمال الحجاز :

١ ــ حرار خيبر : تلك الحرار الممتدة من شمال الصويدرة والحناكية[1] إلى ما وراء خيبر في الشمال الشرقي ، ويطلق اليوم على القسم الأكبر منها « حرة هتيم » ، وكان شمالها حرة ليلى وجنوبها حرة النار •

---

(١) انظر : الرحلة النجدية عن الحناكية والصويدرة وما حولها •

٢ ــ الجناب : ويعرف اليوم بالجهراء : صحراء تمتد من حفيرة الأيدا إلى تيماء ٠

٣ ــ الحول : بضم الحاء المهملة : مساحة واسعة جدباء ، تمتد من تيماء إلى جبل الطبيق ، وبائر في الأردن ٠

٤ ــ حسمى : سلسلة جبلية كثيرة المرتفعات والأودية تمر غرب تبوك حتى تدخل الشراة في الأردن ، تسيل أوديتها شرقاً في سهل تبوك، وغرباً في البحر الأحمر ٠

٥ ــ سراة بلي : هي امتداد حسمى في الجنوب إلى وادي الحمض « إضم » من أهم أوديتها وادي الجزل إلى وادي الحمض ، ووادي « بدا » في الغور ووادي « شغب » في الغور أيضاً ، وأودية عديدة[١] ٠

٦ ــ مدين : يطلق على القسم الواقع على سفوح حسمى من الغرب ، انظره في « رحلة في مدين » بعد هذا الفصل ٠

٧ ــ تهامة بلي : هي المنطقة الواقعة على السفوح الغربية لسراة بلي إلى البحر ، ومن مدينة الوجه جنوباً إلى مدينة ضبة شمالاً ٠ تليها من الشمال تهامة الحويطات وهي ــ في هذا الكتاب ــ داخلة في أرض مدين ٠

ويسكن شمال الحجاز ست قبائل رئيسية بعضها تشترك سكناه في الحجاز والأردن ، ذلك عدا الأسر الكبيرة كالحميدات في تبوك وآل رمان في تيماء ، وقد تقدم الحديث عنهما ٠

وهذه القبائل هي : بَلِيّ ، والحويطات ، وبنو عطية ، وبنو رشيد ، والشرارات ، وعنزة ٠ وسيأتي الحديث عن كل منها مفصلاً ٠

(١) فصلت تلك النواحي في « معجم معالم الحجاز » ٠

قبيلة بَلّي

قبيلة عربية عريقة لا زالت في مساكنها الأولى ، هي من أشهر بطون قضاعة ، فهم بنو بلي بن عمر بن الحافي بن قضاعة •

كان منهم عدد من مشاهير الصحابة رضوان الله عليهم •

كانت في صدر الاسلام تسكن حول وادي القرى « وادي العلا اليوم » إلى ديار جذام « حسمى وما حولها » إلى سيف البحر ، تجاورها عذرة من قضاعة في الجناب والحول إلى قرقر[1] وجذام كما قدمنا ، كما قدمنا ، وجهينة في مساكنها اليوم جنوب وادي الحمض إلى ينبع ، ثم هاجر العديد من بلي الى السواحل الغربية للبحر الأحمر فكاثروا غيرهم في شمال شرقي السودان ، فقضوا على حكم أهل النوبة وحاربوا الحبشة ، وهاجر قسم كبير من بلي إلى الشام ، فنادى رجل من بلى : يا آل قضاعة ، فبلغ عمر بن الخطاب ، فكتب إلى والي الشام أن يسير ثلث قضاعة ، فسكنوا مصر وكثروا هناك فكان عليهم قسم كبير من درك الحاج •

وقال بعض المؤرخين : إن بلياً كانت في مصر في عهد ظهور النصرانية ، وكانوا بين القصير وقنا — من مصر — وكان عليهم الاعتماد في نقل التجارة الهندية قبل ظهور الاسلام •

وفي الاسلام : انضمت بلي إلى هرقل في غزوة مؤتة ، وكان معه من العرب عدد كبير من : جذام وبلي وبلقين ولخم وبهراء ، بلغ مائة ألف محارب عليهم رجل من بلي •

---

(١) مكان من شمال غربي دومة الجندل ، وكان الاسم يطلق على وادي السرحان اليوم •

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عمرو بن العاص في سرية ، إلى ديار بلي فقاتلهم ٠

وقدم وفد من بلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، سنة ٩ هـ ، فأسلموا فقال لهم : الحمد لله الذي هداكم للاسلام ٠

وسارت بلي سنة ١٤ للهجرة مع هرقل إلى انطاكية ٠

ومن بطون بلي القديم : بنو فَرّان وبنو سعد الله وبنو وائلة ، وبنو فضالة ، وبنو عمرو وبنو قسميل وبنو ناب وبنو هزم[1] ويذكر الجزيري أن درك الحاج في القرن العاشر الهجري كان على بلي حول الأزلم ، وعليهم أحمال من نقل الحاج ومؤنته ، وعدد بعض بطونهم قال :

فعربان بلي وهم بدن عديدة ، منهم أهل درك بالدرب الشريف فقط ، ومنهم أهل حمل ودرك ، كالجعافرة ، ومنهم أهل حمل فقط ، وعدد من بطونهم : عساكرة الهضبة ، وعساكرة النجلة ، والمطارفة ، والعشمة ، والغمرة ، واليزدة ، والعرادات ، والنزازيل ، والجباهين ، والجبور ، والجرابيع ، والفور ، والمعنة والنواجحة ، ومخلد ، وبطون أخرى[2] ٠ ويعيب الجزيري هنا أنه يدخل بطوناً من غير بلي ويدخل من بلي بطوناً في غيرها ؛ فهو يعدد أهل الأحمال والدرك ، والقبائل في المواسم تختلط وقد تتشارك فلا يدرك ذلك غير ابن البيئة ٠

---

(١) نهاية الأرب « بلي » الاشتقاق لابن دريد « ٥٥٠ » معجم قبائل العرب « بلي » سبائل الذهب « ٢٣ » ٠

(٢) درر الفوائد المنظمة ص ٤٠٨/٤٠٩ ٠

بلي اليوم

تمتد ديار بلي اليوم من ساحل البحر الأحمر الشرقي شرقاً إلى سكة حديد الحجاز ، وشمالاً إلى حرة الرهاة من جهة بني عطية ، وجبل شار وما حوله من جهة الحويطات ، أما على الساحل فتمتد ديارها من جنوب الوجه إلى جنوب ضبة ، أما في الداخل فيعتبر الحدّ بينها وبين جهينة ، وادي الحمض ، جهينة جنوبه ، وبلي شماله .

وتجاورها أربع قبائل رئيسية : عنزة في الشرق ، وبنو عطية في الشمال الشرقي، والحويطات في الشمال الغربي في التهائم ، وجهينة من الجنوب.

ومن أهم أوديتها : الجزل ، وشغب ، وداما أو أدامى ، وهو الحد الفاصل — في تهامة — بينهم وبين الحويطات .

الحالـــة الاجتماعية

قويت شوكة بلي في القرنين الثالث عشر وأول القرن الرابع عشر الهجري حيث صارت تغزو جيرانها من عنزة والحويطات وبني عطية ، وظهر فيها شيوخ أقوياء يقال لهم المناقرة واحدهم « منقرة » وقد وصل أمرهم إلى أن غزو « حائل » فأغار عليهم ابن رشيد فدمر قاعدتهم « جَيَدْة » وعضد نخلها فتحولوا عنها إلى المروة بوادي الجزل ، ثم غزوا عنزة غزوات متعددة منها غزوة «عَرَيدة» قتلوا فيها فرحان الأيدا شيخ ولد على قسم كبير من عنزة في الحجاز .

وكان لهم شاعر مصقع يدعى « التّلّفَيْه » يحرضهم ويشيد بأبطالهم ويحط من معنويات خصومهم [1] يقول التلفيه :

---

(١) انظر أخبار هذه الغزوات في : جيدة ، وعريدة ، وبرد وتذرع والنقيعة ، في « معجم معالم الحجاز » .

ممدنا من جَيْده اللي تخبرون   وعلى اللبيدي مرسلين النطيرة[1]
ساقه عقيد كنه الذيب مجنون   يمد من ديره ويصبح بديره

وفي مكان آخر يقول :

يا برد لا هبت عليك النسانيس   ولا جاك من وبل الثريا نزيه

وكانت أعمال المناقرة قد جلبت لها العداوة من جيرانها فلما وصل الحكم السعودي هذه الديار وجد أولئك الجيران الفرصة سانحة لتأديبها تحت ستار الدولة فأرهقت بلي وقاومت كثيراً حتى غلبت ، ثم حاول حامد بن عمار الأعور من بني رفادة المعروف عند العامة بـ « العَوَر »الخروج فقاتله جيش عبد العزيز بقيادة ابن عُقَيِّل فقبض عليه وقتل ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

يوم مضى في « شار »[2] ما مثله مثيل
قوم العَوَر في قاعته راحو عدام

ومشيخة بلي محصورةفيقبيلة البركات ، وشيوخهم : الرفادات ، واحدهم ابن رفادة ، وهم شيوخ بلي التهم وحاضرتهم الوجه ، والمناقرة: واحدهم « منقرة » وهم شيوخ بلي السراة ، وكانت قاعدتهم جيدة ، ثم تحولوا إلى أسفل وادي الجزل ، والمناقرة أول من انضم إلى ابن سعود ، وهذا قولهم ، والثابت أنهم ضموا بعد هجوم عنزة عليهم وقناعتهم أن الامتناع ليس في صالحهم ، ومن المناقرة اليوم راشد وابنه حماد أمير عيينة من نواحي تبوك .

---

(١) اللبيدي : مراتع في قلب ديار عنزة .
(٢) جبل لبلي .

ولكن الرفادات كانوا ـ في العهد التركي والهاشمي ـ أكبر مقاماً وأكثر أهمية حيث وصل شيخهم سليمان ـ معاصر الحسين ـ وابنه ابراهيم إلى درجة الباشوية ، وقد أدرك ابراهيم باشا ابن سليمان باشا ابن رفادة عبد العزيز آل سعود ، وحامد الأعور المتقدم ابن عم سليمان .

ومن بلي اليوم قبائل عديدة في مصر والسودان ، ومنهم في الأردن « عرب المعاقلة » وفي فلسطين ذكر عارف العارف أن منهم أناساً هناك .

وفي أول قيام الدولة الأردنية كان الكثير من أبناء بلي يذهبون إلى هناك ويتجندون في الجيش العربي[1] ، فوصل بعضهم إلى رتب ممتازة، وأبناء بلي حاذقون ـ بفطرتهم في الأعمال الادارية .

---

(١) هو اسم الجيش العربي الاردني إبّان تأسيسه والى عهد قريب .

فـروع قبـيلة بـلي

تنقسم بلي إلى فرعين كبيرين هما : خُزَام ، مَخْلَد .
وتنقسم خزام إلى :
١ ــ وابصة : ومنها :
آ ــ القُردان : وفيهم رئاسة وابصة عموماً .
ب ــ الخضرة ، والنسبة إلى خُضيري .
حـ ــ القواسمة .
د ــ الزروط .
هـ ــ العضيات .
و ــ الجعايطة .
ز ــ اللوطة .
ح ــ السبوت .
ومساكن وابصة : بدا والكُر والنجد ، من تهامة بلي .
٢ ــ المواهيب : وفروعهم :
آ ــ الشوامي : واحدهم أبو شامة .
ب ــ السراحين : واحدهم سرحاني ؛ وعليهم الدعوة التي يدعونها على الأبل « عسى تأخذك السراحين » .
حـ ــ العودة .
د ــ الدغامين .
هـ ــ المناصير .

وسكنى المواهيب : حرة المواهيب من عويرض جنوب تبوك ، ولهم من القرى : ثَرِبَة ، وسلال . وهناك قول بأن المواهيب من عنزة انضمت إلى بلي .

٣ ـ الفواضلة : والنسبة إليهم فاضلي وفروعهم :
آ ـ الذراعين ، وفيهم رئاسة الفواضلة •
ب ـ الرقاقصة : واحدهم « رقيقيص » •
حـ ـ الحميطات •

وليست هذه كل فروع الفواضلة ، ولكن هذا ما وصل الينا •

مخلـــد :

ومخلد ، القسم الثاني من بلي،وهو القسم الأكبر ، وفيه الشيخة، وفروعــه :

١ ـ الحُمَر : واحدهم حُمَري ، ومن فروعهم :

آ ـ الحميدات ، ومنهم : العوّادين والصوالحة ، والنصاصير من الصوالحة •

ب ـ القبل : واحدهم قبلي ، ومنهم : السّليم • ولعل السليم هؤلاء هم الذين توهم بعض الكتاب عندما سمع عنهم فقال : إن من بني سليم بن منصور بقايا لا زالت قرب وادي القرى •

حـ ـ آل محمد •
د ـ السيف •

وسكنى الحمر وادي الجزل ومغيراء النشيفة •

٢ ـ الزّبّالة : والنسبة إليهم زبّالي ، هم الفرع الثاني من مخلد، ومن فروعهم •

آ ـ العصابين : ومنهم : الهلّيلات ، والنصار ، والزُويّدات ، والطرائفة ، والكُذَيبات ، والكحاتين ، والمسافرة ، والدحاجيــة ، والرضيمات ، والطباعين •

ب ـ البُوَينات : ومنهم الصبحة •

ج ــ المشاعلة : ومنهم : السليمان ، والمضغة ، والشطايطة •
د ــ السرابطة : واحدهم سُريبطي ، ومنهم : السّهيّات •
هـ ــ القراعطة •
و ــ الخشمان : واحدهم «أبو خشيم» ومنهم: اللمعة ،والفوالحة•
ز ــ المساعرة • « مسعري » •
ح ــ الشتاوية : « ذوو شتيوي » •
ط ــ الجراذان : ومنهم : العوامرة •
ى ــ السميرات : ومنهم : الرواشدة ، والمقابلة ، والرشيدات •
ك ــ الجذول •
ل ــ الجحوم •
ومساكن الزبالة السفوح الشرقية لسراة بلي مما يلي الجزل ، ولهم من الهجر : الورد وإثار والنحيتة والقطبة وشويمة •

السحمة :

٣ ــ السحمة : الفرع الثالث من مخلد ، والنسبة إليهم سيحمي ــ بالتصغير ــ وأصلهم من عوف من حرب ؛ وتنقسم إلى قسمين :

آ ــ السالم : ومن فروعهم : المظهر ، وفيهم الرئاسة ، ومنهم : المهنى والفضل • والعقلا : الفرع الثاني من السالم • والقطيبات ، والحمود ، والمسفر ، والعائض •

ب ــ الجمعان : ومن بطونهم : السليمان ، ومن السليمان ، المعدّى • والرواحلة ، والزبن • ومن الرواحلة : الجَبْر والجبارة •

ومساكن السحمة الجزل ولهم فيه : أبو راكة وتفيهة قريتان •

العرادات :

٤ ــ العرادات : بالتخفيف ، والنسبة اليهم عرادى : بطن أصله

من البلادية من حرب كانوا سكان أم العيال بوادي الفرع فقتل كبيرهم كريدم رجلاً من بشر من حرب ، فجلا وقسم من العرادات حتى نزل ديار بلي ، بينما جلا قسم آخر من العرادات إلى خليص ، ومن الأخيرين كاتب هذه الرحلة وانظر أخبارهم في « نسب حرب » .

ويوجد من العرادات نفر في فلسطين حول بئر السبع[1] ذكرهم عارف العارف في كتابه قبائل بئر السبع .

ويميز العرادات هؤلاء — الذين نحن بصددهم — بعرادات بلي ، ومن فروعهم :

آ — البُويّات : ومنهم : السُّيَدَة ، واحدهم « سُيَيْد » والمداعمة والوثرة ؛ وسكناهم أبو القزاز والعرجاء من تهامة بلي .

ب — الهشيمات : ومنهم : الشهابين ، واحدهم « ابن شهبي » وفيهم الرئاسة ، والقياضين ، ومساكنهم وادي المياه جنوب الوجه .

ح — القرون : ومنهم : العوضات ، واحدهم «عوضي» والقلاقلة، واحدهم « مقلقل » . والسعيدات . ومساكن القرون جنوب الوجه على سيف البحر ، ولهم : البركة والنابع ووجرة الشظوة ، قرى .

د — الوعاوعة : واحدهم « وعوع » مع قومهم المتقدمين .

البركات :

ه — البركات : والنسبة إليهم « بركي »

وأصلهم من الصواعد من عوف من حــرب ، دخلوا في بلي ؛ ويظهر أن قبيلة بلي كانت قد أتى عليها طور ضعف فصارت تستقبل

---

(١) حرف اليهود اسمها الى « بئر شيبع » .

طالبي الملجأ فتكاثرت فعاد إليها عزها حتى صارت ـ كما قدمنا ـ تغزو كبار القبائل كشمر وعنزة • ومن فروع البركات :

آ ـ المعاقلة : ومنهم : الرفادات « ابن رفادة » شيوخ بلي كافة ، وانما عندما ظهر المناقرة ونبغ فيهم سنيد ومسند ـ أخوان ـ صارت لهم قيادة بلي الشفا «السراة» • والمجدوع ، والعوامرة ، وديار المعاقلة• تهامة حول الوجه • ومن المعاقلة بطن في الأردن يعرف بعرب المعاقلة • ومن المعاقلة في بلي أيضاً : الصوامعة والمسعود ،•

ب ـ الفريعات : ومن بطونهم : المناقرة « المنقرة » وهم شيوخ البركات في الشفا ، ومنهم :السنيد والمسند والهندي والفهيد والسلمان•

ومن الفريعات : (١) الظبايين « ابن ظبية » (٢)، العثـودة ، (٣) الصقرة ، (٤) القحوم : ومنهـم السويلم والغبن • (٥) اللتالتـة (٦) الخصيات (٧) الفروم (٨) السَّلِيم : ويقال لهم : المقارنة •

حـ ـ الرموث : ومنهم : الرشود والمحاسنة والبياحين والعثامين والهرمة والعضدة والشنقان والشنانطة والكذيبات •

د ـ الخَوالي : ومنهم : المعتق والسعيد والكرادية والبريكات •

هـ ـ الحـُمْران : ومنهم: الشواولة والخمايسة والبعاجين والنجم•

و ـ الهـِلـْبان : ومنهم: الربادين والجوابرة والعجارشة والضاوونة والجبعات « الجبعة » •

ز ـ الوحشة : ومنهم : النمارين والنعيرات •

ح ـ النجيدات : واحدهم « نجيدي » •

ط ـ المطارفة : واحدهم « مطرفي » .

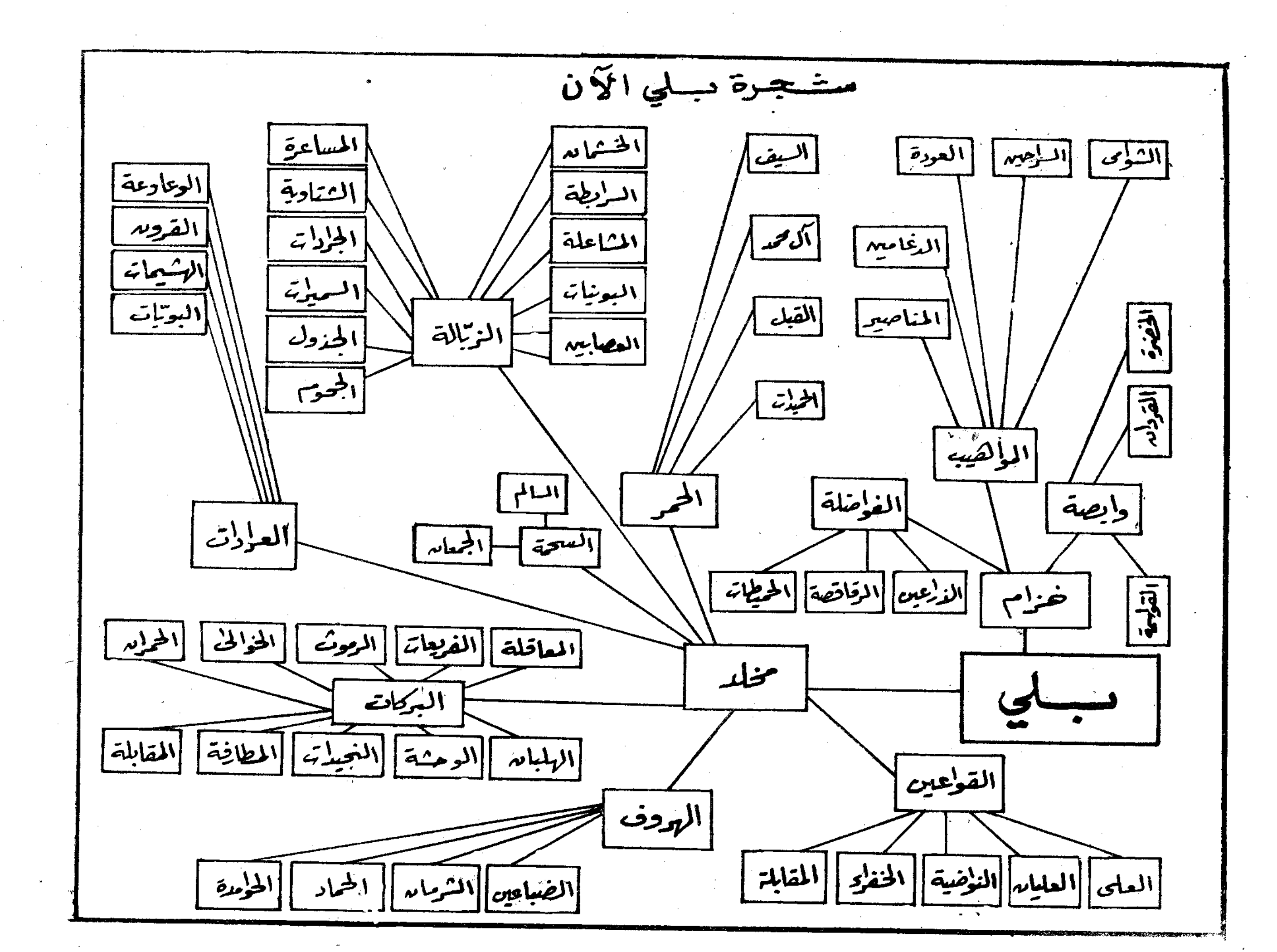
ى ـ المقابلة : واحدهم « مقبلي » .

٦ ـ **الهروف** : والنسبة إلى الهروف هرفي . ومن فروعهم : الحوامدة والحماد والمتاعبة والشرمان والضباعين .

٧ ـ **القواعين** : ومنهم : العلى والعليان ، والنواضية والخضراء والمقايلة[١] .

---

(١) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ١٧٠ ، الاشتقاق لابن دريد ص ، معجم قبائل العرب « بلي » سبائل الذهب ص ٣٣ ، درر الفوائد المنظمة ص ٤٠٨ وما بعدها . الطبقات الكبرى لابن سعد ص٣٣٠ج١ و ص ١٣١ ، ١٦٤ ج٢ . رواية حماد راشد منقرة ، وسلامة عامر الزبالي، وكلاهما من بلي .



مشجرة بلي الآن
بلي
مخلد
خزام
المواهيب
الشولى
السراجيه
العودة
الدغاميه
المناصير
وابصة
الخضرة
القرداه
القولمة
الفواضلة
الزاعين
الرقاقصة
الحميطات
الحمر
السيف
آل محمد
القبل
الحيات
السحة
السالم
الجماعه
الزبالة
الخشمانه
الرابطة
الشاعلة
البونيات
العصابيه
المساعرة
الشتاوية
الجرادات
السميرات
الجزول
الحجوم
العوادات
الوعاوعة
القرونه
الهشيمات
البوتيات
البركات
المعاقلة
الفريعات
الرموث
الخوالى
الحمرانه
الرطبانه
الوحشة
النجيدات
المطارفة
المقابلة
الهروف
الضباعين
الشرمانه
الحماد
الحوامدة
القواعين
العلى
العليانه
النواضية
الخفراء
المقابلة

الحويطـــات

قبيلة عربية كبيرة تمتد أراضيها في شمال غربي الحجاز وداخل الأردن إلى ما وراء معان ، فتملأ تهامة الحجاز بين جنوب ضبة والعقبة، وتمتد في معظم اقليم الشراة في الأردن •

وتنقسم إلى حويطات التهم وحويطات الشمال •

قال في معجم قبائل العرب : منازلها بين تيماء جنوباً ، والكرك شمالاً ، ووادي السرحان ، والنفود الكبير شرقاً ، وساحل خليج العقبة ، وشبه جزيرة سيناء غرباً • وتقسم إلى ثلاثة أقسام : حويطات التهم ، والعلويون ، وحويطات ابن جازي• ثم عدد من قبائلهم ماسيأتي•

وأقول : تحديد ديارهم هنا غلط ، والصواب انها تمتد من جنوب ضبة قليلاً على الساحل التهامي الى العقبة إلى ما وراء معان شمالاً،أمامن الشرق فحدها شعوف جبال حسمى والمدورة وبائر ، وهو حد يبعد عن تيماء قرابة أربعمائة كيل غرباً شمالياً •

نسب الحويطات

لم أجد فيما بين يدي من مراجع قديمة من ذكر الحويطات اطلاقاً ، وأول من رأيته ذكرهم عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري المشهور بالجزيري ، في رحلته (درر الفوائد المنظمة) ، وهو رجل خدم في أمرة الحاج المصري خلال القرن العاشر من سنة ٩٢٦ ـــ ٩٧٦ هـ[١] أي أنه استمر خمسين سنة بلا انقطاع يطرق الطريق بين القاهرة ومكة ماراً بالعقبة والساحل ، قال الجزيري وهو يذكر المدارك بين القاهرة

(١) درر الفوائد ص (د) من المقدمة •

والعقبة : فلما نما أمر الحويطات من بني عطية[1] وكثروا وزاد نخلهم في ذلك الدرك ونما عددهم واشتهروا بالفساد والأذى ... ولما عجزوا عن القيام بالدرك ـ يقصد بني شاكر ـ واستولت الحويطات على المناخ وغيره بالأذى والنهب تركوا الدرك ـ يقصد بني شاكر ـ وماله من معلوم ، وصارت تلك البقعة لعربان الحويطات الجبل ، وهم قوم كثيرون قد جبلوا على الفساد وأذى العباد . ثم يقول : وهم قسمان : أولاد عمران ، والعلاوين . ثم يعدد الجزيري بطوناً عديدة[2] .

ثم يقول : أما المحارس إلى « حسما » فبعد عش الغراب محرس، وعند قبر السقاف بوادي عفال محرس أيضاً ، وعربان الحويطات في الغالب تتبع هذا الدرك للأذى والفساد ، لأن عربان الرشيدات من بني عيطة انقرضت أكابرهم وفرسانهم[3] . ومن غريب ما قيل في نسب الحويطات ما قاله « عدنان عطار » مؤلف سوري في كتاب سماه « الحويطات » قال : والحويطات فرع من الدوحة النبوية وينتسبون إلى أسرة الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ابنته فاطمة الزهراء ، كما تشير الى ذلك شجرة النسب المحفوظة لدى مشايخ آل الجازي والمنشورة كاحدى وثائق الكتاب ، وذلك عن طريق زواج أبي عبيدة بن الجراح بالسيدة الشريفة بستانة بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، من زوجته فاطمة الزهراء ، وقد خلّفت السيدة بستانة اسحاق الذي تزوج من المليحة بنت الحسن بن علي .. الخ .

وأقول : هذا النسب يغلب عليه الوضع والتلفيق ، ولو لم يتلقفه

---

(١) الجزيري يخلط بين بطون القبائل لعدم عرفه لتفاصيلها ، وشاهدنا هنا أن الحويطات كانوا قبيلة معروفة .

(٢) المرجع السابق ص ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ وقد ذكرهم قبله الدرعي سنة ٨٢٦وقال: عليهم درك الطريق،وقال : ان البدع للعميرات من الحويطات.

(٣) عش الغراب : مكان بين البدع وحقل ، وعفال : وادي البدع . ويعني هذا أن هذه الأرض كانت من مدارك بني عطية فحلتها الحويطات من بعدهم .

بعض القراء فيسلموا به لما التفت إليه ، وكـي نعرّيه نبدأ مناقشة بسيطة معـه :

١ ــ لم نجد في كتب التراجم أي أساس لهذا النسب وخاصة تلك التي تعتني بالهاشميين •

٢ ــ أغلب المراجع يصرح بأنأبا عبيدة رضي اللهعنه انقرض نسله•

٣ ــ الحسين بن علي ولد سنة سبع للهجرة ثم جاء بعده محسن، وابن الجراح توفي سنة « ١٨ » للهجرة ، أي أن احتمال زواج أبي عبيدة من ابنة علي المولودة بعد محسن هو احتمال ضعيف ، وخاصة إذا عرفنا أن أبا عبيدةقضى كل خلافة عمر فيبلاد الشام بعيداًعنالمدينة•

٤ ــ ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ــ الأشراف والسادة ــ لهم امتياز خاص وهو أنهم لا يزوجون بناتهم لغيرهم وهو أمر مشاهد إلى اليوم ، وبعكس ذلك الحويطات يكره كثير من القبائل التزاوج معهم • والحويطات قبيلة ذات بأس وشجاعة مشهودة تدل على عراقة أصلها ، ولو كانت مع هذا ترقى الى الدوحة النبوية لكانت مخطب ود بقية القبائـل •

٥ ــ ليست هناك أسرة في الحجاز تنتسب إلى الدوحة الهاشمية فلا يرد لها ذكر في كتب التأريخ والأنساب • بل ان الأنصار وعدوان لهم نسب معترف به عند الناس موروث ،ولا يزوجون بناتهم لغير بني هاشم •

٦ ــ أكاد أجزم بأن الحويطات هم بقايا جذام لأن هذه ديار جذام ولم نجد رواية شعبية ــ مثلاً تشير إلى أنهم أتوا من جهة معينة •

٧ ــ جميع الروايات المتناقلة مع شيوخ الحويطات وبني عطية

وعنزة تقول : ان الحويطات ذرية « حُوَيط » وسبب تسميته بذلك بناء حائط على نخل له في ضبة أو العقبة .

٨ ـ إن ذرية رجل من القرن الأول الهجري لا يمكن أن تكون قبيلة ذات خطر في القرن التاسع كما تقدم ، خاصة في تلك العهود حيث يحصد الناس بعضهم وتفتك بهم الأمراض والمجاعات .

٩ ـ القبائل العريقة كعنزة وبلي تجعل الحويطات في عداد « عوج دخان »[١] غير أن كلاً من ابن رفادة وعيد بن حرب تزوج من الحويطات ، فهي قبيلة رفيعة غير أنها لا تحلم بالوصول إلى درجة الهاشميين ، والواقع أن كثيراً من الكتاب تخبط وخلط في أنساب القبائل ؛ و « كلكم لآدم وآدم من تراب » و « لافضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى » .

١٠ ـ يغرب العطار أو ينسى فيقص قصة قابلة للحذف فينسب حويطاً بأنه غازي بن محمد العوام بن بركات من أولاد الحسن بن علي رضي الله عنه . فكيف يكون ابن بستانة بنت علي ثم يكون ابن الحسن ابن علي ؟! وعموماً فالرواية عن شيوخ الحويطات نقلاً شفوياً ، ولم يظهر على الشجرة المرفقة سوى بركات على أنه الجد الأعلى[٢] .

وفي مكان آخر يقول : هاجر جد الحويطات من العربية إلى منطقة العقبة واستوطنوا هناك حوالي القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي[٣] . أي أن حويطاً عاش في القرن التاسع أو العاشر ! فهل يعقل أن يكون نسله قبيلة تعيث في الأرض فساداً في وسط القرن العاشر الهجري كما يثبت ذلك من نصوص درر الفوائد المنظمة ؟ . بل أن الدرعي ذكرهم في القرن التاسع الهجري وقال : عليهم درك الطريق .

---

(١) عوج دخان في عرفهم : من لايستطيع اثبات نسبه في قبيلة عريقة .
(٢) ص ٦٤ .
(٣) ص ٦٣ .

فروع الحويطات

تنقسم الحويطات إلى : حويطات التهم ، وحويطات الشمال .

حويطات التهم : سكان تهامة شمال الحجاز من وادي دامي أو أدامي جنوب ضبة بحوالي ٢٨ كيلو متراً ، جنوباً ، إلى ما وراء مدينة العقبة شمالاً ، ومن مكاشح مياه حسمى الغربية شرقاً إلى البحر الأحمر وخليج العقبة غرباً . وفروعها :

١ ـ العمران : سكان حقل والعقبة وما حولهما ، ومن بطونها :

آ ـ العصابين : ومنهم : الرجيلات والعمارين .

ب ـ العبادلة : ومنهم الغُريرات،والحوامدة وربيعة والسويلميين والحميدات .

٢ ـ العميرات : سكان الشرف ، ومن فروعهم :

آ ـ الرواشدة ، ومن الرواشدة : السواعد والربيعات .

ب ـ الجعاثنة .

حـ ـ الفوسة : ويدعون أنهم من بلي .

د ـ السعافين .

هـ ـ العودات .

و ـ القرابى .

ز ـ السنيجات .

ح ـ السهيلات .

ط ـ الشرمان .

ى ـ **الرقاقات** .

٣ ــ المساعيد : وديار المساعيد من أعالي البدع إلى قيال علـى الساحل ، ويقولون انهم من عتيبة وليسوا من الحويطات ، ومنهم : مساعيد الأردن ومساعيد قناة السويس ، لا زالوا يتعارفون ولبعض مساعيد السويس أملاك في هذه الديار • وفروع المساعيد :

آ ــ الطرافية : ومنهم : العودات والجعلان والعماوية •

ب ــ النصيرات : ومنهم : الحجايجة •

حـ ــ اللبايدة : ومنهم : ذوو رشيد وذوو محيسن وذوو ابراهيم والغمضة والصواوين •

د ــ البحيرات : ومنهم : الجرابعة والسلامّيين •

هـ ــ ذوو رَشِيد : ومنهم : الغندور « الغنادرة » الديان «الدو» الكيلات ، المجادرة ، السحوب ، ذوو سلمان ، الرجول ، ذوو عبد الله ذوو عمر ، المحرول « حراولة » ، الرجيد والجغاغمة •

وهناك فروع أخرى عديدة تمتد ديارها بين قيال شمالاً إلى دامي جنوباً وفروعهـم :

١ ــ الطقيقات : واحدهم « أبو طقيقة » سكان الخريبة •

٢ ــ الرقايبة : في الخريبة أيضاً •

٣ ــ الريوش : ويقال لهم «عقب ريش بن حويط» سكان عينونا•

٤ ــ الزماهرة : شرق الخريبة •

٥ ــ الذيابـين •

٦ ــ المشاهير •

٧ ــ الجرافين : حول ضبة •

٨ ــ السلالمة : حول ضبية •

٩ ــ القرعان •

١٠ ــ الصريعات « صريعي » •

١١ ــ السليميين •

١٢ ــ العبيات : ويدعون أنهم من عبيات مطير •

١٣ ــ الشوامين : يدعون أنهم من حرب •

حويطات الشمال :

وتمتد ديار هذا القسم من حدود العمران حول العقبة وتتن ممعنة في اقليم الشراة داخل الأردن إلى القطرانة شرق الكرك بشمال ، وقد أتى الأخ عدنان عطار على فروعهم ، ولما أنه كان معنياً بالدراسة والبحث في أصول وفروع هذه القبيلة فقد عولنا كثيراً عليه في فروع هذا القسم من الحويطات ، وهذه فروعهم :

١ ــ الجازي : وفيهم مشيخة حويطات الشمال ، وسكناهم الشراة حول الفجيج •

٢ ــ العودات •

٣ ــ الذيابات •

٤ ــ أهل الوضحي •

٥ ــ الشراتحة •

٦ ــ الهدبان •

٧ ــ البطونية •

٨ ــ الدمانية •

٩ ــ الدراوشة • وكل ما تقدم منهم يسكن الشراة حول الفجيج •

١٠ ــ مراعية الشمال : يسكنون الشراة الشمالية •

١١ ــ مراعية الجنوب : يسكنون الشراة الجنوبية •

١٢ ــ السليمانيين •
١٣ ــ النعيمات • وهم ومن قبلهم يسكنون الشراة الجنوبية •
١٤ ــ المصبحين : الفجيج والشراة الجنوبية •
١٥ ــ السمحيين : الفجيج والشراة الجنوبية •
١٦ ــ الطقاطقة : سكان رأس النقب •
١٧ ــ الزوايدة : يسكنون حول رم غرب المدورة •
١٨ ــ الزلابية : جيران الزوايدة •
١٩ ــ العطون : الشراة الجنوبية •
٢٠ ــ المناعجة : الشراة •
٢١ ــ السعديين : الشراة •
٢٢ ــ التوايهة : بالياء المثناة تحت قبل الهاء : حول الجفر إلى معان ؛ منهم عودة أبو تايه الذي ناصر فيصل بن الحسين ، واسقط العلم الانجليزي من على مبنى الحكومة في معان ونصب العلم العربي مكانه ، وهو الذي احتل مدينة العقبة في تموز سنة ١٩١٧ م •

واختلس لورنس هذا النصر فادعاه لنفسه • وكان عودة يشن غاراته على القبائل إلى أواسط سوريا[١] •

٢٣ ــ عيال صباح : جيران التوايهة •
٢٤ ــ الخشمان : حول الفجيج •
٢٥ ــ النواصرة : جيران الخشمان •
٢٦ ــ الفتنة : حول الجفر •
٢٧ ــ الفراحين : الشراة •
٢٨ ــ المحلف : حول القويرة غرب معان •
٢٩ ــ النجادات : القويرة •

---

(١) قيل أن غزواته وصلت الى وادي الدواسر في الجنوب وحلب في الشمال وانه قتل من العرب خمسةوسبعين رجلا،وتزوج ثمان وعشرين امراة•

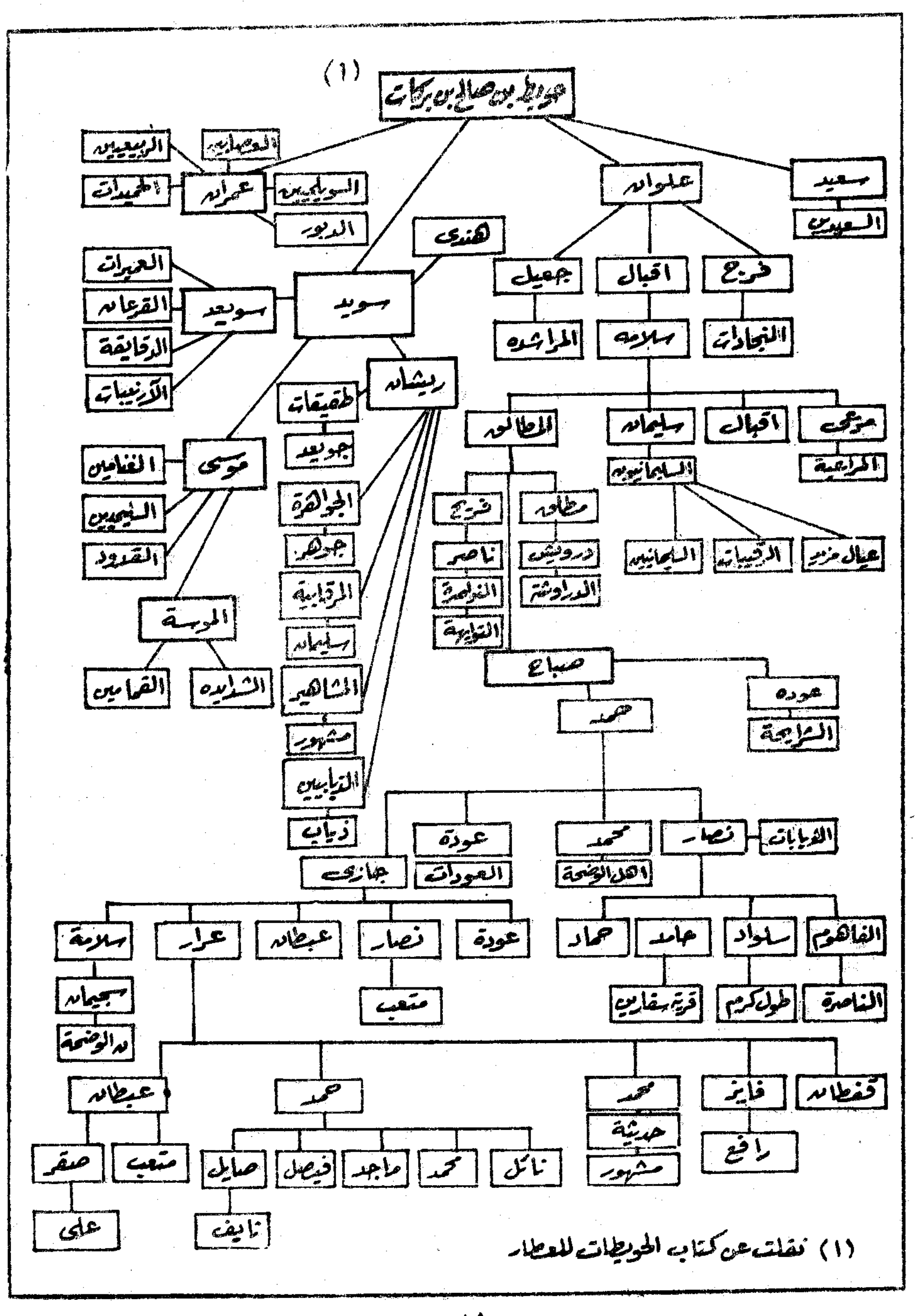
٣٠ ــ البدول : الحميمة .
٣١ ــ الفحّامين : الفجيج .
٣٢ ــ السويلميين[1] رم غرب المدورة .
٣٣ ــ القدمان : وادي اليتم « الأتم قديماً » .
٣٤ ــ العمران والربيعيين : تقدموا في حويطات التهم وهذان فرعان من أولئك .
٣٥ ــ الدبور : شرق العقبة .
٣٦ ــ المناعين : جرف الدراويش شمال معان .
٣٧ ــ العقار : جرف الدراويش .
٣٨ ــ السعودية : لاوي الحسا .
٣٩ ــ المراعية : الحسا .
٤٠ ــ أبو هويمل : جرف الدراويش .
٤١ ــ الصواوية : الحسا .
٤٢ ــ الحجايا : نسبة إلى « حجي » مكان من الحسا .
٤٣ ــ الهدايات : جيران الحجايا .
٤٤ ــ العليان : الحسا إلى القطرانة .
٤٥ ــ بنو عطية : وأعتقد أنهم فرع من بني عطية حول تبوك والشراة . حول القطرانة . واستنتج عدنان عطار من احصاء لسكان الأردن سنة ١٩٦١م، أن قبيلة الحويطات في الأردن «حويطات الشمال» يبلغ عددهم قرابة « ١٥٠٠٠٠ » نسمة .

ثم ذكر أن تزايد السكان في الأردن تبلغ ٣٪ سنوياً[1] .

---

(١) ربما هم سويلميين بني عطية .

(١) معجم قبائل العرب « حويطات » معجم قبائل الحجاز . مخطوط . درر الفوائد المنظمة ، ص : ٤٩٣ الى ٤٩٩ . كتاب الحويطات لعدنان عطار ، ص : ٤٧ وما بعدها . أعمدة الحكمة السبعة ، ص ١٢٣ وما بعدها . الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى لسليمان موسى . مجلة العرب ، ص : ٨٤٤ م ٩ . الحرب العالمية الأولى ج٣ ص ١٢٧ ، ١٢٨ .


(١)
حويط بن صالح بن بركات
عمران
الحميدات
الدبور
هندي
سويد
سويعد
العميرات
القرعان
الدقايقة
الأرنيبات
ريشان
طقيقات
جويعد
الجواهرة
جوهر
الرقايبة
سليمان
المشاهير
مشهور
الذيابيين
ذياب
موسى
المغافين
الشيحيين
القرود
الموسة
القمامين
الشرايده
علوان
سعيد
السعيديين
جميل
المراشده
اقبال
سلامه
فرج
النجادات
المطالقة
سليمان
اقبال
فرج
المراعية
السليمانيين
السليمانيين
الرشيدات
عيال مزمير
فرج
مطلق
ناصر
درويش
الدراويش
صباح
عوده
السراعية
حمد
محمد
نصار
الايابات
عودة
العودات
جازي
اهل الوضحة
عودة
نصار
عبطان
عرار
سلامة
متعب
سليمان
ام الوضحة
حماد
حامد
سلواد
الفاهوم
قرية بشاريين
طول كرم
الناصرة
عبطان
حمد
محمد
حديثة
مشهور
فايز
رافع
قفطان
صقر
متعب
علي
صايل
فيصل
ماجد
محمد
نائل
نايف
(١) نقلت عن كتاب الحويطات للعطار

م : ٦ « رحلات »

بنو عطيّة

قبيلة تضرب دائرة حول تبوك ثم تتوغل داخل الأردن إلى ماوراء معان • وتبدأ ديارها من السفوح الجنوبية لحرة الرهاة[1] ومحطة الحمراء ثم تمتد شمالا مارة شرق تبوك وغربها حتى تختلط مع قبائل حويطات الشمال في أواسط الشراة الى قرب مدينة الكرك •

وتصل ديارها في الشرق إلى جبال الفرول وقرية القليبة أو شرقها ثم إلى جبل الطبيق ، ومن الغرب تأخذ على المنحدرات الشرقية لسلسلة جبال حسمي ممتدة شمالاً إلى علقان ووادي الأتم فالشراة •

وأكثر الكتاب المتأخرون من قولهم: ومنازل هذه القبيلةفي النصف الشمالي لحرة العُوَيرض من حرة المواهيب • وأقول : الصواب ما قدمناه بالمشاهدة لا بالنقل • وينقل صاحب معجم قبائل العرب عن قلب جزيرة العرب أن بني عطية : تعرف باسم العطاونة والمعازة • وتنسب إلى معز بن أسد أخي عنز مؤسس قبيلة عنزة • ويذكر من بطونهم : السبوط ، الجميعانيين ، الربيلات ، الروازين ، الوكلا ، العقيلات ، المراخين ، الخماعلة ، السليمات ، السعيدانيين ، المسابحة ، العليّان والخميسات • ولعل في هذا بعض الخلط مع القبائل المجاورة • وينقل صاحب معجم قبائل العرب أيضاً عن الرحلتين الحجازية واليمانية أنهم من الحويطات • وهذا غلط •

---

(١) ذكرت في ترجمة رحلة فلبي وفي شمال غرب الجزيرة باسم «الرحا»خطأ •

من هو « معز » ؟

لم يذكر صاحب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب معزاً هذا في بابه ، ولا مقروناً مع عنزة بن أسد • وعند الحديث عن بني أسد قال: بنو أسد حي من ربيعة العدنانية ، وهم بنو أسد بن ربيعة بن نزار ، وكان لأسد من الولد جديلة ، وعنزة ، وعميرة • ولم يذكر معزاً هذا ولا معّازاً ـ كما هو شائع عند بعض أهل النسب ـ وصاحب معجم قبائل العرب على شموله وكثرة نقوله عن عشرات المراجع التي لم تتيسر لنا • ولم يذكره أيضاً صاحب سبائك الذهب على عمود النسب لأسد • والشائع اليوم لدى كثيرمن الباحثين هو أنهم من قبائل المعازة التي كانت تسكن الحجاز ثم انتقلت إلى مصر ، فهي اليوم من قبائل ضفاف قناة السويس ، ويقال : أن منهم المطربة « أم كلثوم » •

وأقدم نص بين يدي عن بني عطية هذه كقبيلة ماروا‌ه صاحب درر الفوائد المنظمة في القرن العاشر الهجري ، قال ـ أثناء الحديث عن بني شاكر الحجر : وكانوا أصحاب درك مناخ عقبة أيلة ، فاستولى بنوعطية على دركهم وعجزوا عن خفارته وتركوه لهم ، وكان يشركهم في دركه بنو عطية على الكرك ، وهم الكعابنة فتركوه قبل بني شاكر • ثم يقول في مكان آخر : فلما تزايد شر بني عطية وأخذوا في الأذى والفساد ، وتبعهم طوائف من العربان كالمساعيد من بني عقبة •••

وفي موضع آخر : ثم لما غلبت بنو عطية على الدرك وكثر فسادهم، قرر معهم أمير العائد أن يدفع إليهم مائتي دينار عن خفارة النقب خاصة من السطح إلى الحمام[1] • ثم يقول : تعرضت بنو عطية لجمال السقائين بآخر الثغرة[2] فأخذوها وما عليها من القرب • وفي الحديث عن رجل

---

(١) أماكن من سيناء على الطريق •

(٢) مكان من غرب سيناء لعله دخل في القناة •

يدعى الخولي متعهد بسقاية الحجاج على الطريق من القاهرة : ويزعم أن هذا آخر حد دركة « يقصد محطة نخل[1] » ، وبنو عطية لا يقرونه على هذا القول • ثم يقول : فلما نما أمر الحويطات من بني عطية وكثروا وزاد نخلهم الخ ••

مما تقدم نستطيع القول : إن بني عطية في القرن العاشر الهجرية كانت قوة ضاربة تمد نفوذها من الشرف ـ حيث نص الجزيري في مكان آخر أنه شرف بني عطية ـ شرقاً ، إلى الكرك شمالاً ، إلى ما وراء نخل غرباً ، بل كانت تغير على بر مصر على قرابة مائة وبضع أكيال من القاهرة وإن الناس صاروا يظنون الحويطات بطناً منها ، ولما نمت قبيلة الحويطات ـ فيما يظهر ـ حاربت بني عطية حتى أجلتها عن العقبة والشرف إلى منازلها اليوم •

وبنو عطية من القبائل الصعبة المراس ، ولولا قوتها وشجاعتها ما احتفظت بهذه الديار بين ثلاث قبائل قوية هي : بلي ، والحويطات، وعنزة •

(١) على خمس مراحل من العقبة في طريق مصر •

فروع بني عطية

تنقسم بنو عطية إلى ثلاثة فروع رئيسية ، هي :

١ ـ **العطيات** : وكانت لهم المشيخة على كافة بني عطية ، ومنهم عيد بن حرب ، وكريّم العطيات ، من أبرز شيوخ بني عطية اليوم ، وقد توفي عيد ـ رحمه الله ـ منذ سنوات فخلفه ابنه سالم بن عيد بن حرب ، ومسكنه الرائس غرب تبوك ، أما كريم فشيخ مسن يعتبر من المعمرين قد زاد سنه على المائة فيما يقال ، ولا زال حياً حتى كتابة هذه السطور .

وتنقسم قبيلة العطيات إلى :

آ ـ السبوت ، وهذه تنقسم إلى : البريكات ، والمراعية .

وتنقسم البريكات إلى : القرعان ، والروابية ، والرويعات ، والسوارية .

وتنقسم المراعية إلى : الزلة ، والموسة ، والسلامات ، والنجارات.

ب ـ السليمات : وهذه تنقسم إلى : العبادلة ، العبدة ، الضبعة، المواضرة ، العرارة ، العوامرة ، السودة ، المواجزة، الوقيان، والمهادين.

حـ ـ السويلمبين « السويلمون » : وتنقسم هذه القبيلة إلى : العطاطرة ، الجرايدة ، المضالعة ، الحبانية، والعطيات، وهي غير العطيات الكبيرة انما فرع من السويلمبين ، ومنها : الهمارين ، والفرجات .

د ـ العليين « العليون » : ولم أجد من يذكر لهم فروعاً .

هـ ـ الخضرة : وكل من الخضرة والعليين قبائل ذات فروع كالسويلمبين ، ولكن لم أظفر بهذه الفروع .

و ـ الجماعين « **بنو جمعان** » .

ز ـ المصابحة .

ح ـ السعيدان : ومن فروعها : الرضام ، الركابات ، الغنيمات ، النواقات ، والزملان .

ط ـ الرماضين : ومن فروعها : العسوفية ، الطرابشة، والمدامية.

٢ ـ العقيلات : القبيلة الثانية المهمة من بني عطية ، وتنقسم إلى:

آ ـ الجميعات : ومنهم : الزوايدة ، والفرجين أو الفروج ، والهبشة ، والفريجات ، والعوافسة .

ب ـ الربيلات : ومن فروعها : الأعيدة ، والحوامدة، والضباوية، والعثامين ، والنوابطة .

حـ ـ العسيفات : ومنهم : العلاوية ، والعرينات ، والدهيمات ، والشطيطات ، والمسامرة ، والهناهنة ، والعنيقات .

د ـ الهشيمات : الغرسات ، الصلعان ، القونية ، النفازين ، النصيرات ، الجربة .

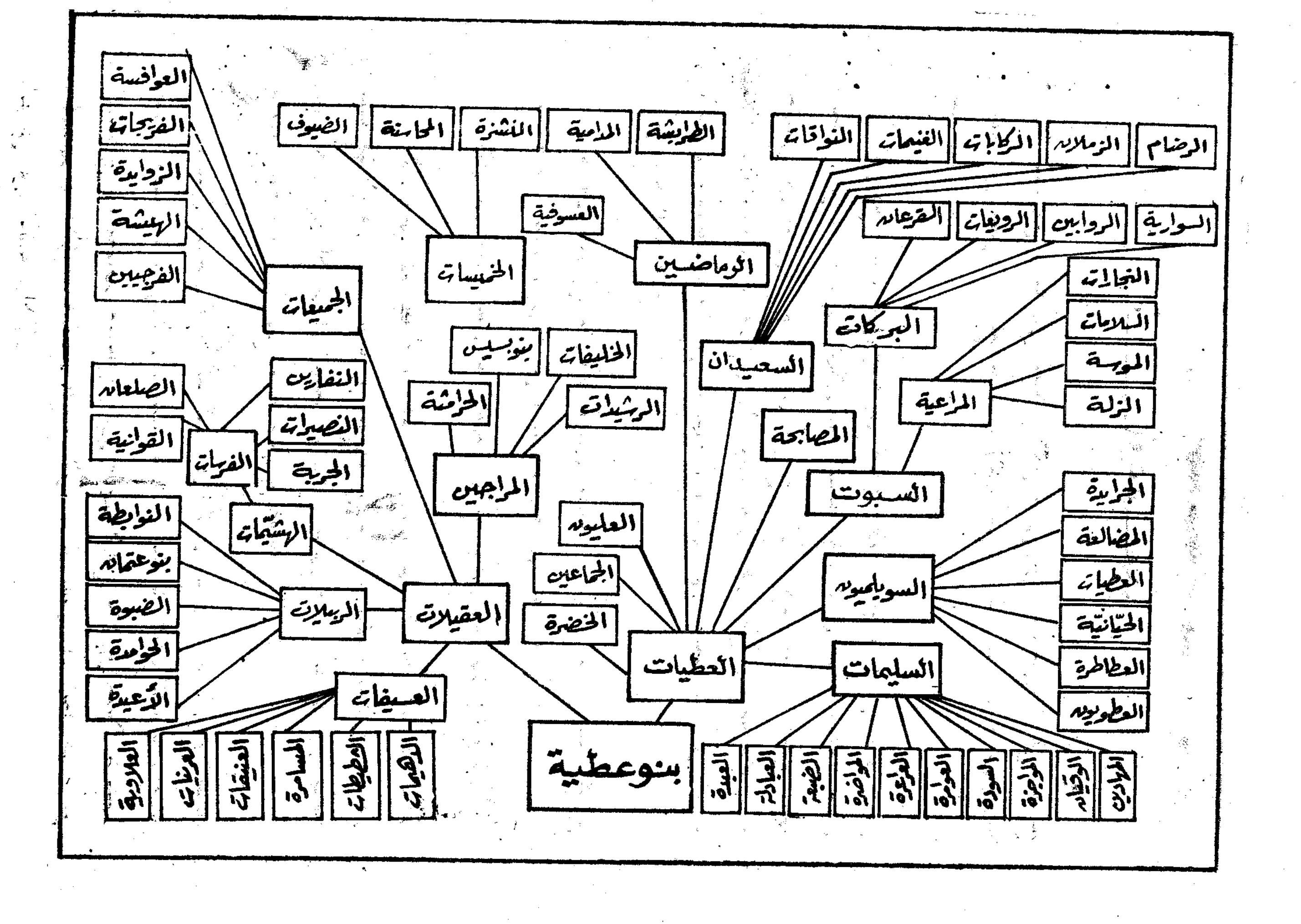
هـ ـ المراخين : آل ابن بسيس ، الحرامشة ، الخلفيات ، والرشيدات .

٣ ـ الخميسات : أصغر القبائل الثلاث عدداً ، ومنهم من يضيفها إلى العطيات ، ومن فروعها :

آ ـ النشرة .

ب ـ الضيوف .

حـ ـ المحاسنة .


بنو عطية
العطيات
العقيلات
السليمات
السويلميون
السبوت
المصابحة
السعيدان
الوماضين
البركات
المراعية
المراجيح
الخميسات
الجميعات
الفريات
الربيلات
الرشيمات
العسيفات
العليوي
الجماعين
الخضرة
الجرابية
المضالعة
المطيات
الحيانية
العطاطرة
العطويون
التجالات
السلامات
الموسة
الزلة
السوارية
الروابين
الرويفات
القرعاند
الرضام
الزملاني
الركابات
الفنيمات
النواقات
الطرايشة
المرامية
المنشرة
الحاسنة
الضيوف
العسوفية
الخليفات
بنوبسليس
الحراشة
الرشيدات
العوافسة
الفرجات
الزوايدة
الهيشة
الفرجيين
الصلعان
القوانية
النفارين
النصيرات
الجربة
النواطة
بنوعثمان
الضبوة
الحوامدة
الأعيدة

بنو عقبة

بقايا من قبيلة بني عقبة تسكن مقنى على الساحل الشرقي لخليج العقبة بين حقل والشيخ حميد ، وهم أهل زراعة ومدر وباديتهم قليلة جداً •

ويرجع نسب بني عقبة إلى جذام وهو « عمرو » بن عدي بن الحارث بن مُرّة ، إلى كهلان من القحطانية ، كانت جذام تسكن جبال حسمي بين مدين وتبوك ، إلى أذرُح ، ثم سكنوا مصر واقطعوا فيها بلاداً ، وامتدت ديارهم إلى الاسكندرية ، وهم أهل شجاعة واقدام وضرب بالسيف ، ورشق بالسهام ، وكان منهم بالحوف شرق دلتا النيل سنة ٨٠٣ هـ •

غزاهم زيد بن حارثة وحاربت جذام سنة ٨ هـ جيش عبد الله بن رواحة • وانضمت إلى هرقل وسارت معه الى انطاكية •

كان لهم صنم يقال له الأقيصر ، يحلقون رؤوسهم عنده •

كان منهم بنو حرام ، وبنو جشم ، ومنهما تفرعت جذام • وبنو عقبة هؤلاء هم : بنو عقبة بن مخرمة بن حرام ، المتقدم ، كانت ديارهم من الكرك إلى الأزلم في الحجاز ، وكان عليهم درك الطريق إلى حدود غزة والشام ، وكان منهم بنو واصل بن عقبة •

ويقول صاحب درر الفوائد ، في القرن العاشر : عربان بني عقبة، وهم : اللعب ، والبركات والمصاريف « المعاريف » والقنادلة ، عبيد السعادين ، ومحملهم جميعاً إذا فرق عليهم لايفي بعشرين حملاً لضعفهم وتشتتهم ، وكانوا يحملون قديماً كثيراً • ثم يقول في الحديث عن الطريق بين العقبة والأزلم :

وبالقرب من المغارة ــ مغائر شعيب ــ مقدار نصف بريد حفيرة تسمى الكنوز ، ومن بويب العقبة إلى أن يرحل من المغارة يسير إلى « كُبَيدة » ، اسم لأرض حصباؤها من الحمرة إلى السواد تشبيهاً بلون الكبد ، وحد درك عربان الرشيدات من بني عطية عن غيرهم ، وكانت الاقامة بها إلى قبل الظهر ، فمر على كبيدة ، واستقبل درك بني عقبة فمر على طي الناشر[1] ، وهي أرض فيحاء بيضاء ، وصاحب الدرك بها أيتلى بن عقاب بن سليمان الأعرج واخوته من بني عقبة المناضير « لعلهم المناصير ــ بالصاد » وسار عنها إلى « رُجَيم » لطائفة من بني عقبة تدعى « الخرشة » ويعرفون بالنجادات أولاد نجاد العشرة ، وهم جماعات متعددة[2] .

ثم يقول : واعلم أن أول درك بني عقبة من كبيدة المتقدم ذكرها يتم على طي الناشر . ثم يقول : ومن بدنات[3] بني عقبة : المسالمة ، والحشايدة ، والمقارنة ، والعقالات ، والعمرو ، والمساعيد ، والبحيرات. وهذا ليس نصّ ما في الكتاب انما ملخصه . ثم يقول : وطائفة المسالمة تجمع بدنات كثيرة ونذكر ما تيسر منها . النجادات ، الكثارات ، الجمامزة ، الشعيبات ، السريحات ، السعد ، البحيرات ، العوضات ، السمرات ، المراشدة ، العضيلات ، والحسنات . ويعدد بطون أخرى غير هؤلاء . ونخلص من قوله إلى أن درك بني عقبة كان يتجاوزالمويلح جنوباً .

---

(١) و (٤) معجم قبائل العرب : جذام ، وعقبة . درر الفوائد المنظمة: ص ٤١٠ ، ٤١٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠ ، ٥٠٦ . نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : جذام وعقبة . سبائك الذهب ص : ٣٢ ، ٣٥ .

(٢) لاحظ هذا الاسم في الحويطات .

(٣) البدنة : الفخذ من القبيلة .

بنو عقبة اليوم

وكما قدمنا أن بقايا بني عقبة اليوم تسكن مقنى ، وهي قليلة العدد ، وفروعها :

١ ــ الجبور .

٢ ــ الدحادحة .

٣ ــ العبيدات .

٤ ــ الخشيمات .

وقيل لي أن عدد بيوتهم لا يزيد عن المائة .

جيران بني عقبة :

ويجاور بني عقبة بمقنى « الفوائدة » من جهينة ، نزلوا عليهم فصاهروهم وخالطوهم ، وفروعهم : الصغايرة، والعرايضة ، والجوافلة. وكلهم لا يزيدون عن عشرين بيتاً .

عنزة

من أكبر القبائل العربية اليوم ، تمتد ديارها في شمال الحجاز من خيبر مسعنة شمالاً على الصحراء العربية بين الأردن والعراق إلى شمال شرقي سورية عند الرقة وتلك الجهات ، وفي الشرق تقترب من حائل وشط الفرات الغربي . وهم بنو عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد[1] .

وفي سبائك الذهب : عنزة بن أسد بن أكلب بن ربيعة بن نزار بن معد[2] .

وفي نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : عنزة بن أسد بن ربيعة ابن نزار ، وكان لأسد من الولد : جُديلة ، وعنزة ، وعميرة[3] .

وفي الاشتقاق لابن دريد : عنزة بن أسد ، واسم عنزة عامر ، سمي عنزة لأنه طعن رجلاً بعنزة . و « العنزة » : خشبة في رأسها زُجّ[4] .

والغريب أن عزورة عنزة « يال وائـل ، ولابن وائل » وعلى عمود النسب : عنز بن وائل ، بدون هاء . واذا ناقشت نسابيهم وأهل المعرفة منهم قالوا : نحن بنو عنزة بن وائل ، منا كليب ! وليس هناك عنزة بن وائل ، بل عنز بن وائل ، واجماع العارفين بالانساب أن القبيلة الموجودة اليوم هم بنو عنزة بن أسد .

---

(١) معجم قبائل العرب .
(٢) ص : ٢١ ، ٥٣ .
(٣) عنزة ، وربيعة ، واسد .
(٤) الاشتقاق ص : ٣٢٠ ، ٣٢١ .

تاريخها

لم تعطنا المراجع المتيسرة تأريخاً واضحاً لهذه القبيلة ، فبينما نجد من يذكر أنهم كانوا أول من سكن حجر اليمامة بعد ذهاب طسم وجديس ، وأنهم أهلها قبل بني حنيفة[1] ، نرى الهمداني يذكر أنهم كانوا سكان ضواحي المدينة عند قدوم بني حرب إلى هذه الديار في أول القرن الثاني الهجري ، وأن حربياً وعنزياً أثارا حرباً شعواء بين قبيلتيهما فرحلت عنزة إلى خيبر ونواحيها • أما صاحب العبر فيذكر أن ديارهم كانت عين التمر — من طف العراق — من برية العراق على ثلاث مراحل من الأنبار ، ثم انتقلوا إلى جهات خيبر ، وملكت بلادهم غزية الطائية •

ثم تختفي أخبار عنزة كباقي القبائل العربية في تلك العهود ، إلى أن يمر الجزيري متردداً مع الحاج بأرض الحجاز ، فيقول :

وعربان عنزة يأتون من حوالي المدينة الشريفة ، وحدودهم من طرف الحنك من الجهة القبلية إلى المدينة الشريفة إلى آبار علي إلى جبل مفرّح — مفرّحات — ، وربما تتبع الحاج نفر منهم في الأحيان من أكرى • وعنزة بدنات ؛ منهم حجّاح ، وجبارة ، والمصاليخ ، وبشر ، وولد علي ، والشملان ، والعمارات ، والسبعة ، والسحالبين ، وبنو سليمان ، والطوالعة ، والجلاس ، والحسنة ، والفدعان ، والشراعبة ، ووهب • آ ، ه[2] •

ويذكر نسابوا حرب وعنزة : أن عنزة كانت تمتلك كل ضواحي

---

(١) تأريخ مدينة الرياض ص ٦ ، ٣٧ •
(٢) درر الفوائد : ٥٢٨ • وهو هنا يعدد الفروع الى جانب القبائل الكبيرة •

المدينة ، ثم تمتد ديارها على طريق القصيم إلى وادي الرمة حيث كانت « عقلة » الصقور ، ديار الصقور من عنزة ، وأن المكان ـ من المدينة ـ المعروف اليوم باسم العطن كان اعطان ابل ابن هذال أمير قبيلة العمارات من عنزة .

وظلت هذه ديارهم إلى أن أثار أحد شبانهم فتنة دارت على أثرها حرب طاحنة بين قبيلتي حرب وعنزة ، سميت وقائع المجلّلة ، جلت على أثرها قبيلة عنزة من هذه الديار فنزلت قبيلة العمارات شط الفرات الغربي .

وبما وصل الينا من وثائق واستنتاجات فان تلك الحرب دارت في أول القرن الحادي عشر الهجري . ثم ملكت قبيلة حرب ديار عنزة حول المدينة وفي نجد فهي فيها إلى يومنا هذا[1] .

عنزة اليوم

يقول نسابوا عنزة : أن عنزة تنقسم إلى قسمين كبيرين هما :

مسلم وبشر ، ومن مسلم :

١ ـ الجلَاس : بتخفيف اللام ، ومنهم :

آ ـ المُحلَف : من بوادي الأردن ، ومن فروعهم : الأشاجعة ، والسوالمة ، وعبد الله .

ب ـ الرولة : وديارهم الأردن في الشمال الشرقي ، وحوران في سوريا ، وشيوخهم الشعلان ، وكانت لهم دولة بالجوف ، وساهموا في الثورة العربية الكبرى عندما وصلت وادي السرحان .

(١) فصلت هذه الحرب وما توصلت اليه في كتاب « نسب حرب » .

٢ ــ وهب : وهؤلاء جلّ عنزة الحجاز منهم ، وينقسمون إلى الفروع التالية :

آ ــ الشراعبة : بطن صغير لايعرف أحد من عنزة فروعاً له .

ب ــ منبّه : ويقـال لهم : حجّاج ، وينقسمون إلى فرعـين : الخماعلة ، والفقراء[1]

وتتفرع الخماعلة إلى : ١ ــ الذبابة ٢ ــ الشهاب ٣ ــ الفُضَيل ٤ ــ اليزيد .

وتتفرع الفقراء إلى : ١ ــ الحجور ٢ ــ الجمعان ٣ ــ المبارك. ومن الجمعان : الجبلات ، فخذ . ومن المبارك : الشفقة ، فخذ . وديار الخماعلة : من تيماء وجنوب إلى هضب واقصة . وديار الفقراء : الحجر وهضب عردات إلى تيماء .

جـ ــ ولد علي : وشيوخهم المشهورون باليديان ، واحدهـم « الأيدا » وتنقسم إلى ١ ــ الجريد ٢ ــ الضمين ٣ ــ المُشطة. ٤ ــ القَرشة ٥ ــ جبَّارة ٦ ــ الدمجان ٧ ــ الطلوح ٨ ــ الوسَّامة ، ومنهم : الربيلات ، والجريّدة ، والنعيمات ، والخالد ، والهوادفـة ، والفروق ٩ ــ الربيلات[2] ١٠ ــ الركـاب ــ ١١ ــ الطوالعة ١٢ ــ الأيدا ، وهم شيوخ ولد علي كافة ١٣ ــ الدنيوي : وأصله من بني رشيد من هتيم دخل حلفاً مع الأيدا .

اما بشر فتنقسم الى :

١ ــ العمارات .

٢ ــ ضنء عبيد .

---

(١) ومن منبه ــ كما يقال ــ : المصاليخ ، من سكان سوريا وينقسمون الى : الصقارة ، والحسنة . ويقولون : إن آل سعود منهم .

(٢) تكرر هنا اسم الجريدة والربيلات ؟ .

العمارات : وتقسم إلى :

١ ــ الجبل ، ومن فروعهم :

آ ــ الحبلان : ومنهم ابن هذال ، وكان يكف عنزة فيما سلف من عهود ، وقد تقدم • ومن فروعهم : الجعيثن ، والهيازغ ، والغشوم ، والبسيسات ، والختارشة •

ب ــ الصقور : ومنهم : الدهمان، والدلمة، والمصاعب، والجلال•

٢ ــ العلي : ومن فروعهم : السويلمات ، الدهامشة ، ومن الدهامشة : الجميشات ، والمحينات ، والسلاطين ، والمجلاد،والعيّاش•

٣ ــ السلقاء : وفروعهم : ١ ــ المطارفة ، ٢ ــ البجايدة، ٣ ــ الجبور ، ٤ــ المضيان ، ٥ ــ الحسني « الحسنان » ٦ ــ الشملان ، ومنهم : البشير ، والرشدة ، والكلوخ ، والمراجلة •

وديار العمارات طف العراق وشاطىء الفرات الغربي ، ما عدا السلقاء فديارهم تمتد من خيبر إلى قريب من حائل،وللشملان«الشملي» الهجرة المعروفة قرب ضرغد •

ضنء عبيد :

وتقسم ضنء عبيد الى :

١ ــ السبعة : وديارهم في سورية، ومنهم بقية في نواحي الشملي، ويقول نسابوا سُبيع بن عامر : ان السبعة من سبيع•وتقسم السبعةإلى:

آ ــ العبدة : ومنهم (١) البيايعة ، (٢) المسكة ، (٣) العبادات ، (٤) الدشوام ، (٥) العرفاء ، (٦) الرماح ، (٧) الوثرة • وكل بطن له فخوذ عديدة •

ب ـ البطينات : ومن فروعهم : (١) القمصة ، (٢) العميرة ، (٣) السحيم ، (٤) الرحمة ، (٥) الشفيع ، (٦) المواهيب ، ويقال أن مواهيب بلي من المواهيب هؤلاء ، (٧) السلالين ، (٨) المصاربة ، بالباء الموحدة ، وحدهم « مصرب » .

٢ ـ البطن الثاني من ضنء عبيد هم « الفدعة » ، وهم : ضنء ماجد ، والولد .

آ ـ ضنء ماجد : (١) الخرصة ، (٢) العواد ، (٣) الجدعة .

ب ـ الولد : (١) المهيد ، (٢) الصقاقرة ، (٣) العلطان ، (٤) الجذعان .

ولد سليمان :

البطن الثالث من ضنء عبيد ، وفروعهم :

١ الخمشة :

آ ـ القمدان .
ب ـ الشقران .
حـ ـ الزحالقة .
د ـ المقبل .
هـ ـ الشواقية .
و ـ المريف .
ز ـ الصواملة .
ح ـ الحُزَيم .
ط ـ المصابحة .

٢ ـ الجعافرة :

آ ـ ضنء صقر : (١) المقاطعة ، (٢) السعيّد ، (٣) المبارك ، (٤) الراجح ، (٥) المطاردة • (٦) العويضات ، (٧) الظرفة • ورئاسة الجعافرة في العواجية ، واحدهم « عواجي » •

ب ـ الفضل : (١) المريحم ، (٢) القراوعة ، (٣) الضواوية ، (٤) السهول ، (٥) التمّام ، (٦) الهبادين •

حـ ـ اليمنة : ويقال : انهم نسل رجل يمني نزل على الجعافرة ، وهم : (١) المرتعدة ، (٥) السوارية ، (٣) المسيعد •

٣ ـ الغضاورة : وفروعهم :

آ ـ الحبشان •

ب ـ الابراهيم •

حـ ـ المفلح •

د ـ الوفود •

هـ ـ الحمادى ، ويقال : إنهم من الطوالعة من ولد علي •

و ـ السعالوة •

ز ـ الكلخة •

٤ ـ السلمات :

آ ـ الشتاوية •

ب ـ العجالات •

حـ ـ المرتتمة •

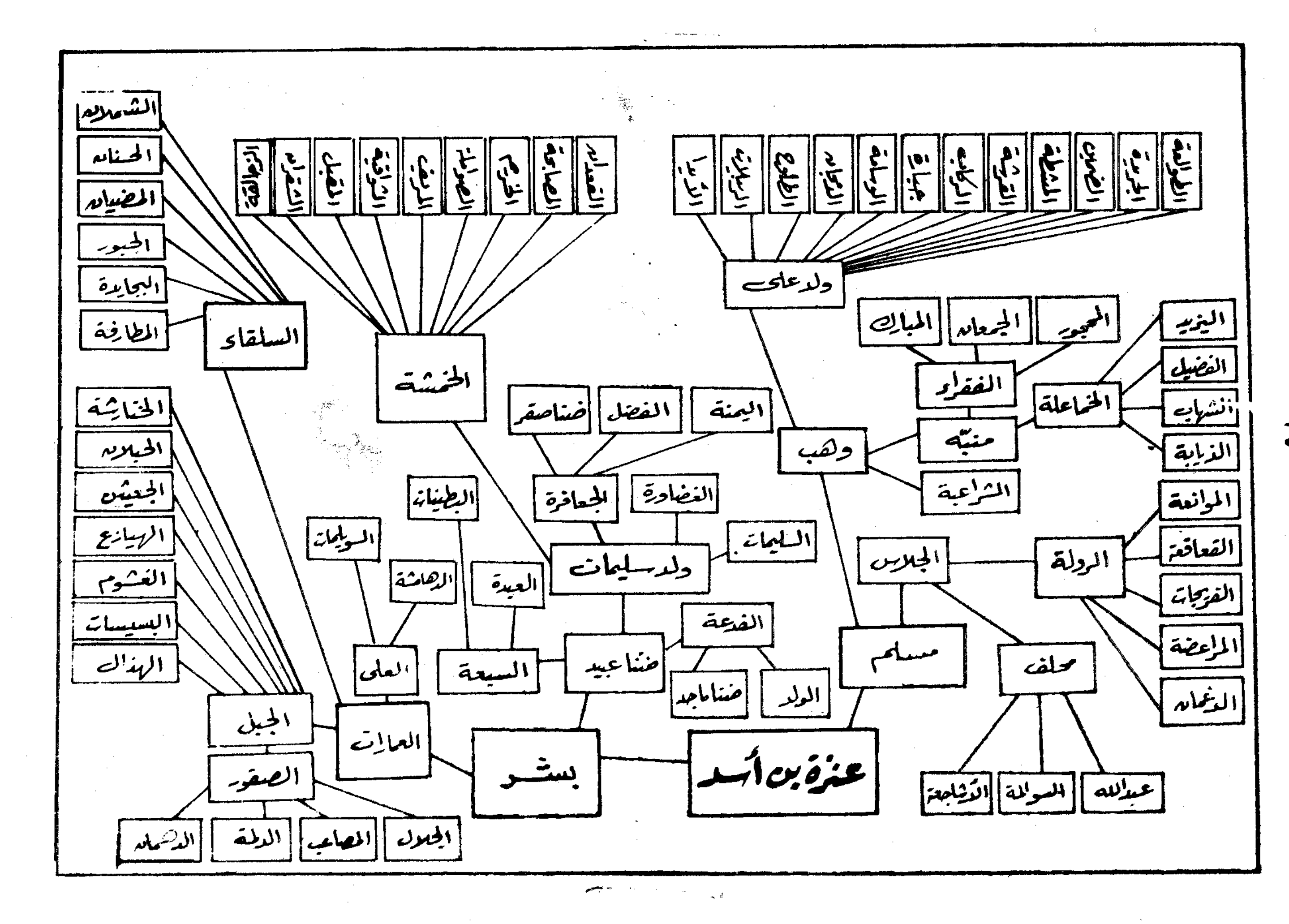
د ـ الدبيّان •

هـ ـ المليحان •

و ـ السخانية •

ز ـ الضياحين •

ومنازل ولدسليمان تمتد بين خيبر وتيماء إلى النفود شرق تيماء إلى قرب جبال شمر ، ولهم من الجبال : برد ، ورؤاف ، وعرنان •



عنزة بن أسد
بشر
مسلم
العمارات
ضناعبيد
ولد سليمات
الخمشة
السلقاء
الجبل
الصقور
العلى
السيعة
الفدعة
ضناماجد
الولد
العيدة
الدهامشة
السويلمات
البطينات
الجعافرة
الفضاوة
السليمات
ضناصقر
الفضل
اليمنة
وهب
ولد على
منبه
الشراعبة
الفقراء
المبارك
الجمعان
الجلاس
محلف
الرولة
عبدالله
السوالمة
الموانعة
القعاقعة
الفريجات
المراعضة
اليزيد
الفضيل
الزبابة
الخناشة
الحبلان
الجعيثين
الهيازع
الغشوم
البسيسات
الهذال
الشمالان
الحسنان
المضيان
الجبور
البجايدة
المطارفة
الجلول
المصاعب
الدلمة

هتيم

قبيلة حجازية ليست من القبائل القوية ، يختلف المعاصرون في نسبها اختلافاً ظاهراً ، غير أنهم يتفقون على أنها قبيلة عدنانية من القبائل التي كانت تسكن حول المدينة ، أما نسابوا القبائل فيروون في نسبها أسطورة قد يكون لها شيء ولو يسير من الحقيقة •

ولم تعطنا المراجع القديمة شيئاً واضحاً يعتمد عليه في نسب هذه القبيلة ، وأول اشارة وصلت الينا هي ما جاء في كتاب « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع » تأليف الشيخ حمد الجاسر، قال: الهتيمي من عمرو بن كلاب « القول للهَجَري » ثم يقول الجاسر •كذا نسب الهتيمي إلى بني كلاب ، مما يدل على صراحة نسب هتيم ، وانهم من أصول صحيحة كبني كلاب وعبس وغيرهم من قيس عيلان • و« في شمال غرب الجزيرة » يقول الجاسر : ونجد الزمخشري يروي في كتابه « الجبال والمياه » لشاعر هتيمي هذا البيت :

أما قد عدا عن ركبة وُلد رافع وعن نملى والبرتين منيف

ونجد مؤرخي المدينة عندما يحددون جبل ثور ، ينقلون عن رجل من هتيم تحديده ، ويصفون هتيماً بمعرفتهم بالمواقع ، كما نجد في شعر ابن مقرب المتوفى سنة ٦٢٩ يقول :

فان هتيماً لو حوت مال طيّءٍ هتيم فلا يغررك طيف خيال
سترجع فيما عودت لحميرها وتحريق أشنان وخصف نعال

انتهى ما أورده الجاسر •

قلت : وقبل السيارات كانت هتيم مشهورة بالحمير ، وعليهم المثل القائل « ما حاصل لهتيم الا حميرها » والمثل « زينين هتيم بلا نخل » •

ويقول صاحب الرحلة الحجازية : عبس « هتيم » ، ثم يعدد من بطونهم ، وفي الهامش : عبس : هذه هي التي كان لها في الجاهلية ذلك الجاه المنيع • وكانت إلى القرن الثامن الهجري قوية فاعتدت على جاراتها فنقم عليها العرب وأوقعوا بها فشتت شملها إلى اليمن وغيره ، ومن ثم ضعف أمرها •

ولم يذكر لنا البتنوني المرجع الذي اعتمد عليه في نقل هذا الخبر، وأنا أشك أن عبساً ظلت معروفة إلى القرن الثامن الهجري ، وخاصة أن لدينا نصين تقدما بوجود اسم هتيم قبل هذا التأريخ بقرون •

وينحو صاحب الرحلة اليمانية هذا المنحى فيقول:وقبيلة الشرارات المشهورة بهتيم وموقعها بين الشرق والشمال للولاية ، وهي تابعة لها ــ أي للحجاز ــ وعددها أربعون ألفاً ، ونسبها ينتهي إلى عبس بن بغيض بن غطفان •

أما معجم قبائل العرب فيقول ــ بعد أن يذكر هتيماً الحجازية هذه ــ : هتيم : من قبائل العرب بمصر تقطن في الغربية •• الخ • وفي الذيل : قال الزبيدي في تاج العروس ج٩ ص ٩٨ : بنو هتيم قبيلة من العرب وهم ينزلون أطراف مصر ويقال : أنهم بطن من الترابين • وفي مادة الترابين : الترابين : من قبائل مصر العربية ، تنتسب إلى عرب الحجاز •

ولا يبعد الشيخ الجاسر عن هذا المنحى حين يقول : وسكانها

ـ يعني الصلصلة ـ من قبيلة هُتيم ، وهم يرجعون ـ أعني سكان البلدة ـ إلى قبيلة أشجع ، فالبلدة عرفت منذ القدم بهذه القبيلة • وفي مكان آخر يقول : والرجل من قبيلة هتيم أهل هذه الديار منذ العهد الجاهلي • وفي موضع آخر يقول : واستيطان هتيم في هذا الجزء ـ يعني جنوب خيبر ـ لا شك أنه قديم ، مما يحمل على القول بأن فروعاً كثيرة من قبيلة هتيم الحاضرة هم من بقايا قبيلتي غطفان ومحارب العدنانية الأصل ، والغالب أن القبائل كثيراً ما تحافظ على أوطانها • ويقول في مكان غيره : والرشايدة ينتسبون إلى رشيد بن الزول من عبس ، ويجمعهم هم والعوازم جد واحد هو الزول • وفي موضع آخر يجزم الجاسر أن هتيماً هم بقايا محارب وأشجع •

ماذا يقول نسابوا القبائل عن هتيم ؟

يقول نسابوا عنزة : إن الزوْل كان حذاء خيل أبي زيد شيخ بني هلال ، ولما هاجرت بنو هلال إلى مصر تأخر الزوْل قرب قاع شرورى بالقرب من تبوك ، وتوفي هناك مخلفاً ولدين هما : رشيد وشرار، وكان رشيد متزوجاً ولم يتزوج شرار فحدثت بينهما فتنة فرحل رشيد إلى جهات خيبر بينما رحل شرار إلى وادي السرحان • ويقول ابن سمرة أمير البحرة من وادي الغرس : الزول بن عبس أنجب رشيداً وراشداً ، وأن رشيداً أبو قبيلة بني رشيد ، وأن راشداً أنجب شراراً جد الشرارات •

مما تقدم يظهر :

١ ـ لا خلاف في أن بني رشيد والشرارات اخوة •

٢ ـ انهم أبناء الزوْل •

ولكن المشكل أن تكون هتيم معروفة في عهد الهجري والزمخشري والزول في عهد هجرة بني هلال ، وهو عهد متأخر عن السابقين[1] ،

---

(١) وحتى اذا كان الزمخشري متأخرا حوالي ٥٢٢ فان ذرية الزول لن تبلغ أن تكون قبيلة مشهورة في عهده •

تنتقص من قدرها ، كبني سليم بن منصور ، وبجيلة ، ومزينة التي اضطرت إلى الدخول في حرب ، وخزاعة ، وغيرها .

مما تقدم يظهر لنا :

١ ـــ ليس هناك دليل قوي أن الشرارات من بني كلب بن وبرة القضاعية .

٢ ـــ إن الشرارات ثابت نسبهم في هتيم .

٣ ـــ إن هتيماً ـــ وان كنا نجزم انها عربية أصيلة ـــ غير ثابت نسبها إلى قبيلة معروفة حتى نجد نصاً صريحاً .

رواية اخرى عن هتيم :

قال لي الشيخ محمد بن نهار الأحمدي ـــ رحمه الله ـــ قبل ما يقرب من ثلاثة عشر سنة : إن قبيلة هتيم من بني عبس . ويورد دليلاً يقول: عندما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم غزو تبوك ، أرسل إلى كل من عبس وجهينة يطلب المدد ، فقالت جهينة نمدكم بالمال والسلاح ، ونعتذر عن الرجال لأنكم تغزون قومنا ـــ يقصدون عامة قضاعة ـــ أما عبس فرفضت المدد بأية حالة ، فخطب الرسول قائلاً « أما عبس فقد هتموا أنفسهم » . هذا ما أحفظه عن ذلك الشيخ ، ولم أكن قد اشتغلت بالبحث أنذاك فلم أسأله عن مصدر هذه القصة ، ولم أجد في المراجع التي لدي ذكراً لهذه الرواية ، ولا شك عندي في ثقة وثبت ابن نهار ، ولكن ربما كانت هذه قصة شعبية عائمة .

والقبائل اليوم لا يتزاوجون مع هتيم ، وهو أمر يرتكز على العصبية وبقايا عادات جاهلية ، والا فالتزاوج لا علاقة له بالعنصر ، وقد ثبت عنه قوله صلى الله عليه وسلم : « من أتاكم ترضون دينه وخلقه فزوجوه » . وقوله : لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى.

حيث تنص الروايات أن هجرة بني هلال كانت في أول القرن الخامس. ولكن ربما كانت هتيماً هذه ــ بني رشيد ــ منضمة إلى هتيم أسبق منها التي منها : الحوازم والعوازم والفهقيات . أما الأقوال بأنهم من عبس أو أشجع أو بني كلاب أو محارب فكلها تحتاج إلى سند وترجيح. ويعزل حمد الجاسر الشرارات عن بني رشيد حيث يجزم أنهم من بني كلب لوجودهم في وادي السرحان ديـار بني كلب قديماً ، ويورد استنتاجات لا تفي كقاعدة لهذا الجزم ، وهي :

١ ــ وجود أسماء من قبائل الشرارات مطابقة أو مقاربة لأسماء قبائل من كلب . وأقول : ليس هذا من الادلة القوية ، فبنو عمرو ــ مثلا ــ من الأنصار ، وبنو عمرو من حرب ، وبنو عمرو من آل حجر . وكذلك عوف ، في الأنصار وحرب وثقيف . وسليم بن منصور، وسليم في زهران . والأدلة على هذا أكثر من أن تحصى .

٢ ــ والثاني كون الشراري ينتسب إلى شرار بن سليمان بن هلال مكلب . وليس القول بأن مكلباً هو كلب قولاً قوياً ، وما المانع أن يكون أحد أجداد الشرارات مكلباً ؟ ثم هذا القول يدحضه قـول عنزة وبني رشيد بأن شراراً من نسل الزوْل .

٣ ــ وجود الشرارات في ديار بني كلب . وهذا شاهد ليس قوياً أيضاً لسببين : أولهما ما تقدم بأن شراراً ابن الزول وأنه اختلف مع أخيه فتفرقا من جهات تبوك . والثاني انه غالباً ما تحل قبيلة محل أخرى ، فحرب اليوم تحل ديار كنانة وخزاعة وغطفان . وعنزة تحل ديار عذرة وكلب ، باعتبار حدد من ديار كلب ، وعتيبة تحتل معظم ديار بني سليم القديمة وبني عامر .

٤ ــ الربط بين ضعف بني كلب ووضع الشرارات الحاضر ليس من الشواهد المعتبرة فهناك قبائل ضعفت ولكن لم تضعها القبائل أو

علاوة إلى أن المشاهدمن هذه القبيلة لايتنافى مع عادات العرب ومزاياهم، علاوة على جمال نسائهم وهو أمر مشهور ، وهم ـ وخاصة بني رشيد ـ قوم متدينون يبنون المساجد ويؤمونها وفيهم تقوى .

هتيم اليوم

تقسم هتيم اليوم إلى ثلاث قبائل متوسطة الحجم ، هي :

بنو رشيد ، والشرارات ، والعوازم . وفي نواحي الكويت توجد قبيلة الحوازم ، وهي أيضاً منسوبة إلى هتيم .

بنو رشيد

تقع منازل هذه القبيلة شمال المدينة على بعد قرابة ثلاثين كيلاً ، وتمتد شمالاً على طول وادي اللحن ، وجبل اشمذ ، والصلصلة ، ووادي الغَرَس ، ثم تمر شرق خيبر الى حرة ضرغد ، مائلة شرقاً على روافد وادي الرمة ، ولها هناك : الحائط « فدك » والحويّط «يديع» وهي ليست ضعيفة حقيرة كما وصفها بعض الكتاب ، بل كانت لها حروب وغزوات قبيل الحكم السعودي . غير أن القبائل الأخرى ـ كما قدمنا ـ تأنف أن تتزاوج مع هذه القبيلة ، وليست قبيلة هتيم فقط التي تأنف القبائل العربية التزاوج معها ، فهناك : الصلب : في شمال نجد ، والخضيريون : قبائل عديدة منتشرة في نجد ، والصناع في قرى الجنوب ونجد ، والبلاحط : في عسير ، والنخاولة : في المدينة، وأحياء تتنقل يقال لهم « الخلوة » وغير هذه أجناس صغيرة أخرى .

فروع بني رشيد

١ ـ الذيبة : ومنهم السمرات قوم ابن سمرة شيخ بلدة البحرة.

٢ ـ الرقبان .

٣ ـ الصوادرة .

٤ ـ العتيّق .

٥ ــ العويّض •
٦ ــ الفجاوين •
٧ ــ الهونة •
٨ ــ المسرّة •
٩ ــ السّنَين •
١٠ ــ البُوَيْدي •
١١ ــ الجداعين •
١٢ ــ العويّد •
١٣ ــ الفرادسة : ومن فروعهم : القيمشات ، الراشد ، الحماد ، الحيازين •
١٤ ــ المهامزة : ومن فروعهم : الزعاترة ، النميّان ، الدناهرة ، العمامير ، المعيوفات •
١٥ ــ الخيارات : ومن فروعهم : المغير ، الدغمة ، والخميّس •
١٦ ــ العرارة : ومن فروعهم : الحلاليق ، واحدهم حـّلاقي ، والمراشدة ، والهروف •
١٧ ــ الجريشات : ومنهم : الطرانية ، والمسعد ، والسعدون ، والحراميس •
١٨ ــ المضابرة : ومنهم : الفغوم ، والردافين ، والفهير •
١٩ ــ العوامرة : ومنهم : الشنانية ، وذوو علي ، والعدلات ، والعوران ، والشرمان •
٢٠ ــ القعابيب : ومنهم : الصقرة ، والعيفان ، وذوو جميل ، والخشمان ، وذوو بليم ، والمعاودة ، وذوو مناور •
٢١ ــ البراك •
٢٢ ــ الرويضات •
٢٣ ــ الزبون •

٢٤ ــ الخلوية .
٢٥ ــ الوهادين .
٢٦ ــ القلادان .
٢٧ ــ البراقعة .
٢٨ ــ العياضات .
٢٩ ــ الشوالعة .
٣٠ ــ النوامسة .

ومن الرشايدة اليوم حي كبير يعرف بعرب الرشايدة في مديرية كسلا بالسودان ، وفي واد غرب بور سودان ، وما حوله .

الشرارات

الفرع الثاني من هتيم ، وتقع منازلهم من الجوف إلى القريات « قريّات الملح » ، على وادي السرحان ممتدة إلى داخل الاردن عند الأزرق ، والى باير .

فروعهم :

نقل صاحب معجم قبائل العرب عن « قلب جزيرة العرب » أن هذه القبيلة تنقسم إلى ثلاثة أقسام : الحلسة ، والفليحات ، والعزّام . وروى لي أحد الجوفيين مثل هذا . وزاد الجاسر : الضباعين[1] .

وهذه فروعهم التي أوردها الجاسر في كتابه « في شمال غرب الجزيرة » :

١ ــ الحلسة : واحدهم « حليسي » وفروعها :

---

(١) في شمال غرب الجزيرة ص ٤٥ .

آ ـ الصبحي : وأفخاذها : الدعاجين ، الدوابسة ، النواوقة ، والعجيلات ، والصوالحة ، والهلاكين ، والمضاحكة .

ب ـ الرشايدة : « رشيدي » .

حـ ـ الصبيحات : « صبيحي » .

د ـ الدباوين : « دبيواني » .

هـ ـ القوينات : « قويني » .

و ـ العمرو .

ز ـ الصباحنة : غير الصبيحات « واحدهم صبحاوي » .

حـ ـ الدفاف : « دفافي » .

٢ ـ الضباعين : وفروعها :

آ ـ الخميس : « خميسي » ومنهم : الجريد ، الضبيمانيين ، والدعيجاء .

ب ـ العويمر : « عويمري » وأفخاذهم : الحميدان ، الحمدان، والحماد .

ج ـ العيد .

د ـ المقبل .

هـ ـ القرية : « قرياوي » وأفخاذهم : الحمارين ، الموانعة ، المطيّة .

و ـ الرهيدات : « رهيدي ».

ز ـ الصواوية : « صوا » .

٣ ـ الفَلَيْحات : « فليحاني » وفروعها :

آ ـ السليم : « سليمى » وأفخاذهم : الدويرج ، الليمون ، الصوالحة ، الحزالمة ، الدقايقة ، المعاقلة ، المهرس ، الحميد .

ب ــ الجوابرة : « جابري » وأفخاذهم : اللحاوين « واحدهم لحاوي » المفالحة ، العتايقة ، الدليهان ، البركات .

٤ ــ العَزّام : وفروعها :

آ ــ المسند : وأفخاذهم : الخيايلة ، الفليوات « فليوي » ، الهموش « همشي » ، الحيوان «حيواني» العشيشات،«عشيشاني»[1]
ب ــ الماضي : وأفخاذهم : الوردة ، النصار ، الخضير .
جـ ــ الحمود[2] .

العوازم

الفرع الثالث من هتيـم ، وهناك من يضيف فرعـاً رابعاً هو « الفهيقات » وتتواجد قبيلة العوازم في ثلاث مناطق هي :

١ ــ على الساحل الغربي للخليج العربي بين الكويت والظهران ، وتمتد غرباً في الصحراء فتجاور مطيراً هناك . وذكر صاحب معجم قبائل العرب ، نقلاً عن « قلب جزيرة العرب » وغيرها :
إن لها فرعين رئيسيين هما :

آ ــ القوعة : ومنهم : الهذاليين ، والبريكات ، والمساحمة .

ب ــ ذوو عِياض : ومنهم : الملاعبة ، والمساعدة ، والجواسرة ، والغُرَبة ، والقرّاشة ، والمحالية ، والصواير ، والعتارمة ، والتومة ، والموايقة ، والعبابيد .

---

(١) أسقطنا « النصار » لقول سعود الشراري : أنهم من الماضي وليسوا من المسند ؛ وورد ذلك في مجلة العرب ص ٩٥٤ س ٩٤ .
(٢) في شمال غرب الجزيرة ص ٤٥ وما بعدها .

٢ ـ فرع يسكن مع بني رشيد المتقدم الحديث عنهم ، ومن فروعـه :

المثارية ، والزنوخ ، والمرايين ، والزنيوات . ويخالطهم حي من الفهيدات .

٣ ـ فرع صغير يسكن حول الجوف[1] .

---

(١) أبو علي الهجري ص ٥٩ . الرحلة الحجازية ص ٥١ تمهيد . الرحلة اليمانية ص ١٤٠ . في شمال غرب الجزيرة : ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٧ ، وما بعدها . معجم قبائل العرب : هتيم ، الشرارات ، العوازم ، القوعة ، ذوو عياض . أقوال : ابن سمرة ، نسابي عنزة ، محمد بن نهار الأحمدي .



٣

في أرض مدين

في النصف من شعبان سنة ١٣٩٤ هـ قررت القيام برحلة إلى ماوراء سلسلة جبال حسمى ، تلك الأرض التي شهدت رسالة نبي الله شعيب، وعاش فيها موسى ، كما ورد في القرآن الكريم ، ثم عرفت عند الجغرافيين ـ فيما بعد ـ بأرض مدين . ولا شك أن أهميتها تعود كلياً إلى ذلك الحدث الذي أشرنا إليه آنفاً ، وإلاّ فهي أرض قاحلة قليلة السكان والعمران في وقتنا الحاضر .

ما هي حدود مدين وأين تقع ؟

على السؤال الأول يجيب المتقدمون الذين اجتهدوا فعرفوا مدين بأنه اسم القبيلة ، فقال ياقوت : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وفتح الياء المثناة من تحت ، وآخره نون . قال أبو زيد : مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى ، عليه السلام ، لسائمه شعيب ، قال : ورأيت هذه البئر مغطاة قد بني عليها بيت وماء أهلها من عين تجري ، ومدين اسم القبيلة ، وهي في الاقليم الثالث ، طولها احدى وستون درجة وثلث ، وعرضها تسع وعشرون درجة ، وهي مدينة قوم شعيب سميت بمدين بن ابراهيم ، عليه السلام ، قال القاضي أبو عبد الله القضاعي : مدين وحيّزها من كورة مصر القبلية ، وقال الحازمي : بين وادي القرى والشام ،... وقيل مدين اسم القبيلة ، ولذا قال الله تعالى: والى مدين أخاهم شعيباً ؛ وقيل : مدين هي كَفَرْمَنْدة من أعمال طبرية وعندها أيضاً البئر والصخرة ؛ قال كثير :

رهبان مدين والذين عَهِدتُهم ... يبكون من حذر العقاب قعودا
لو يسمعون كما سمعتُ حديثها ... خرّوا لعزّة ركّعاً وسجودا

وقال البكري في معجم ما استعجم : بلد بالشام معلوم تلقاء غزّة، وهو المذكور في كتاب الله تعالى ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

سرية إلى مدين،أميرهم زيد بن حارثة،فأصاب سبياً من أهل ميناء ، قال ابن اسحاق : وميناء من السواحل ، فبيعوا ، وفرّق بين الأمهات وأولادهن ، فخرج رسول الله وهم يبكون ، فقال : ما لهم ؟ فأخبر خبرهم ، فقال : لا تبيعوهم الا جميعاً .

ومدين : منازل جذام . والصحيح في نسبه أنه جُذَام بن عدي ابن الحارث بن مُرّة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عَرِيب بن زيد بن كهلان . وشعيب النبي عليه السلام المبعوث إلى أهل مدين أحد بني وائل من جذام . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، لوفد جذام : مرحباً بقوم شعيب ، وأصهار موسى ، ولا تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ، ويولد له .

ولم أجد في سيرة ابن هشام ذكراً لسرية زيد بن حارثة إلى مدين ، بل ذكر في سرية القردة من نواحي المدينة ، وغزوة مؤتة التي قتل فيها.

وفي مادة ميناء : ذكر ياقوت هذه الغزوة .

وعدد ابن سعد في الطبقات الكبرى سرايا زيد بن حارثة :

سرية القَرَدة ، وسرية بني سليم بالجموم[1] ، وسرية العيص[2]، وسرية إلى الطرف[3] ، وسرية إلى حسمى سنة ٦ للهجرة ، وسرية لوادي القرى ، وسرية أم قرفة بوادي القرى ، ثم سرية مؤتة حيث استشهد رضي الله عنه .

ولعل سرية حسمى هذه هي المقصودة ، ولكن ابن سعد يذكر أن وفداً من جذام سبقوا زيداً إلى المدينة فأمر لهم باطلاق الأسرى ورد الغنائم وأرسل بذلك علياً ــ كرم الله وجهه ــ إلى زيد فلقيه في الطريق فرد لهم أموالهم وأهليهم .

---

(١) مكان من نجد شرق حرة كشب .
(٢) واد ذو قرى وزروع غرب المدينة .
(٣) هي بلدة الصويدرة ، شرق المدينة .

أما موقع مدين فهو بلا خلاف غرب تبوك بينهـا وبـين خليج العقبة ، فاذا كان المقصود مدينة شعيب فهي تعرف اليوم باسم البدع ، وتقع على « ٢٢٠ » كيلاً من تبوك يصل بينهما طريق معبد .

أما اذا كان المقصود ديار القبيلة فان الموقع والحدود تتأثر بسعة انتشار تلك القبيلة وتقلصها ، فاذا ثبت أنهم من جذام كانت تمتد من ساحل البحر إلى قرب تبوك ، ثم تدخل في الشراة شمالاً ، وتقرب من ضبة جنوباً .

ورأيت من اعتبر أرض مدين تمتد شرقاً إلى ما وراء تيماء ، وهو أمر بعيد الاحتمال . واذا طبقنا نظرية الحدود الجغرافية التي تشمل مسمى واحداً في الغالب[1] ، نستطيع القول بأن أرض مدين تحد من الشرق بسراة حسمى ، ومن الغرب بالبحر ، ومن الشمال حقل أو العقبة ، أما من الجنوب فلا تتجاوز ضبة أو دونها .

وهذه الأخيرة هي المعنية برحلتي هذه .

ولا شك أن اخوة سبقوني في الكتابة عن هذه الأرض كالشيخ حمد الجاسر ، والمستر فلبي ، وغيرهما ، غير أنه قد يتاح لي ما لم يتح لهما ، وقد يعطي أسلوبي وطريقتي معلومات لم ترد في كتاباتهما ، والأهم أن هذه الرحلة متممة لما قبلها وبعدها .

---

(١) يعتبر العرب سلسلة الجبال حداً ، والنهر حداً لتحديدهم تهامة ، والجلس وفلسطين الخ ، وليست هذه قاعدة عامة .

بـــدء الرّحـــلة

قمت في الخامس عشر من شعبان سنة ١٣٩٤ هـ ــ بكامل الأسرة من تبوك بعد صلاة الظهر ، فسرنا على طريق الأردن شمالاً ، ولم أكن أحتاج إلى دليل ، لأني أمضيت عدة سنوات ــ من ١٣٧٩ ــ ١٣٩٥ ــ في هذه الديار ، فأنا أعرفها كمعرفة أهل مكة لشعابها ! خرجنا من تبوك وكان من أبرز ما نشاهد :

جبل شروري إلى يميننا سامق بارز ، وإلى مطلع الشمس منه جبال « غوانم » ثم يتصل به من الغرب جبال عاجات •

أما يسارنا فتبرز سلسلة حسمى الممتدة بامتداد هذا الطريق من الجنوب إلى الشمال ، وهي جبال متفاوتة مختلفة الارتفاع متصل بعضها ببعض •

بئر ابن هرماس

وعلى ستين كيلاً من تبوك وصلنا بئر ابن هرماس مفترق الطرق في هذه الناحية ، وهي قرية قامت على بئر هناك قيل أن رجلاً من بني عطية حفرها ، وعندما مدت سكة حديد الحجاز اتخذت بها محطة لها ، فبدأت تنمو ببطء شديد، ثم صارت اليوم قرية بها مركز امارة ومدرسة ابتدائية ، وعندها يفترق طريق البدع « مدين » عن الطريق الرئيسية المتجهة إلى الأردن •

وانحرف طريق مدين إلى الغرب عابراً على جسر تمر من تحته السكة

الحديد ، ولا زلنا في نفس سهل تبوك الواسع ذي المياه الغزيرة ، وبعد عشرين كيلاً جعلنا « قُريَّة عيينة » يسارنا فأخذنا بعدها نصعد مرتفعات « الزيتة » .

الزيتة

جبال تضرب إلى الحمرة تغطيء سفوحها الرمال السائبة ، وهي امتدادا لسلسلة حسمى في الشمال ، مياهها الشرقية إلى الزاوية الشمالية الغربية من سهل تبوك أو امتداده ، والغربية تكون روافد لوادي عُفال ، ومن الزيتة هذه واد يعرف بها يصب غرب حالة عمار إلى الجنوب ، وآخر يصب غرباً في وادي عفال . ورمال الزيتة كانت عقبات شاقة في طريق السيارات بين تبوك وحقل ، ذلك انها رمال سائبة ميثاء . تنغرز فيها عجلات السيارات فلا تخرج الا بالجهد الجهيد من دفع وحفر ورصف ، وكم ساعات قضيناها هنا ، ولكنها قد عبدت الآن فصارت السيارة تعبرها في دقائق معدودات .

الشرف

ولما علونا شفا الزيتة اعتدل الهواء وزادت سرعة الرياح ، وهذا هو أول الشرف ، والشرف : أرض جبلية تتخللها الأشعب الضيقة التي تكون أعلى وادي عفال ، ويتوسط الشرف « المثلث » ثم الشرفة بعده .

وهو من ديار العميرات من الحويطات .

ومن الشرف انحدرنا في أحد فروع وادي عفال فسرنا فيه حتى وصلنا قرية المثلث .

المثلث

قرية صغيرة مستحدثة في صدر وادي عفال ، عندها تتجمع روافده العلوية كأودية: واسط والقحزاء ووادي الزيتة ووادي الشرفة.

وسبب قيامها افتراق طريق حقل عن طريق البدع والشيخ حميد عن بعضهما في هذا الموضع ، فنشأت حوانيت بسيطة ومقهى وبويتات للعميرات من الحويطات . ومنها يأخذ طريق حقل إلى الشمال الغربي، وطريق البدع إلى الغرب مع ميل إلى الجنوب.وهي محسوبة من الشرف بل هي قاعدته الان ، تبعد عن تبوك « ١٧٥ » كيلاً شمالاً غربياً ، وعن حقل « ٥٥ » كيلاً جنوباً شرقياً ، وعن البدع « ٥٧ » كيلاً شرقاً شمالياً ، وتكون رأس مثلث بالنسبة لكل من حقل والبدع . وبالنسبة لخطوط الطول والعرض تقع على« ١٢َ/ ٣٥° طولاً ،و ٥٨َ/ ٢٨° عرضاً » .
وتشرف عليها من الجنوب جبال اللوز : جبال عالية تضرب إلى الزرقة تسيل معظم مياهها في وادي عفال ، وتراها وانت في البدع تشرق عليها الشمس ، ويشرف على المثلث من الشمال جبلا حُمير والقصير ، وهما الجبلان اللذان تقع بينهما الشرفة .

الشرفة

وكانت تسمى شرفة بني عطية ، ذلك أن ديار بني عطية كانت تمتد إلى العقبة وما وراءها كما تقدم . والشرفة هذه تشرف على بلدة المثلث من الشمال الغربي بين جبلي حُمَير ـ شرقياً ـ والقصير ـ غربياً ـ، ماؤها الجنوبي على المثلث والشمالي في الوادي الأسمر، وتبعد « ٨٠ » كيلاً عن تبوك ، وعن حقل خمسين كيلاً . وكانت

الشرفة في العهد القديم عقبة كأدى في طريق قوافل الحجاج ، حيث الصعود إليها من جهة حقل يأخذ مسافة طويلة في صعود مستمر ، وكان الحجاج يقولون : « لا حج الا بعرفة ولا جمل الا بعد الشرفة ».

وأعلى الشرفة فج ذو قرارة بيضاء ، مياهه الشمالية في الوادي الأسمر .

الأسمر والحميضة

ومن شرفة بني عطية ، ويطلق عليها اليوم « الشرف » انحدرنا في منحدر حاد هبط بنا إلى الوادي الأسمر ، وهو واد يأتي من الشرق من جهات علقان ويتقاسم مياه الشرف مع وادي عفال ، ثم ينحدر مغرباً حتى يصب في خليج العقبة على قرية الحميضة ، يأخذه الطريق المعبد من الشرفة حتى مصبه .

وعند مصبه وصلنا قرية « الحُمَيضَة » تصغير حمضة وهي قرية صغيرة على الشاطىء الشرقي لخليج العقبة . في خليج صغير دائري الرأس على مصب الوادي الأسمر ، شواطئها ذات رمل أبيض بصفرة نظيف ، ومنظرها رائع جداً ، فيها بويتات لا تزيد على العشرة ، وعندما وصلها الطريق المعبد من تبوك صارت منتزهاً للأهالي يذهبون إليها كل خميس ، فتراها يوم الجمعة ذات جموع مكدسة بعضها قرب بعض ، وكأنهم في مزار عظيم .

والمسافة إليها من تبوك « ٢١٧ » كيلاً .

وعلى الوادي قرب الحميضة جسر مسلح ضخم تمر فوقه الطريق المعبدة .

حقل

ومن ذلك الجسر علونا ظهراً مرتفعاً هو قرارة حزم ممتد من الشرق إلى الغرب بين الحميضة وحقل ، هذا الظهر كان يسميه الحجاج المصريون « ظهر الحمار » وفيه مكان كانت الطائرات تهبط فيه سنة

١٣٧٨ هـ ، وتفكر الدولة اليوم لرفع مباني حقل إليه ذلك أن مكان البلدة اليوم مهدد بالسيول حيث يقع في بطن وادي مبرك ذي السيول الجارفة •

ومن ظهر الحمار هبطنا بلدة حقل على « ٢٢٥ » كيلاً من تبوك• كان ذلك قبيل غروب الشمس ، وليست هذه أول رؤياي حقل ، إذ كنت مرابطاً هنا سنتي ١٣٧٩/٧٨ هـ غير أن البلدة التي كانت قرية صغيرة قد تقدمت اليوم وكثرت مبانيها نسبياً •

وسكان حقل الأصليون هم العمران من الحويطات ، وتقع البلدة على الشاطىء الشرقي من خليج العقبة في متسع من مصب وادي مبرك يحد هذا الاتساع الجبال المحيطة بها من الشمال والجنوب ، والبحرمن الغرب ، مما جعل العمران يملأ الوادي فتهدد المنازل باجتحاف السيل لها •

ومن الغرب يسد بينها وبين البحر غابة من نخيل ، ومن الشمال جبل « مفسِّي » تل عال حاد الارتفاع رخو التربة يصعف صعوده •

وشاطىء حقل نظيف جميل غير أنه دون شاطىء الحميضة ، ولذا تراه مزدحماً أيام الجمع بالمتنزهين ، ويصله بالعقبة ــ على ثلاثين كيلاً شمالاً ــ طريق معبدة ، والحدود بينهما • وفي حقل مدرسة للذكور وأخرى للبنات ، وامارته تابعة لقريات الملح وعندما غابت الشمس تلألأت الانوار في شوارع حقل فاذا شوارعه مضاءة ، وهو أمر كان بعيد الاحتمال قبل ١٥ سنة !

ولحقل ذكر في الأدب القديم ، قال ياقوت : مكان دون أيلة « العقبة » بستة عشر ميلاً ، كان لعزة صاحبة كثير، فيها بستان ،فقال:

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلاً ، بحقل لكم يا عزّ قد زانتا حقلا
نجاء الثريا كل آخر ليلة تجودهما جوداً وتردفه وبلا

وقال ابن الكلبي : حقل ساحل تيماء • وقال أبو سعد : حقل قرية بجنب أيلة على البحر •

وادي مبرك

هو وادي حقل : واد كثير الروافد يصب من جبال علقان من سلسلة حسمى ثم يجتمع به وادي أبي الحنشان ، وفي الأخير قرية صغيرة ، فاذا اجتمع الواديان سمي مبركاً حتى يصب على حقل ثم في البحر •

وعلقان جبال مناصيب منفصل أكثرها عن بعضها مصمعدة في السماء يصعب الصعود فيها ، واذا نظرت إلى قمة أحدها من سفحه رفعت رأسك حتى تعطف رقبتك الى الخلف ، وهي من أبرد مناطق حسمى ، وليس بها ماء غير وشل يسمى القطار • وليس بها نزل دائم ، وانما كان بها مركز تموين للجيش سنة ١٣٨٨ هـ •

وما ذكره الجاسر بأن في علقان بلدة لها سكان يحتاج إلى نظر ، أو بالأصح هو وهم نشأ من معلومات الامارات التي تضيف البوادي إلى أقرب ماء أو واد فيظن الباحث الذي لم ير هذه المواقع أن أولئك السكان دائمون ، وهو أمر وقع فيه الشيخ كثيراً في جهات خيبر وفدك وغيرها •

عود على بدء :

وعند المساء اشترينا ما تيسر فعدنا مع طريقنا ووجهتنا البدع والشيخ حميد ، فسرنا حتى وصلنا بلدة المثلث السابقة فعطفنا يميناً منحدرين مع وادي عفال المتجه غرباً إلى الجنوب ، وبعد مسيرة قرابة أربعين كيلاً جنبنا عن الطريق فنمنا ، وهنا هجم علينا نوع من القارص ليس ببعوض ، ولكنه نوع خاص بهذه الديار ، وكانت ليلة ليلاء قل فيها الرقاد وطال السهاد ! •

وادي عفال

وادٍ فحل من أودية شمال الحجاز ، يأخذ من جبال حسمى وجبال اللوز ثم تتجمع أول روافده عند المثلث ، ثم يأخذ إلى الغرب مع ميل إلى الجنوب جاعلاً جبال اللوز الشاهقة يساره ثم يمر بالبدع الواحة الوحيدة الخصبة في هذا الوادي ، فاذا تجاوزها جعل سلسلة جبال زُهْد وحرب وما إليهما يساره فتتسع دلتاه هنا في سهل واسع جرز دعاه الجزيري « طي الناشر » فلا يزال يسير في مثل هذا حتى يصب في البحر بين عينونا والشيخ حميد في مكان يدعى اللسان .

واذا قست طول وادي عفال ـ بالمهملة ، وتخفيف الفاء ، وبعد الألف لام ـ على الخريطة من أعلى مساقط مياه كان يقرب من «١٨٠» مائة وثمانين كيلاً جله واقع في ديار الحويطات ، وأعلاه ـ الأبيض ـ واقع في ديار بني عطية .

وله روافد متعددة من أهمها :

١ ـ الوادي الأبيض : واد يأخذ من شرق جبال اللوز ثم يتجه شمالاً حتى يقرب من الطريق ثم يعدل إلى الغرب ثم يصب في عفال عند المثلث .

٢ ـ وادي واسط : واد كبير غير ذي زرع يأتي من الشمال الشرقي فيصب في صدر عفال .

٣ ـ وادي صَرَيم : وادٍ ينحدر مع الطريق بين الزيتة والمثلث، يصب عند المثلث من الجنوب الشرقي .

٤ ـ وادي الشرفة : واد صغير يسيل من شرفة بني عطية فيصب على المثلث من الشمال الغربي ، يأخذه الطريق من المثلث إلى حقل .

٥ ــ واد عَمْق : واد يأتي من الغرب فيصب في عفال بين المثلث والبدع •

وهناك شعاب صغيرة كثيرة نظراً لانحدار الوادي بين سلاسل جبال • وذكر فلبي أن الأيكة من روافد عفال ، ولكن أهل هذه الديار ينفون معرفتهم لهذا الاسم ، ولا أرى الأيكة الا البدع نفسه •

مواصلة الرحلة :

استيقظنا صباحاً فسرنا على الطريق الممتد بامتداد وادي عفال ، وكأننا استطولنا الطريق فاذا بصفراء منتصبة من الطين الأبيض عالية ذكرتني بجبل حراء ، ولأول مرة أرى جبالاً من الطين ، وهذه تسمى « الصفراء » ما أن عبر الطريق من تحتها حتى ظهر لنا نخل البدع ، فكان أول ما وجدنا من العمار محطة للمحروقات • ثم دخلنا البلد فعبرنا على جسر إلى الضفة الغربية ، فكان يسارنا صفراء ، وأمامنا صفراء شعيب •

البدع

قرية تتوسط أراض خالية من العمران ، فأقرب قرية تبعد عنها قرابة ستين كيلاً ، وهي أيضاً تكاد تتوسط وادي عفال الخالي من الزراعة والحياة الا من هذه القرية • وهي ذات زراعة لا بأس بها على آبار ضخ ، وفيها سكان وحوانيت ومقهيان ، وسكانها الحويطات وجلهم من المساعيد الذين ينفون كونهم من الحويطات كما تقدم في قبائل شمال الحجاز • وتقع البلدة بين ثلاث صفراوات : الأولى تشرف عليها من الشمال الشرقي وهي التي تقدم وصفها ، والثانية من الشرق : ضخمة ممتدة بامتداد الوادي •

والثالثة ـ صفراء شعيب ـ وتشرف على البلد من الغرب ، وفيها مغائر شعيب عليه السلام ، وسوف يأتي الحديث عنها ؛ ومن أبرز الجبال التي تراها من هنا : جبال اللوز تشرق عليها الشمس ، عالية زرقاء ، يقال إن شجر اللوز موجود فيها ، وان الثلج يتكون على قممها في شهري كانون . وهذا البلد يسميه الباحثون المحدثون « مدين ». بينما عرفه الرحالون الحجاج ـ كالجزيري وابن عبد السلام الدرعي ـ باسم مغاير شعيب ، وانظر مدين فيما تقدم ـ والأيكة ومغاير شعيب فيما يلحق ؛ وكان على آثار صفراء شعيب جندي حارس يمنع الوافدين من اصطحاب شيء من الآثار ، وهي اجراءات طيبة لم نفطن لها حتى سلبنا الغربيون أحسن هذه الآثار ، أو عبث بها من لا يعرف قيمتها .

الشيخ حميد والسلاف

ومن البدع واصلنا سيرنا غرباً باتجاه البحر على طريق مسفلت ممتاز ، وعلى بعد « ٧٢ » كيلاً من البدع وصلنا الشيخ حميد ، وأول ما قابلنا عند نهاية الطريق مخفر لسلاح الحدود . والشيخ حميد : رأس في البحر بين بداية خليج العقبة ونهاية البحر الاحمر ، فيه ميناء صغير ، ومنه ترى جزيرة تيران ـ بوابة الخليج ـ جنوباً غربياً ، ترى الواقف عليها . واصل تسمية الشيخ حميد ـ فيما يقال ـ قبر يقال أن صاحبه اسمه الشيخ حميد ، وانه كان صالحاً ، ولما مات اتخذ الجهلة من قبره مزاراً للتبرك وطلب النفع ، وما النفع الا من عند الله . وكان أهل هذه الجهات يذبحون عنده الذبائح ويعملون عنده أعمال الشرك العظيم .

ويقول بعض الحويطات : إن حُميداً وحويطاً أخوان ، فأنجب حويط الحويطات ، وأنجب حميد الحميدات ، وبني عقبة . والحميدات

دخلوا في الكعابنة من قبائل الكرك • وبنو عقبة والحويطات تقدم الحديث عنهم •

فاذا صحت هذه الرواية فهي شاهد على أن الحويطات من جذام، ذلك بثبوت بني عقبة •

ولم نجد المكان المناسب لمقيلنا في الشيخ حميد فعدنا جنوباً قليلاً إلى خليج يدعى « اللسان » هذا الخليج يحف بالرأس من الجنوب ، واذا ذكر أحدهما أغنى عن الاخر ، وعلى رأس هذا اللسان طائرة جاثمة تآكلت معظم أجزائها ، ولها قصة محزنة ! ذلك أننا كنا نرابط في حقل سنة ١٣٨٩ ﻫ ثم انسحبنا إلى تبوك فبقيت وحدات منها فصيل يرابط في الشيخ حميد ، وكان على ذلك الفصيل زميل لي برتبة ملازم • وذات يوم حطت هذه الطائرة في هذا المكان هبوطاً اضطرارياً ، ولم يشك الزميل وأفراده انها معادية ، وكانوا حذرين مستعدين فطوقوها برشاشاتهم ، وطيروا البرقيات بذلك حيث سورع إلى اتخاذ جميع الاجراءات •

ولكن الخبر أوقع المسؤولين في ورطة حيث صدر تصريح بذلك ولما تبين الأمرفاذا ليس في تلك الطائرة سوى أمريكي سائح وزوجته، وان طائرتهما تعطلت فرأيا الأرض الساحلية فهبطا اضطراريا •

فصدر الأمر بانزال رتبة من ذلك الضابط عقاباً له على تسرعه وعدم تثبته وهو أمر لا يستحسن ممن يحرسون الثغور ويرابطون لصد العدو •

وكما كانت هذه الطائرة نقمة على ذلك الضابط فقد أنعم الله بها علينا ، فقلنا تحتها في ظل ظليل وهواء عليل ، ولا زلنا كذلك حتى كادت ذكاء تنغمس في البحر ، فاذا بقارب لسلاح الحدود يقترب منا إلى بعد يزيد على مائتي متر فأخذ في مراقبتنا ، ولما رأينا ذلك وفرنا عليهم هذه المهمة فغادرنا المكان عائدين إلى تبوك •

ومن الشيخ حميد تخرج طريق ساحلية شمالية تمر على مقنى وطيّب اسم إلى حقل والعقبة •

الأماكن التاريخية في أرض مدين

هذا باعتبار أرض مدين هي ديار القبيلة التي أرسل لها نبي الله شعيب ، وانها تشمل الأرض الواقعة على الشاطىء الشرقي لخليج العقبة إلى مشارف سراة حسمى . وكمعظم أرض العرب ذكر المؤرخون والشعراء أماكن من هذه المنطقة ، وهذه الأماكن الواردة هنا هي ما كثر ذكرها وليس الحصر المقصود .

١ ــ الأيكة : مكان ذكره الله في القرآن وذكر أن شعيباً أرسل لهم ، وأنهم أبيدوا بعذاب يوم الظلّة .

وبالاستنتاج نقول : ان شعيباً أرسل إلى مدين « وإلى مدين أخاهم شعيباً » وانه رسول إلى أصحاب الأيكة « كذب أصحاب لئكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . » إلى قوله تعالى « وأوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين.وزنوا بالقسطاس المستقيم. ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين.»إلى قوله: « فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلّة إنه كان عذاب يوم عظيم .»[1]

إذاً مدين الأمة أو القبيلة ، والأيكة القاعدة والمدينة . ومن يرى هذه الجبال الطينية العجيبة يخيل إليه أنها غير طبيعية وأنها ربما كانت نتاج عذاب أمطره الله على أهل هذه القرية فدمدم قصورهم ومساكنهم تحته ، والله أعلم بذلك .

---

(١) الشعراء آية « ١٧٦ » وما بعدها .

وقد ذهب بعض المتقدمين إلى أن الأيكة هي تبوك •

قال في معجم البلدان : قيل : هي تبوك غزاها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، آخر غزواته ، وأهل تبوك يقولون ذلك ويعرفونه ويقولون إن شعيباً ، عليه السلام ، أرسل إلى أهل تبوك ، ولم أجد هذا في كتب التفسير ، بل يقولون : الأيكة الغيضة الملتفة الأشجار ، والجمع أيك ، وإن المراد بأصحاب الأيكة أهل مدين؛ قلت: ومدين وتبوك متجاورتان• انتهى قول ياقوت •

قلت أنا : كيف تكونان متجاورتين وبينهما أزيد من «٢٢٠» كيلاً؟! وقال البكري في معجم ما استعجم :

التي كانت منازل قوم شعيب : روي عن ابن عباس فيها روايتان: أحدهما أن الأيكة من مدين إلى شغب وبدا[1] ، والثانية أنها من ساحل البحر إلى مدين • قال : وكان شجرهم المقل ، والأيكة عند أهل اللغة : الشجر الملتف • ثم يقول : وقال أبو جعفر بن النحاس : ولا يعلم « لئكة » اسم بلد •

٢ ــ تاران : وينطقها البعض تيران ، بابدال الألف ياء ، وهو اسمها اليوم : جزيرة على مدخل خليج العقبة تتحكم في المرور إليه كالبوابة ، ويعرف المدخل بمضيق تيران ، تراها من الشيخ حميد رأى العين ، كانت من أراضي الحجاز ، سعودية إلى أن تم التنازل عنها سنة ١٣٧٤ هـ لمصر ، وذلك بقصد جعل مضيق تيران بين أرضين مصريتين

(١) شغب : واد فحل لبلي ، يصب في البحر جنوب داما ، يسمى جزء منه وادي المياه ، ثم الأزنم ــ بالنون ــ يقع مصبه جنوب ضبة •
وبدا : رحبة في ديار بلي تتجمع فيها مياه النجد وأودية أخر ثم تصب في الدبوب ، فيها قرية بهذا الاسم ، تصب في البحر شمال الوجه بما يقرب من « ٩٠ » كيلاً ، فيها آثار قرية قديمة •

حيث يقابلها من الغرب رأس محمد من جزيرة سيناء ، وذلك أن كل مضيق بين أرضين تملكهما دولة واحدة تكون مياهه ملكاً لتلك الدولة، وكان القصد اغلاق المضيق في وجه الملاحة الاسرائيلية ، وهو أمر لم يحدث بعد ، ثم احتل اليهود تيران سنة ١٣٨٧ هـ تبعاً لجزيرة سيناء ولا زالت تحت الاحتلال،واليهود يرفضون الجلاء عنها باصرار لتحكمها في مدخل الخليج الذي لهم عليه مينا المرشرش « إيلات » .

قال ياقوت : جزيرة في بحر القلزم بين القلزم وأيلة ، يسكنها قوم من الأشقياء يقال لهم بنو جَدَّان ، يستطعمون الخبز ممن يجتاز بهم ، ومعاشهم السمك ، وليس لهم زرع ولا ضرع ولا ماء عذب ، وبيوتهم السفن المكسرة ، ويستعذبون الماء ممن يمر بهم في الديمة ، وربما أقاموا السنين الكثيرة ولا يمر بهم إنسان ، وإذا قيل لهم : ماذا يقيمكم في هذا البلد ؟ قالوا : البطن البطن . أي الوطن الوطن ؛ وقال أبو زيد : في بحر القلزم ما بين أيلة والقلزم مكان يعرف بتاران ، وهو أخبث مكان في هذا البحر،وذاك أن به دَوَرَان ماء في سفح جبل ، إذا وقعت الريح على ذروته انقطعت الريح قسمين فتلقي المركب بين شعبتين في هذا الجبل متقابلتين فتخرج الريح من كليهما كل واحدة مقابلة للأخرى ، فيثور البحر على كل سفينة تقع في ذلك الدوران باختلاف الريحين فتنقلب ولا تسلم أبداً ، واذا كان الجنوب أدنى مهب فلا سبيل إلى سلوكه ؛ ومقدار طوله نحو ستة أميال ، وهو الموضع الذي غرق فيه فرعون وجنوده . قلت أنا : وهذه الجزيرة عبارة عن جبل صخري لا زراعة ولا ماء فيها ، وكل أهميتها أنها تتحكم ــ كما أسلفنا في مضيق الخليج ، وتجاورها جزيرة أخرى مما يلي الجنوب تسمى « صنافر » وهي جبلية غير مأهولة ترى من البر ، ولا تكاد تذكر الا مقرونة مع تيران فيقال « صنافر وتيران » .

٣ ــ **حسمى** : بكسر الحاء المهملة ، وسكون السين المهملة أيضاً ، ونون مقصور :

سلسلة جبلية ــ تقدم الحديث عنها ــ ممتدة من الجنوب إلى الشمال ، تشرف على تبوك من الغرب ، تتصل جنوباً بحرّة الرهاة ، في مكان يعرف بالزاوية ، وتتصل شمالاً باقليم الشراة الأردنية عند وادي اليتم « الأتم » مياهها الشرقية في سهل تبوك ، والغربية تذهب إلى البحر الأحمر وهي سراة عالية باردة شتاء معتدلة صيفاً . سكانها بنو عطية ، يبلغ ارتفاع أعلى قمة فيها « ٤٠٠٠ » قدم . كانت بلاد جذام ، ولا زالت بقايا جذام قريبة منها .

قال الراجز :

جاوزن رمل أيلة الدهاسا   وبطن حسمى بلد هرماسا

وهذا غريب ، إذ ليس في أيلة رمل وليس لحسمى بطن الا إذا قصد أحد أوديتها .

وقال كثير :

سيأتي أمير المؤمنين ودونه   جماهير حسمى قورها وحزونها
تجاوب أصدائي بكل قصيدة   من الشعر مهداة لمن لا يهينها

ويقول ياقوت : ويقال : آخر ماء نضب من ماء الطوفان حسمى فبقيت منه هذه البقية إلى اليوم فلذلك هو أخبث ماء إلى اليوم ؛ وفي أخبار المتنبي وحكاية مسيره من مصر إلى العراق قال : أرض طيبة تؤدي لين النخلة . الخ .

قلت : وكلا القولين غريب ، فليست مياه حسمى أخبث المياه ، بل الغالب عليها العذوبة على قلتها . وليس فيها نخل وليست مغارس ولا زرع فيها .

٤ ــ مغائر شعيب : جمع مغارة ، وهي الغار العميق في الجبل :

مغائر في صفراء شعيب التي تظلل البدع من الغرب ، وفي هذه الصفراء من الميل الشمالي مكان يقال إنه مصلى شعيب ، عليه السلام ، وبداخل هذه الصفراء مغارات بداخلها توابيت عليها جثث مكفنة بقماش أبيض اذا رؤي كأنه جديد فاذا لمس ظهر هامداً

وأنا لم أر هذه التوابيت ولكن ذكرها أحد أخوايا أمير البدع ، وهو رجل عليه علائم تحمل على صدق حديثه،قال: انها اكتشفت مؤخراً.

والاجماع من زمن متقدم على أن هذه مغاير شعيب وأن البلد هو بلد شعيب سواء كان اسمه مدين أو الأيكة ، فقد مر الرحالون من حجاج مصر من هنا منذ بداية القرن التاسع أو قبلها فذكروا أن الاسم هو مغائر شعيب وأنها مدين . ويقول المساعيد ـ أهل هذه الديار ـ إن اسم البدع ناتج عن أن هذه الأرض قد دثرت ثم بدعت فيها آبار ومزارع فسميت بذلك .

قال عبد القادر بن محمد الأنصاري المشهور بالجزيري ، في كتابه « درر الفوائد المنظمة » : ثم يرحل « يقصد الحاج » إلى بر « مدين » ويأخذ إليها في أربع مراحل ، ويرد ماء « مغاير شعيب » عليه الصلاة والسلام وماؤها ردىء قليل المنبع وهي منسوبة إلى شعيب عليه الصلاة والسلام ؛ وهو هنا ينقل عن العلامة ابن فضل الله .

ثم يستدرك عليه قائلاً : أقول وصفه لماء المغارة بأنه ردىء ينافيه ما هو عليه الآن من صدق الحلاوة والخفة وكثرة المكث في القرب من غير تغير ، حتى أن من الناس من يحاكي به ماء النيل ، ولعل الماء الذي كان في زمن ابن فضل الله من البئر والمصنع الذي كان بذلك الوادي أولاً ؛ انتهى كلام الجزيري[1] أما ابن عبد السلام الدرعي الذي سبق

---

(١) درر الفوائد ص ٤٥٠ .

الجزيري بقرن أو نحوه فيقول : ثم ارتحلنا من الشرافة ـ يقصد شرفة بني عطية ـ وقد مضى من نهارنا خمس ساعات في انحدار مع الوادي ـ أي وادي عفال ـ، وتعرض المحاربون لنا أيضاً ليلاً فأخذوا عشرة من الإبل بما عليها فذهبت مذهبها ونزلنا مغاير شُعَيْب ، والعرب تقول له البِدْع ، وقد مضى من النهار بعده ساعة وثلث ، وهو واد ذو مياه دافقة عذبة إلى الغاية ، باردة إلى النهاية ، جارية في نخيل بطرف الغاية ، وتسوقنا أعراب مَدْيَن يدعون العميرات وغيرهم بتمر وغنم وغيرهما من المحتاج . قال الشاعر :

قد وصلنا إلى مغار شعيب ... ورأينا المياه كالأنهار
فاستقينا من مائه واشتفينا ... وظفرنا بغاية الأوطار
وذكرنا بغاره غار ثور ... من حوى للصديق والمختار
خير من أنزل الإله عليه ... « ثاني اثنين إذ هما في الغار »

والمحل محل سرقة واختلاس ، وعن يسار منزل الركب خارج المضيق مغارة كبيرة مرتفعة السمك جداً معجبة الصفة متسعة من بابها إلى دلخلها ، مضيئة لأجل اتساعها ، وهي في حجر أصم بأصل حدب غليظ ، وفي بابها يسير ارتفاع ، فإذا دخلتها انحدرت في درج من حجارة جعل لأجل الزلق .

قال العبدري : والمغارة نفسها من صنع الله الذي أتقن كل شيء، لا قدرة على مثلها لآدمي ، والماء في قعرها كثير ظاهر بالباب ، راكد كأنه بركة مطر ، وبين باب المغارة وقعرها بالتقدير ستون أو سبعون ذراعاً وهي آخر وادي القر[1] . وبقي لقوله بقايا .

٥ ـ مقنا :

واد من نواحي البدع ، يسيل من الصفر الواقعة غرب البدع

(١) العرب م ص ٨٣٩ .

فيصب في خليج العقبة من الشرق ، بين الشيخ حميد جنوباً وطيب اسم شمالاً •

عند مصبه قرية مقنا المشهورة بنخلها وزراعتها ، في هذه المنطقة، تقع غرب البدع عند الدرجة « ٢٥َ/٢٨° شمالاً و ٤٥َ/٤٤° شرقاً تقريباً ، وتبعد عن البدع بما يقرب من ٣٧ كيلاً ، توجد حولها آثار وبقايا مبان قديمة •

وسكنها اليوم بنو عقبة والفوائدة ، بطنان تقدم الحديث عنهما في قبائل شمال الحجاز •

وكانت مقنا بلدة عامرة عندما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم، تبوك ، وكان أهلها بنو حبيبة فصالحهم وأدخلهم في ذمة المسلمين ؛ ذكر ذلك البلاذري في فتوح البلدان •

وذكر ياقوت مقنا ، فقال : قرب أيلة صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم ، على ربع عروكهم ، والعروك حيث يصطاد عليه ، وعلى أن يعجل منهم ربع كراعهم وخلفتهم ، وقال الواقدي : صالحهم على عروكهم وربع ثمارهم ، وكانوا يهوداً •



٤

بين تبوك وعمّان

في صيف عام ١٣٩٥ هـ حصلت على اجازة قضيت معظمها في عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية ، وقررت أن أستفيد من هذه الاجازة في الاطلاع على جغرافية ذلك البلد وعادات أهله وتقاليدهم .

ورغم أن هذا البلد ليس مجهولاً بالنسبة إليّ ، لأني قد قضيت فيه سنتين بين ١٣٧٦ إلى ١٣٧٨ هـ ولي فيه أصدقاء ومعارف ، فقد جعلت زيارتي هذه زيارة الدارس الباحث في حدود ما تسمح به رحلتي .

وكان ينقص هذه الرحلة – بالطبع – الاتصال بكبار المسؤولين، لأني بحكم عملي العسكري غير قادر على ذلك ولا راغب فيه ، ومع هذا فقد قدمت ما استطعت تقديمه من وصف جغرافي ومشاهدات وانطباعات لا شك أن القارىء في حاجة إليها .

السفر :

تحركت من تبوك – بسيارتي – بعد صلاة عصر يوم الثلاثاء الموافق الأول من جمادى الثانية ، العاشر من حزيران سنة ١٩٧٥م .

ومنذ خرجت من تبوك كان جبل شروري العالي ذو الرأس المحدد يسايرني من اليمين ، وإلى مطلع الشمس منه تظهر جبال « غوانم » أما إلى الغرب منه بينه وبين الطريق فتظهر جبال « عاجات » قور سمر .

ومن الجانب الغربي لهذا السهل الواسع – سهل تبوك – تمتد بامتداده من الجنوب إلى الشمال سلسلة « حسمى » .

وعلى ستين كيلاً من تبوك مررت بقرية « بئر ابن هرماس » ، وبنفس الوقت كنت أمر بسفوح جبال عاجات الغربية .

وبعد هذه القرية بخمسة عشر كيلاً فرقت إلى اليسار طريق ترابية إلى ذات حاج ، وهي ليست بعيدة من هنا .

وظهر أمامي جبل « شعثاء » وهو الجبل الذي يشرف على حالة عمار من الجنوب . وبعد ذلك وقبل حالة عمار بحوالي عشرة أكيال هبطت وادي المشيطية : واد يأتي من الشرق ثم يصب في نهاية سهل تبوك من الشمال قرب ذات الحاج .

حالة عمّار

على « ١٠٥ » أكيال من تبوك وصلت حالة عمار : بلدة حديثة كانت محطة للسكة الحديد ثم نقلت الجمارك السعودية إليها فعمرتها الدولة وجعلت فيها مساكن للموظفين هناك ، وهي بوابة الدخول والخروج من الاردن وإليه .

وفيها امارة تابعة للقريات ومركز للشرطة وقطاع لسلاح الحدود ومستوصف ، وجميع مرافق الدولة .

وسمعت في سبب تسميتها بهذا الاسم أقوالاً لا تخرج عن الاساطير أو الاستنتاج ، والذي يظهر أنها معدولة من « حولة » وجمعها حول كما تقدم ، وهي الأرض الجدباء الخشنة ، وحالة عمار كذلك ، وليس بها ماء ولا زرع ، أما عمار المنسوبة إليه فتقول تلك الأساطير : انه من شيوخ بني عطية ، كان يقيم بها ويقري الأضياف . ومنها تبدأ حدود الأردن .

سَرْغ

ومن حالة عمار هبطت سهلاً واسعاً تقع حالة عمار على طرفه الجنوبي وبلدة المدوّرة الأردنية على طرفه الشمالي ، والمسافة بينهما « ١٩ » كيلاً • وهذا السهل كان يعرف باسم سرغ أو أن سرغ هو اسم المدورة ذلك أنه لا تزال توجد بئر يستقي منها أهل المدورة تعرف باسم سرغ •

جاء في معجم البلدان : بفتح أوله وسكون ثانية ثم غين معجمة : وهو أول الحجاز وآخر الشام ، بين المغيثة وتبوك[1] من منازل حاج الشام ، وهناك لقي عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أمراء الاجناد ، بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة ، وقال مالك بن أنس : هي قرية بوادي تبوك ، وهي آخر عمل الحجاز الأول ، وهناك لقي عمر بن الخطاب من أخبره بطاعون الشام فرجع إلى المدينة ، وبها مات ثابت ابن عبد الله بن الزبير بن العوّام في سبع أو ثمان وسبعين ومائة ، وكان لسان آل الزبير •

المدوَّرة

هي بلدة سرغ القديمة ، وهي بالنسبة إلى الأردن كحالة عمار للسعودية غير أنها قليلة العمران ، فبعض موظفيها يداومون من معان على « ١١٤ » كيلاً ، بها مقهى وبويتات ومعظم العاملين بها عسكريون•

توقفت أمام الجمارك ، وما أن رأوا جواز سفري حتى سمحوا لي بدون تفتيش السيارة،وقال لي المأمور: اننا نثق بشرف العسكريين•

---

(١) لم ار من ذكر المغيثة في هذه الناحية ، فلعلها بين معان وتبوك •

وتقدمت إلى الجوازات ، وفي لحظات انتهت اجراءات سفري فواصلت سيري صوب الشمال والشمس تتأهب للهبوط .

بطن الغول

وعلى ٤٤ كيلاً مررت ببطن الغول : واد عميق تحيط به التلال ، وكنت مررت فيه قبل تعبيد الطريق مرتين في سنتي ٧٦ و ١٣٧٧ هـ ، فكان مخيفاً تتعطل السيارات فيه لرخاوة أرضه ، أما الآن فانها تعبره في لحظات ودون أن يذكر اسمه أو يشعر بوجوده أحد بينما كان يعتبر غولاً فعلاً .

ولمحت بناية يسار الطريق أظنها من محطات سكة الحديد .

وعلى خمسة أكيال منه مقهى على قارعة الطريق نظيف،والاردنيون يسمون مقاهي الطريق استراحات ، وكلها نظيفة وخدمتها ممتازة . ثم بعد خمسة أكيال أخرى مبان لشركة .

وقبل معان مر الطريق فوق واد عميق يدعى الوادي الأبيض : يأتي من يسار الطريق من جبال تقع شرق رأس النقب ويتقاسم المـاء هناك مع وادي اليتم « الإتم قديماً » فيتجه الوادي الابيض شرقـاً حتى يصب في سهل « الجفر » شرق معان . أما وادي اليتم فيتجه غرباً مروراً بالقويرة ثم يصب على مدينة العقبة على رأس خليج العقبة.

الجفر

غابت ذكاء وبغيابها أظلمت الصحراء ، ولكن أنوار مدينـة « مَعَان » كانت تتلألأ أمامي مبشرة بما يطمع فيه المسافر المتعب ،

وهنا فرق إلى اليمين طريق الجفر ، وما هو الجفر ؟ كان قاعاً تتجمع فيه السيول وبه بويرات لسقي البادية ، ثم اتخذته الحكومة الأردنية منفى لبعض من يحكم عليهم بالنفي ، وما لبثت أن فكرت في الاستفادة من أولئك الرجال فتحول الجفر إلى بلدة زراعية صناعية قامت على زنود من ينظر إليهم المجتمع نظرة الحاكم المتسرع ، وهم يضيفون إلى هذه البلاد مدينة جديدة .

يقع الجفر شرق معان على قرابة خمسة وخمسين كيلاً . والطريق إليه معبدة ، ومنه إلى باير قرابة سبعين كيلاً ، وهي في شماله الشرقي، وواديها باسمها يتجه جنوباً شرقياً فيصب في وادي السرحان في المملكة العربية السعودية .

في معان

وبعد مسير « ٢٣٨ » كيلاً من تبوك دخلت مدينة معان قاعدة اقليم الشراة ومفترق الطرق في هذه النواحي ، فمنها طريق إلى العقبة وطريق إلى الجفر وباير وطريق إلى أذرح والجرباء وهما تقعان شمال غربي معان على « ٢٢ » كيلاً تقريباً على طريق معبدة .

وأذرح مدينة قديمة صالح أهلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، والجرباء تذكر دائماً معها ، ولهما ذكر قديم في أمهات الكتب .

نكبة معان التي انقلبت الى نعمة :

مررت بمعان في عامي ١٣٧٦ و ١٣٧٨ هـ فكانت مدينة قديمة بيوتها من اللبن وأزقتها ضيقة وحوانيتها مستطيلة مظلمة ، وأهلها محافظون كأهل الحجاز ولا يختلفون عنهم في العادات والتقاليد .

وفي سنة ١٣٨٥ هـ اجتاحت هذه المنطقة أمطار غزيرة تحولت في الشراة إلى طوفان جارف هدم معظم منازل معان وقتل خلقاً كثيراً ، فسموه عام النكبة ، وسارعت الحكومة إلى إغاثة أهل معان فأعيد

تخطيط المدينة على النظم الحديثة فقامت مدينة معان الحديثة مبنية بالاسمنت المسلح وشوارعها فسيحة معبدة وبقالاتها ومطاعمها ممتازة.

وفي مذكراتي : « كارثة معان » : في طريقنا من المدينة إلى تبوك وجدنا الأمطار تهطل بغزارة من الجهراء إلى تبوك.وفي ١٩/١١/١٣٨٥هـ هطلت أمطار غزيرة على مدينة معان قتل من جراء ذلك خمس وثمانون نفساً وهدم « ٣٠٠٠ » بيت ، وقد تبرع الملك فيصل بمبلغ خمسين ألف ريال وتبرع الآمير شخبوط بن سلطان بمائتي ألف جنيه استرليني، وأشرف على الانقاذ الملك حسين ورئيس الوزراء وصفي التل . انتهى ما نقلته عن مذكراتي لتلك الفترة نقلاً عن الاذاعة الاردنية .

والقبائل المحيطة بمعان هي : قبائل بني عطية والحويطات ، ومعظم السكان منصهرون منها من زمن بعيد ، وهناك أسر موغلة في القدم متحضرة .

فنادق معان ونظامها العجيب :

في أقصى مدينة معان لمحت بناء جميلاً مكوناً من طابقين كتب عليه « فند طيبة » . وتذكرت ما قرأته للشيخ حمد الجاسر قال : هبطت معان ــ في السبعينات فنزلت فندقاً بها وعندما أويت إلى فراشي تناهشني البق فحاولت الخروج فاذا بالباب مقفل فبحثت عن صاحب الفندق فقيل ذهب إلى بيته ولا يعود الا في الصباح ، وهو يقفل على النزلاء لئلا يهرب أحد منهم ! هذا ملخص ما أذكره عنه . وقلت في نفسي أين هذا الزمن من ذاك وأين هذا الفندق النظيف من فندق الجاسر الطيني العتيق ؟ فعدلت إليه فاذا مكتبه يفتح على الشارع مباشرة خارج الفندق فأوقفت سيارتي وطلبت غرفة فقادني أحدهم إلى الطابق العلوي فوجدت غرفة نظيفة ، والفندق عموما ريفي نظيف ليس فيه شيء من الحشرات أو الأوساخ .

وبعد العشاء طلبت مدير الفندق وقلت له انني أرغب التبكير وسأسرح في الساعة الخامسة صباحاً وأرغب في محاسبتكم الآن وجاءت قائمة الحساب فقال المدير : بامكانك أن تذهب متى شئت ، ونمت فاستيقظت في الخامسة فصليت الفجر وهبطت إلى باب الفندق فاذا هو مغلق بالمفتاح ! فجعلت أطوف بالغرف المجاورة بحثاً عن الحارس ، فكنت كلما قرعت غرفة خرج إلي نزيل حانقاً متبرماً ، وكان معهم حق لأن الناس تنام هذه الفترة ، ولما يئست من ذلك عدت إلى الطابق الأعلى فأشرفت على باب مكتب الفندق وجعلت أنادي بكل صوتي : يا صاحب الفندق ! فلم يرد أحد وكان السكون من حولي كسكون المقابر ، فوجدت لوحة الفندق تحت يدي فجعلت أطرقها بعصبية ، وأنادي فاستيقظ جل من في الطابق الأعلى على ذلك الخبط المزعج، واذا بسائق شاحنة قريباً من الفندق يقول لا تتعب حالك ما يجون الا الساعة ثمانية !.

أمر عجيب حقاً ! كنت أرغب أن أكون في عمان في الساعة الثامنة وها أنا علي أن أنتظر إلى الثامنة رغم انني دفعت الحساب مقدماً .

اذا لم يكن غير الأسنة مركب   فما حيلة المضطر الا ركوبها

هبطت إلى الباب فقبضت على مقبضه الداخلي وبكل ما أوتيت من قوة نزعته ، وكم كان مضحكاً عندما وجدتني ممتداً على ظهري فوق البلاط ، والباب مفتوح على مصراعيه ! ولم أكترث لما أصابني من ألم بل تركت الفندق مفتوحاً وركبت سيارتي متجهاً إلى عمان ، وليخرج من يخرج وليبق من يبقى !

الهاشمية

وعلى ثمانية وثلاثين كيلاً مررت بالهاشمية ، قرية صغيرة على الطريق يظهر انها أنشئت حديثاً .

ومنذ أن تجاوزت بطن الغول والأرض فياح براح لا ترى فيها أعلاماً تذكر ، وهذا ما يسمى بصحراء الشراة أو سهل الشراة ، وهي أرض قاحلة قليلة الزراعة والسكان ، بينما تمتد غربها محاذية لها الارض المرتفعة ذات القرى والمزارع ، والتي تبدأ من رأس النقيب غرب معان فشمالاً إلى البلقاء ، وفيها : وادي موسى ، والبتراء ، وأذرح ، والشوبك ، وضانا ، وبصيرا ، والطفيلة ، ومؤتة ، ثم الكرك : المدينة التأريخية .

وبعد خمسة أكيال فرق إلى الغرب الطريق إلى « الفجيج » .

الحسنية :

قرية كبيرة مخضرة فيها مشاتل ، متقدمة نوعاً على ستة وأربعين كيلاً من معان .

جرف الدراويش :

قرية على « ٥٩ » كيلاً ، فيها محطة لسكة حديد الحجاز ، ومنها مفرق إلى بلدة الطفيلة ، وهي بلدة تقع في الغرب من هذه القرية، ولها طريق جنوباً إلى أذرح فمعان ، وطريق شمالاً إلى مؤتة فالكرك .

الحسا :

وعلى ثمانية وسبعين كيلاً مر الطريق فوق وادي الحسا : وادٍ يأتي من يمين الطريق فيتجه مغرباً الى الشمال فيصب في الغور الصافي جنوب البحر الميت .

وفيه قرية كبيرة تعرف بهذا الاسم فيها قلعة قديمة ومحطة لسكة الحديد ، ومناجم للفوسفات، وهي متقدمة وفيها مشاتل وزراعة حسنة، والماء متوفر في ذلك الوادي .

ثم مررت بواد فيه غدران من الماء ومحطة للسكة الحديد .

القطرانة :

كأنها مؤنث القطران المعروف : قرية عامرة ذات مزارع وأشجار ومشاتل تمر بها سكة الحديد تقع جنوب عمان على « ٨٤ » كيلاً

وبالقرب منها فرق الى الغرب طريق إلى الكرك المدينة التأريخية ، وتبعد الكرك عن هذا المفرق « ٤١ » كيلاً ، وهي مدينة تقوم على مجموعة من الجبال التي يتخللها واد عميق يهبط إليه الطريق في تعرجات ملتوية كتلوي الحية ، وفيها القلعة المشهورة بقلعة الكرك ، وكان الصليبيون احتلوها فأخافوا الحجاج المارين بهذا الطريق واضطروهم إلى سلوك الصحراء المقفرة القاحلة فكان منهم من يهلك عطشاً .

واذا ذكرت الكرك اليوم ذكر آل المجالي : احدى القبائل القوية في الأردن ومنها بارزون وزراء وقادة في الجهاز الأردني .

وادي الموجب :

وبعد القطرانة اعترض الطريق « وادي الموجب » : واد خضر نضر فيه زراعة وقرى وله ذكر وشهرة محلية ، يأتي من يمين الطريق فيتجه غرباً حتى يصب في البحر الميت من الشرق ، وله فروع عديدة بعضها يسيل من مرتفعات الكرك ، كوادي النخيلة . ثم وادي « وعلة » : يأتي من يمين الطريق أيضاً ثم يجتمع بوادي الموجب قبيل مصبه .

الجيزة :

وقبل عمان بحوالي « ٢٧ » كيلاً دخلت الطريق بلدة الجيزة : قرية كبيرة عامرة تزدان بالأشجار والمزروعات ، ومنها يتداخل العمران وتتشابك القرى حتى تشعر أنك دخلت عمان فعلاً ، وجميع القرى

بعدها تكاد تدخل بعضها في بعض ، وهي قرى جميلة منسقة ونظيفة ، وقيل لي أن بعض أهل عمان يسكن هذه القرى لوجود جميع مقومات المدنية فيها ولقربها من العاصمة .

القسطل :

وبعد الجيزة بخمسة أكيال دخلت القسطل : قرية كبيرة نظيفة مشجرة ، فيها حوانيت قرب الطريق .

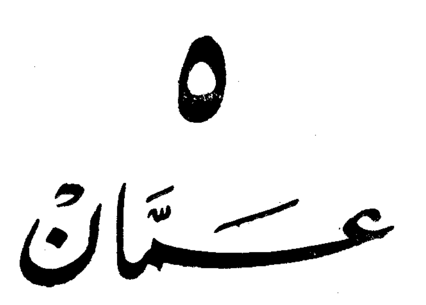
الجديد والقويسم :

قريتان متجاورتان جميلتان لهما بلدية تضم الطيبة والجويد يتصل عمرانهما شمالاً بالطيبة ثم باحياء عمان الجنوبية ، وتبعد عن أول عمان بثمانية أكيال فقط .

الطيبة :

قرية كبيرة جميلة تتصل بعمان من الجنوب بينهما خمسة آكيال ، على يسار الطريق تقابلها من الشرق قرية الجويد ، وبلديتهما بلدية الجديد والقويسم . ومنها دخلنا عمان فعلاً .




٥
عمّان

وعلى « ٤٥٠ » كيلاً من تبوك و «٢١٢ » كيلاً من معان دخلنا مدينة عمان ذات الجبال والوديان التي لا يختلف كثيراً ــ تكوينها عن تكوين مكة الجغرافي .

صفة عمان وموقعها

عمان قلعة من قلاع العروبة والاسلام وحصن حصين ضد عدونا الغادر اسرائيل ، ورباط من أربطة الجهاد المقدس هذا العدو الذي لا يرعى إلاً ولا ذمة للعرب والمسلمين ، ولا يدين تجاههم بمبدأ ولا يتقيد بقوانين لا سماوية ولا دولية ، مبدأة الاتنهاز ، وخطته التجمع والاقتحام وترسيخ الاحتلال والتذرع بالأمر الواقع والتشبث بترهات وخزعبلات تأريخية سداها المغالطة ولحمتها استغفال العالم واستجهاله . هذه المدينة ظلت صامدة تدفع أبناء الاردن إلى الدفاع عن أرض فلسطين فكان لها الأثر المحمود على قلة الامكانيات وتتابع الأزمات .

تتكون عمان من مجموعة من الجبال المتناوحة التي تتخللها الأودية العميقة ، وتوجد معظم الأحياء على تلك الجبال ، بينما تقوم الأسواق في الأودية العميقة ، لذا فانك تشعر باعتدال الجوّ في تلك الاحياء فاذا هبطت الى الاسواق شعرت ــ في الصيف ــ وكأنك تسكن الأغوار .

ويسمونها مدينة الجبال السبعة ، ولعل هذه التسمية قديمة لأن جبالها اليوم أكثر من سبعة ، وهذه أشهر تلك الجبال :

١ ـ جبل عمان :

أشهر تلك الجبال وأجملها تخطيطاً وأكثرها عمراناً ، به شارع يشقه من الشرق إلى الغرب جميل شجير قلما تجد في مدينة عربية اجمل منه ، تحيط به الفلل المبنيه بالحجر الأبيض الشامي ، ذات الحدائق المنسقة ، وفيه مجموعة من الدورات كان اشهرها الأول والثاوي والثالث ، اما اليوم فقد تعددت ، والدوار : جزيرة من البناء دائريه الشكل تدور حولها السيارات عند حاجتها إلى العودة على نفس الطريق، وهو شارع نزه يأخذ بلب المتنزه فيه فيغريه بالتردد إليه • ويقع جبل عمان في وسط المدينة من جهتها الغربية ، وفي نهايته الغربية حي الضباط في الجيش العربي الأردني ، وهو حي جميل تملك منازله للضباط بالتقسيط ، وتجاوره مدينه الحسين الطبية : مدينة طبية متاملة ، وقال لي بعض الأطباء : انها الأولى من نوعها في الشرق الأوسط •

٢ ـ جبل اللويبدة :

جبل يقع إلى الشمال من جبل عمان بينهما واد عميق يسمى « طريق وادي السير » ذلك أن الطريق إلى وادي السير تمر في هذا الوادي ، ويحف بجبل لويبدة من الشمال طريق السلط ، وهو واد أيضاً يفصل بين جبل لويبدة وجبل الحسين ، ومنه الطريق إلى السلط وكذلك الطريق إلى دمشق ، وفي نهايته الغربية مركز تدريب يسمى « العبدلي » كنت أقضي فيه دورة سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م •

٣ ـ جبل الحسين :

وهو مسمى بالملك حسين بن طلال : جبل عليه حي كبير جميل من أحياء عمان يعتبر الدرجة الثانية بعد جبل عمان ، شوارعه جميلة مشجرة ، وفيه دوار « مكسيم » كانت له شهرة في حوادث أيلول سنة ١٩٧٠ م بين الجيش الأردني والفدائيين ، وفي نهايته الشمالية الغربية « مدينة الحسين الرياضية » دخلناها فوجدنا فيها تخطيطاً وملاعب

منسقة وآلات لكل الأعمار والاجناس ، وكان روادها يختلطون في هذه الألعاب الحرة ، أما الفرق المنظمة فجلها من الذكور •

وفي طرف جبل الحسين من الشمال « مخيم الحسين » للنازحين الفلسطينيين ، وهو مخيم كبير نظيف ، والمخيمات هنا تلقى رعاية وعناية من الحكومة والبلديات ، ففيها المياه والكهرباء وجميع وسائل الراحـة •

٤ ـ جبل القلعة :

سمي لوجود قلعة أثرية فيه ، وهو يجاو جبل الحسين من الشرق ويتصل به ، معمور بالبنيان وهو من أقدم الجبال المسكونة هنا • ويقع على الطرف الشمالي من العاصمة •

٥ ـ جبل التاج :

هما جبلان متصلان على الطرف الشمالي من العاصمة ، يتصل الغربي منهما بجبل القلعة وعليه حي من أحياء عمان وفيه مخيم للنازحين، والجبل الثاني يتصل بالأول من الشمال الشرقي وفيه القصور الملكية ومن أهمها وأجملها قصر بسمان •

٦ ـ جبل الجوفة :

في الطرف الشرقي من عمان ، يقابل القصور الملكية من الجنوب بينهما وادي عمان الرئيسي الذي يمر بالرصيفة والزرقاء ثم ينحني إلى الغرب فيصب في نهر الأردن • وأسفل جبل الجوفة من الشمال الغربي يقع المدرج الروماني الأثري الشهير ، وقريب منه فندق فيلادلفيا في نفس الوادي •

٧ ـ جبل النصر :

جبل عال يشرف على عمان من الشرق ، ويتصل بجبل الجوفة من الجنوب فيه مرسلة للاذاعة ومستشفى حكومي كبير ، وهو حي أيضاً•

٨ ـ جبل المريخ :

حي مزدحم من أحياء عمان في طرفها من الجنوب اذا دخلت عمان من الجنوب دخلت بينه وبين جبل النصر ، هو يسارك وذاك يمينك • تراه من جبل عمان جنوباً عدلاً بينهما وادي رأس العين •

٩ ـ جبل نظيف :

من أصغر جبال عمان معمور بالعمران تراه جنوباً من جبل عمان يشرف على رأس العين ، ورأس العين حي أيضاً •

هذه أشهر الجبال بعمان ، وأوديتها تتجمع في قلب البلد عند الجامع الحسيني ثم تتجه شمالاً شرقياً مكونة وادياً واحداً يمر ببلدة الرصيفة ثم مدينة الزرقاء ، فاذا تجاوز الزرقاء عدل شمالاً غربياً ثم غرباً فيسمى نهر الزرقاء ، وهو نهر يكون في عمان ضعيفاً ثم يقوى بالتدريج ، ثم يصب في نهر الأردن من الشرق ماراً بين مدينتي صويلح وجرش •

موقع عمان

تقع عمان في شمال المملكة الاردنية الهاشمية ، على قرابة مائتي كيل جنوب دمشق ، وعلى الطريق إلى الحجاز ، وتبعد شمال المدينة المنورة ألف ومائة كيل ونيف . يمر شرقيها خط الطول ٣٦° وشماليها خط العرض ٣٢° .

وهي ذات موقع استراتيجي هام تتحكم في شبكة من الطرق في بلاد العرب ، فالطريق من الشام إلى الحجاز لا بد أن يمر فيها ، وكذلك من فلسطين وإليها ، ومنها طريق إلى بغداد ، وطريق تخرج على الأزرق إلى شمال المملكة العربية السعودية . وبهذا أصبحت ذات موقع تجاري وحربي أكسبها أهمية قصوى ، فازدهرت تجارتها ونما عدد سكانها بشكل مذهل .

متى نشأت عمان؟

بلدة قديمة احتلها الاسكندر المكدوني سنة ٣٣٣ قبل الميلاد ، وسماها بطليموس فيلادلفيا وسماها العرب عمان ، وهو اسم عربي فصيح ، وما فيها من آثار يدل على عظمة مدينة كبيرة قديمة ، واذا استقرأنا التأريخ المعاصر نجده يقول : ان عمان اندثرت كمدينة فلم يبق سوى ذلك النهر وتلك الآثار كالمدرّج الروماني والقلاع وغيرها وفي عام ١٩١٦ م قامت الثورة العربية الكبرى ضد تركيا التي كانت تحكم بلاد العرب فعلاً أو اسماً بما في ذلك بلاد الشام ، وفي أعقاب نهاية الحرب العالمية الكبرى سنة ١٩١٨ م انقض المنتصرون الغربيون على بلاد العرب وتقاسموا الأسلاب ، وحنثوا عهودهم ونسوا وعودهم لحلفائهم العرب الذين قاتلوا إلى جانبهم اخوتهم في العقيدة الاسلامية وجيرانهم في الوطن ، فكانت سوريا من نصيب فرنسا بينما كانت فلسطين والاردن من نصيب بريطانيا ، وكذلك العراق .

وفي سنة ١٩٢٠ م رحل من الحجاز الشريف عبد الله بن الحسين فنزل شرق الأردن في مدينة السلط ، وأصر على تأسيس إمارة عربية هناك ، ولحسن حظ عمان تبرم السلطيون بحاشية الأمير ، وأهل السلط أهل محافظة ، فطلبوا من عبد الله الرحيل عنهم فرحل ونزل عمان وليس بها بيت يسكن فنصب خيامه ريثما يبني قصره .

وتبعاً للجاه والسلطان بدأت عمان في النهوض ، فكانت أسرع العواصم العربية نهوضاً فبلغ عدد سكانها قبل سنوات نصف مليون

نسمة خلال خمسين سنة ، أي من الصفر الى نصف مليون ، ولا شك أنهم سيصبحون ملايين بعد خمسين سنة أخرى .

ومعظم سكان عمان اليوم هم من النازحين الفلسطينيين ، فهم يجدون في الأردن عناية ورعاية وعدم تمييز ، وتتيجة لوحدة المملكة من الضفتين الشرقية والغربية سنة ١٩٥٠ م فقد أصبح الفلسطينيون يتمتعون بكافة الحقوق والواجبات مع اخوتهم الشرقيون ، وصار منهم رؤساء وزارات ونواباً وأعياناً وقادة كباراً .

عمان في كتب الأدب القديم

يقول ياقوت في معجم البلدان : بلد من أطراف الشام ، وكانت قصبة أرض البلقاء . وجاء في الأثر أنّ حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدن إلى عمان البلقاء . ثم يقول ياقوت : والبلقاء : بالشام وهو المراد في الحديث لذكره مع أذرح والجرباء وأيلة وكل هذه من نواحي الشام ، وقيل : ان عمان هي مدينة دقيانوس وبالقرب منها الكهف والرقيم معروف عند أهل تلك البلاد ، والله أعلم . ثم يورد قصة عن بعض اليهود لنبيّ الله لوط وأخيه وابنتيه ، وان من نتاج ذلك اسم عمان ، وان الذي أسسها من ذرية لوط عليه السلام .

ثم يقول : وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري : عمان على سيف البادية ذات قرى ومزارع ، ورستاقها البلقاء،وهي معدن الحبوب والأنعام ، وبها عدة أنهار وأرحية يديرها الماء ، ولها جامع ظريف في طرف السوق مفسفس الصحن شبه مكة ، وقصر جالوت على جبل يطل عليها ، وبها قبر أوريّاء النبي ... إلى أن يقول : وهي رخيصة الأسعار كثيرة الفواكه غير أن أهلها جهال والطرق إليها صعبة ، قال الأحوص بن محمد الأنصاري :

أقول بعمّان وهل طربي به ... إلى أهل سلع،ان تشوقت ، نافع
أصاح ألم تحزن لريح مريضة ... وبرق تلألأ بالعقيقين لامع ؟
وإن غريب الدار مما يشوقه ... نسيم الرياح والبروق اللوامع
وكيف اشتياق المرء يبكي صبابة ... إلى من نأى عن دار وهو طامع
وقدكنت أخشى،والنوى مطمئنة ... بنا وبكم ، من علم ما الله صانع
أريد لأنسى ذكرها فيشوقني ... رفاق إلى أرض الحجاز رواجع

وقال الخطيم العكلي اللص يذكر عَمّان :

أعوذ بربي أن أرى الشام بعدها وعمان ما غنّى الحمـام وغردا
فذاك الذي استنكرت ياأم مالك فأصبحت منهشاحباللون أسودا
واني لماضي العزم لو تعلمينه وركاب أهوال يخاف بها الردى

ثم يورد ياقوت أسماء عدد من العلماء والمحدثين منسوبين الى عمان . وبذا ترى أن عمان كانت في صدر الاسلام مدينة عامرة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار ، وانها اليوم لكذلك .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

يا خليلي لا تقيما ببصرى وحفير فما أحب حفير
فاذا ما مررتما بعمان فاقلابها الثواء وسيرا

وانما قال « بعمان » فخفف الميم لمناسبة الوزن .

والا فالمقصود عمّان لأنه بعد بصرى مما يلي الحجاز .

في عمان

وصلت إلى عمان في اليوم الثاني بعد الظهر فبحثت عن فندق أنزل فيه ، وكانت أزمة السكن التي تجتاح العالم قد وصلت إلى الأردن، وبعد بحث وجدت غرفة في فندق صغير متواضع يقع ملاصقاً للجدار القبلي للمسجد الحسيني ، بين شارعي الملك طلال وصلاح الدين ، على شارع فرعي يسمى شارع البتراء • كانت الغرفة واسعة وفيها ثلاثة سرر ، وكان علي دفع كامل الاجرة ، غير أن صاحب الفندق ـ وهو خليلي كان يدير فندقاً في الخليل قبل احتلال اسرائيل له ـ وعدني بغرفة ذات سرير واحد في الغد ، وقد أوفى بوعده •

وما أن استقريت في تلك الغرفة حتى بدأت أفكر فيما يجب عمله، وكان أول ما طرأ على خاطري الاتصال بالأصدقاء الذين كان آخر عهد بهم سنة ١٣٧٨ هـ •

آل بلبع أو آل المصري :

أسرة متواضعة مصرية حجازية أردنية ! مصرية لأن ذلك منشأ الأسرة ، ثم ان الوالد مولود في مكة فهاجر مع الأشراف ، ثم اكتسب الجنسية الأردنية • وكان سايس خيول القصور الملكية فأحيل على المعاش سنة ١٩٥٧ م •

وتعود صلتي بهم إلى انني كنت ضمن المرابطين في شونة ابن عدوان في الغور الأردني سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م وكان الشيخ أحمد بلبع أو با ألبع مشتياً بالخيول في هذه البلدة التي تعتبر من المشاتي في الاردن، وهناك تعرفت على هذه الأسرة بطريق الصدفة فتزوجت احدى بناتهم،

ورغم أن ذلك الزواج لم يطل عمره بأكثر من ثلاثة أشهر ، فقد رأيت ــ حسب تقاليدنا الاسلامية ــ أنه لا بد من زيارة هذه الأسرة ومواصلتها ، فالاسلام يعتبر أم الزوجة من المحارم الثابتة كالأم تماماً ويجعل أبا الزوجة بمنزلة الرحم الثابت أيضاً .

الاسرة المنكوبة :

كنت في الساعة العاشرة ليلاً أقرع باب البيت الذي أعرفه جيداً، ففتحت لي امرأة قصيرة سمراء دميمة ، فسألتها : الشيخ أحمد بلبع موجود ؟ قالت : نعم ، تفضل . دخلت فوجدت الشيخ الذي قارب الثمانين عمراً يغط في نوم أو غيبوبة . لقد كنت أتوقع ألا أجده ، ولكن الموت لا يعرف سناً ، فهذا الشيخ الذي تركته متقاعداً قبل عشرين سنة يعيش الآن شبه وحيد بعد أن أفنى معظم الأسرة .

وما أن عرفته على نفسي حتى اعتدل ورحب ونادى : انعام ، انعام ! فانطلق صوت ناعم من غرفة مجاورة مجيباً ، فقال الشيخ : تعالي تعالي ، هذا زوج حفيظة !

قلت : من هي انعام ؟ قال : ابنتي ، سافرت أنت وأمها حامل بها . وهنا أطلت من الباب فتاة شقراء يبلغ طولها ١٧٥سم وعمرها ١٨ سنة . رحبت وسلمت ، فقال الشيخ : هذا زوج أختك حفيظة !

ذهبت انعام تعد الشاي فلاحظت أن البيت خلواً من بقية الأسرة فأخذت أسأل الشيخ : أين عمتي ؟ « حماتي » . قال : توفيت ــ رحمها الله ــ من زمن،أصيبت بالسرطان فماتت! وأين خالد ــ الولد الأكبر ــ؟ مات قبل أمه . وأين محمود ؟ ــ الأوسط ــ ذلك الشاب الذي كانت تبدو عليه علائم الرجولة . قتل في حوادث أيلول ! وأين البنات ؟ سعاد وحفيظة وأمينة؟ يشتغلن في العراق،ومنيرة مزوجة في الزرقاء.وعلي؟ــ الابن الأصغر . يشتغل مع البنات في العراق،لقد ذهبوا جميعاً ولم يبق لي غير انعام .

ثم نظرت إلى تلك السميراء التي تبدو تواً تجاوزت الثلاثين خريفاً فقلت : وهذه ما سبلها ؟ فقال الشيخ تزوجتها بعد أم خالد !

وهنا دخلت انعام بالشاي ، وما راعنا الا والشيخ أحمد يميل رأسه الى الأمام ثم يقع من فوق الكرسي ، وأسرعت انعام ترفعه وهي تولول وتبكي ، فقلت : ما هذه الصدفة ؟ أيعيش هذا الشيخ إلى هذه المدة ثم يجعل موته صدفة على يدي ؟ لم نضع الوقت ، طلبت من انعام أن تذهب بنا إلى أقرب طبيب نحضره لعلاجه قبل أن يفارق الحياة .

خرجنا وذهبنا إلى طبيب في جبل التاج فلم نجده ، وآخر في شارع بسمان فلم نجده ، ثم إلى جبل الجوفة فوجدنا طبيباً أحضرناه ونحن نتوقع أن نجد الشيخ قد مات ولكن الله أمد في عمره فوجدناه ممدداً على السرير فعاينه الطبيب ووصف له علاجاً عاجلاً ذهبت فأحضرته من البلد ، ولما انتهينا من هذه المراسيم كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل . فأصر القوم على أن أنام عندهم إلى الصباح ، وهكذا كان .

أبو سليمان :

اذا سرت في عمان لا تستنكر بين حين وآخر أن ترى أشخاصاً من الجزيرة العربية بائعين أو سائقي سيارات أو سكاناً مواطنين ، بعضهم يحمل جنسيات أخرى منها الاردنية ، وفي عمان حي يطلق عليه حي الحجازيين ، ويعنون بالحجازيين كل عرب الجزيرة العربية .

وفي صباح أحد الأيام بكرت إلى جبل عمان متنزهاً بين الأشجار المنسقة والفلل الجميلة ، وأمام الدوار الأول كان مطعم أنيق نظيف دائري الشكل ، توقفت عنده ودخلت لتناول طعام الافطار ثم مر بائع الصحف فأخذت جريدة الدستور ، الجريدة اليومية الكبرى في الاردن ، وبينما كنت أتصفح الجريدة شعرت — بالحاسة السادسة — بأن شخصاً

يراقبني ، مددت نظري يميناً وشمالاً فاذا برجل أسمر أصلع كبير الهامة يلبس بذلة سوداء ينظر إلي فابتسم ، وكرد فعل حتمي ابتسمت أنا بدوري فقام وأتى إلي فجلس بعد أن سلم سلام العارف ، وسألني عن الحال والديار والزملاء ، وكنت أجيبه باقتضاب ، وأخذت أميل الى الظن أنه من ذلك النوع الذي يتعرف علينا في البلاد البعيدة ، وعرف أبو سليمان ما يجول بخاطري فقال : ألا تعرفني ؟ قلت : بلى أعرفك . قال : من أنا ؟ قلت : أخ في العروبة والاسلام ! قال : وغير هذا ؟ قلت : هذا كافي ! قال أنا جنديك علي الحمد . وتذكرت ، نعم تذكرت ذلك الجندي الذي كان أحد جنود فصيلي في العوجاء على الضفة الغربية لنهر الأردن ، ثم حدث ما يوجب فصله ، وكان المفصول يرحل اجبارياً إلى المملكة العربية السعودية ، غير أن أبا سليمان أفلت منا واختفى في الأردن . نظرت إليه وقلت : كنت علي حمد ، وصرت الآن علي الحمد ! لا بد أن الأمور تحسنت ! فشرح لي حاله في قول مطول حتى قال : إن لدي الآن عدة شاحنات « مرسيدس » تعمل بين بيروت وجدة . وحتى يؤكد ذلك أصر على أن أصحبه إلى شقته الخاصة غير البعيدة من هنا .

ذهبنا إلى شقة أبي سليمان فاستقبلتنا أم سليمان وعدد من الأولاد فعرفت من حال الرجل اليسر والاستقامة والمحافظة ، ويعتبر أبو سليمان نموذجاً يحتذى به السعوديون في الخارج ، وقال لي : انه يفكر في الانتقال إلى جدة ، وفعلاً قابلته بعد سنة في جدة وقد عاد إلى الوطن بعد غياب عشرين سنة .

الغداء في دار أبي سليمان :

أصر أبو سليمان ـ يحفظه الله ـ أن يكون الغداء هذا اليوم في داره ، وأقسم أنه لن يتكلف غير ما يفي بالغرض ، وهكذا كان .

منتزهات الرصيفة

اقترح أبو سليمان أن نقوم بنزهه بعد العصر إلى بلدة الرصيفة فوافقت فمر بي في الخامسة والنصف في الفندق فتوجهنا إلى الرصيفة والرصيفة : كانت إلى سنة ١٣٧٨ ﻫ قرية صغيرة فيها مناجم الفوسفات الأردنية ومحطة للسكة الحديد ، تبعد عن عمان في الشمال الشرقي قرابة ستة عشر كيلاً ، وقد أصبحت اليوم بلدة متقدمة ، وتمتاز بمنتزهاتها الجميلة حيث تتعانق أشجارها فوق الرؤوس ، وتزدان بنافوراتها النباعة المتدفقة المياه ، وهي من المنتزهات الجميلة في بلاد العرب ، تصدح فيها أغاني أم كلثوم من الأشرطة المسجلة ، ويقسم كل منتزه إلى قسمين : داخلي للعائلات ، وخارجي للرجال فقط ، وهي سنة حسنة تراها في الأردن حتى في بعض الفنادق حيث يكون جناح للعائلات وآخر للرجال فقط •

أصدقاء آخرون :

ما زلت أتنقل بين عمان والزرقاء والسلط « ٢٥ كم غرب عمان » وفي يوم ١٣٩٥/٦/٩ ﻫ قمت بزيارة لجيران طيبين هم آل أبي حسن وهو أحمد بن حسن الطلافحة ، أسرة كنت أنزل عندهم في سنة ١٣٧٧ﻫ ١٩٥٧ م فتوطدت العلاقة بيننا وخاصة أم حسن تلك المرأة الطيبة — يرحمها الله — التي كنت أوصيها خيراً بزوجتي وابني عند غيابي في أعمالي العسكرية ، لقد كنت واضعاً في برنامجي من الأساس زيارة هذه الأسرة غير أن أبا سليمان ملأ الكثير من أيامي •

قرعت باب أبي حسن في حي « المصاروة » بجبل عمان ، ففتحت لي امرأة تبدو في الثلاثين أو فويقها بقليل : سمراء مربوعة القامة حسنة البشر عليها مسحة من جمال الفلاحات الأردنيات ، وكانت تعتم بغترة من الشماغ الأحمر ، وهي من لباس الفلاحات•سألتها : أبو حسن موجود ؟ قالت : نعم ، وأردفت : يا حاج جاك ضيف •

ورحب أبو حسن قبل أن يراني ، ولما رآني لم يعرفني ولكنه تذكر، بعد التذكير • سألته عن الأبناء أصدقائي فاذا كلهم بخير ، واذا بمحمد أصبح ضابطاً في الجيش برتبة ملازم أول ، وإذا أم حسن — رحمها الله — قد توفيت واذا بأبي حسن الذي تجاوز السبعين قد تزوج هذه المرأة ، وهي من أهل سحاب : قرية من ضواحي عمان الشرقية • وجاء محمد بعد العصر فاقترح أن نقوم بنزهة •

وادي السير والحمَّر

ركب الملازم محمد أحمد حسن الطلافحة معي فطفنا بأحياء عمان الغربية ثم اقترح أن نقوم بزيارة لوادي السير ، وكنت أتوق لزيارة هذا الوادي الذي له ذكر نابه في الأردن•وتقع بلدة وادى السير غرب عمان غير بعيدة على ضفة واد عميق هو وادي السير: يأخذ من المرتفعات الواقعة غرب عمان كجبال الحُمَّر وصويلح وما حولها ثم ينحدر غرباً فيصب في الغور • وسكان البلدة جلهم من الشركس المتعربين ، ولهم سنحة خاصة تشبه سنحة الأتراك المتعربين في الحجاز •

الحمّر :

الحمر ، بضم الحاء المهملة وتشديد الميم : تلال جميلة تغطيها الأشجار ، تقع غرب عمان على قرابة اثني عشر كيلاً ، قامت فيها فلل وقصور أنيقة للعائلة المالكة في الاردن ، وأول ما بني فيها قصر الملك حسين بن طلال ، المشهور بقصر الحُمَّر ، ثم تتابع البناء فيها لبقية الأسرة ، مررنا فيه قبيل الغروب ثم مررنا بالمدينة الرياضية ثم طفنا بعمان من الجنوب فمررنا بأم الحمام وزيزا : قريتان من ضواحي عمان الجنوبية ، ثم عدنا لتناول طعام العشاء في بيت الملازم محمد الطلافحة• والطلافحة : اسم القبيلة ، وهي من قبائل شمال الأردن قرب الرمثاء •

رحلة الى الأزرق

اقترح أبو حسن علي أن نزور الأزرق بعد أن سألته عن بعض المعلومات عنه ، ذلك أن أبا حسن من مستخدمي الجيش وقد أحيل على التقاعد قبل عشر سنوات ، وكان ذا خبرة بالأزرق وكذلك زوجته التي رغبت أن تزور عمتها هناك •

واستقر الرأي أن آتي إليهم ضحى اليوم القابل ثم نبدأ الرحلة• خرجنا من عمان على بلدة ماركة ــ شرق الطرف الشمالي لعمان ــ ثم على الرصيفة ، ثم على الزرقاء ، والزرقاء : مدينة جل سكانها عسكريون ذلك أن معسكرات الجيش تحيط بها وتتركز فيها ، وقل أن تجد في عمان من لم يكن له أقارب وأصهار في الزرقاء ، ولصديقنا أبي حسن بنتان متزوجتان في الزرقاء ، تبعد الزرقاء « ٢٥ » كيلاً شمالاً شرقياً من عمان ، وبعد أن خرجنا من مدينة الزرقاء وعلى « ٢٧ » كيلاً من عمان افترق الطريق إلى شعبتين : يمنى إلى الأزرق ، ويسرى الى المفرق ثم العراق أو سوريا • وتبعد المفرق من هنا قرابة « ٣٤ » كيلاً شمالاً شرقياً ، وبه القاعدة الشهيرة بقاعدة المفرق ، وكنت سنة ١٣٧٧ هـ أحد المرابطين هناك ، وهو بلد صحراوي كثير العجاج لا تكاد تهدأ له رياح•

وأخذنا الطريق اليمنى المتجهة مطلع شمس ، فسار في أرض جرداء جرز ذات حزوم قليلة الارتفاع طينية التربة ، وعلى «٥٠» كيلاً من عمان يساراً طريق قصر الحلابات ، وهو قصر أموي أثري يرى من هنا وبجانبه بستان للشريف ناصر بن جميل خال الملك حسين •

وعلى « ١٠٢ » من الأكيال هبطنا إلى الأزرق من حزم يعلوه قليلاً•

كانت زوجة أبي حسن أتت معنا تريد زيارة عمتها فكان أول من توجهنا إليه هي تلك العمة العجوز ، التي رافقتنا فيما بعد •

الأزرق

واحة غزيرة المياه التي تسيح على شكل بحيرات يفيض بعضها في بعض ، في واد بين الحرار السود ، وهو أعلى وادي السرحان الذي يدخل المملكة العربية السعودية مشملاً عند قريات الملح ، وعلى تلك الحرار المحيطة بالوادي القرى الآهلة بالسكان ، ومنه تمد المياه إلى المفرق والرمثاء ومعظم قرى الشمال الأردني •

والأزرق ــ اليوم ــ غير متقدم زرعياً ولا عمرانياً، ولكن مستقبله عظيم لو استصلح • وفيه ينمو بجودة العنب والزيتون والتين ، وعلى جانبي البحيرات أشجار الصفصاف التي استرحنا تحت احداها ، وفيه القليل من النخل ، وفيه منتزه يكاد يكون كله خمارة •

وسكانه : دروز وعرب سنيون وشيشان ، وثروته المائية جيدة، وسمعت ونحن هناك انهم اكتشفوا فيه الفوسفات •

وقرأت فيما بعد بأن الأزرق يعتبر أكبر واحة لتجمع الطيور ، وانه يعتبر محطة استراحة للطيور المهاجرة شمالاً وجنوباً طيلة فصول السنة ، تتجمع فيه الملايين منها من « ٣٧٠ » نوعاً، وقد أقامت الحكومة فندقاً سياحياً ، ومرافق متعددة •

حيلة كريم :

عدنا إلى بيت مرافقتنا لنوصلها إليه ، فدعتنا لتأدية صلاة الظهر في البيت حيث الماء والظل ، وعند انتهائنا من الصلاة كانت قد حضرت الشاي زاعمة أن ليس غيره شيء ، وما أن فرغنا من الشاي حتى أقسمت

أن الغذاء على وشك النضوج ! وكانت قد وعدتنا قبل الصلاة ألاّ تعمل لنا شيئاً حيث يوجد معنا كل ما نحتاج إليه •

وأحضرت الغداء الذي حضر على عجل من اللحم والبندورة ، وحضر بعض الجيران ، وتذاكر القوم الغلاء ، والرخص القديم ، فقال شيخ : إنه اشترى رطل زيت الزيتون ـ ٣ كج ـ بثمانية قروش ، ورطل السمن البلدي بثمانية عشر قرشاً •

وتمنى البعض أن يعود ذلك الرخص ، وقال آخر : لا يا عمي ، نريد نبقى كذا ، لأنه ما عمره غلاء تحول إلى رخص !

وبعد الغداء ذهبنا الى قصر الأزرق ، وهو قصر أثري مبني من حجر الحرة والجص ، في طرف الواحة من الغرب ، وعنده قرية للشيشان ، والشيشان : من الشعوب المسلمة التي لجأت الى البلاد العربية بعد قيام الثورة الشيوعية في روسيا ، وهم كالجركس فيالاردن جالية تحتفظ بتقاليدها وعاداتها ولغتها الخاصة للتخاطب فيما بينها ، وقلما يتزاوجون مع العرب ، وقراهم غالباً منعزلة عما حولها ••

أبو سليمان مرة ثانية :

عدنا من الأزرق فمررنا الزرقاء ليسلم أبو حسن على بناته : أم غاندي وأم ابراهيم ، ثم عدنا عند المساء ، فوجدت عند مدير الفندق رسالة من أبي سليمان تقول : ترددت على الفندق من الصباح الباكر فلم أجدكم ، منتظرينكم قبل الثامنة في البيت • وذهبت تواً الى بيت أبي سليمان حيث قال : اننا مدعوون عند أصدقاء في جبل المريخ ! وهناك كان عدد من الشبان والشابات في عقد قران شاب مكي الأصل كان أبوه غادر مكة مع الملك فيصل بن الحسين ثم استوطن دمشق ثم انتقل الى عمان حيث مات مخلفاً ابناً وبنتاً ، وكانت هذه البنت ـ ٣٠

سنة ــ قد تناولت طعام الغداء معنا عند أبي سليمان ، وهي موظفة في احدى الشركات التي لأبي سليمان علاقة بها ، وهي التي دعتنا الى هذا الحفل •

بصارة وبراجة :

كانت هناك فتاة شابة بضة رخصة تدور بين المدعوين في مرح وفرح تسليهم وهي تقول : بصارة وبراجة !

وتنظر إلى كف كل واحد فتقول : عندك كذا ، وتحصل على كذا•

وما أن جلسنا حتى غمزها أبو سليمان مسلطاً اياها علي ! فأقبلت وقالت : افتح يدك • فقلت : أما هذا فلا أومن به ولكنني معطيك « فزورة » فان عرفتها فلك دينار ! قالت : هات • قلت : شيء إن أمسكته صاح ، وان فككته راح ! •

قالت : بسيطة دولي الأولاد !

وضحك الجميع وأعجبوا بسرعة بديهة الفتاة •

مشكلة الختام :

سار الحفل بهيجاً رافقه عزف بعض الشبان المتطوعين ، وقدمت مضيفتنا عشاء شهياً ، وكان الحاضرون دون العشرين نفساً • غير أن المشكلة جاءت عند ختام الحفل ، فقد اقترح أحدهم أن يكون الختام عزف السلامين الملكيين السعودي والأردني • فوافقنا جميعاً ولكن المشكلة بدأت عندما أصر الجانب الأردني أن يكون السلام الهاشمي هو الأول ، وأصر السعوديون أن يكون السعودي الأول ! وآخر حجة قذف بها عميدنا أبو سليمان ان ملكنا ــ على الأقل ــ أكبر سناً ، واحتدم الخلاف ، وصاحت المضيفة : يا ناس بلاش سلام • غير أن أحداً لم يسمع لها ، وتأهب العازفون الأردنيون لعزف السلام الأردني، وتأهب أبو سليمان وجناحه للخروج ، فكان ختاماً سيئاً ، عندها وقفت فقلت : انني أقترح أن يكون الختام قراءة الفاتحة والدعاء للعروسين بالرفاه والبنين • فوافق الجميع فانفرجت الأزمة وغادرنا المكان بعد قراءة الفاتحة •

في ضيافة سليمان موسى

في الأردن حركة أدبية نشيطة ، وفيه كتاب وأدباء لهم شهرة ووزن في العالم العربي غير أنني طيلة مكوثي في الأردن لم أزر النادي الأدبي ولم أتعرف على أحد من الكتاب سوى ذلك الصديق القديم الذي كان يلازمنا سنة ١٩٥٧ م في عمان عندما كنت أتلقى دروساً في الصحافة ، وعندما زرته هذه المرة أعرض ونأ بجانبه ، فلم أرغب في زيارة غيره ، غير أن الكاتب والمؤرخ المعروف سليمان موسى تربطني به رابطة دون أن أراه فقد قرأت بعض كتبه فاذا هو رجل تراثي مؤرخ ضليع ، ويعتبر سليمان ــ بحق ــ مؤرخ الأردن ، ولسانها ٠

اتصلت به هاتفياً يوم ١٣٩٥/٦/٢٠ هـ ٢٩ ــ٦ــ١٩٧٥ م فكلمني أحد أبنائه فأعطاني موعداً بعد العصر ، وبعد العصر كنت عنده في داره بجبل الحسين فاستقبلني استقبال الفاضل الكريم، وجرى الحديث حول الكتب والتأريخ والتراث ، فوجدت عالماً ثبتاً ، وأهداني كتابه «المراسلات التأريخية ــ ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ــ والثورة العربية الكبرى» ٠

ولسليمان مؤلفات أخرى مطبوعة تدل على منحاه المحمود وتعلمك أنه مكافح منافح عن تأريخ العرب ونهضتهم الحالية ، خاصة تلك النهضة التي تعرضت على أيدي الأجانب للتشويه ٠

وهذه مؤلفاته المطبوعة :

١ ــ الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ــ ٢ ــ تأريخ الأردن في القرن العشرين ــ ٣ ــ لورنس والعرب ــ آثار الاردن ــ ٥ ــ الثورة العربية الكبرى ــ ٦ ــ T.E - LAWRECE ــ ٧ ــ صور من البطولة ــ ٨ ــ غربيون في بلاد العرب ــ ٩ ــ الحركة العربية (١٩٠٨ ــ ١٩٢٤) م ــ ١٠ ــ تأسيس الإمارة الأردنية ــ (١٩٢١ ــ ١٩٢٥ م) ٠



٦

الآثار في الأردن

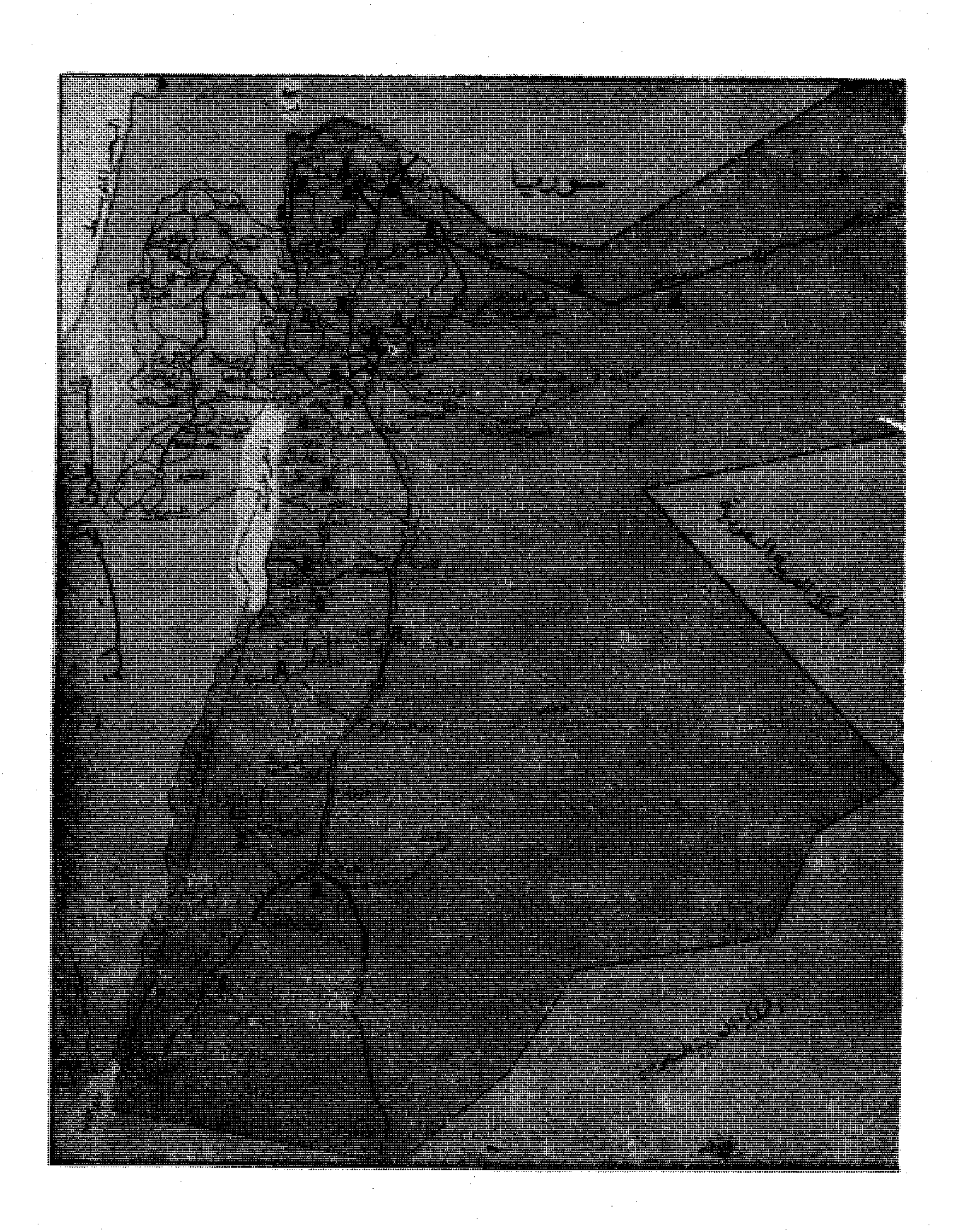
الأردن متحف آثار ، جمع بين كثرتها وندرتها ، وقد سماه بعض علماء الآثار متحف الآثار المفتوح ، وهو بذلك يحتل مكاناً لا منافس له فيه في الشرق الأوسط ، ومعروف أن الشرق الأوسط لا ينافس في مجال الآثار والأماكن التأريخية والمقدسة ٠

والأردن يحتضن أعظم مدينة أثرية في العالم ، هي « البتراء » بالاضافة إلى الكثير من الأماكن الأخرى، وهذه لمحة موجزة عن الاماكن الأثرية التي أتيحت لي رؤيتها في الأردن أو وصفت لي وصفاً دقيقاً ٠

١ ـ اربـد :

مدينة تأريخية تقع شمال عمان مع ميل إلى الغرب ، وهي قاعدة شمال الأردن ، عامرة متقدمة تبعد عن عمان مسافة « ٨٨ » كيلاً في سهل حوران الجنوبي في قسمه الأردني ٠

ويقال : إن تأسيس إربد يعود إلى سنة « ٣٠٠٠ » ق.م ٠ أو « ٢٥٠٠ » كما في الدليل الأردني السياحي ٠ وتوجد آثار حول إربد بعضها اكتشف وبعضها جار البحث عنه وفي معجم البلدان : أربد : بالفتح ، ثم السكون ، والباء الموحدة : قرية بالأردن ، قرب طبرية ، عن يمين المغرب ، بها قبر أم موسى بن عمران ، عليه السلام ، وقبور أربعة من أولاد يعقوب ، عليه السلام ، وهم : دان ، وأيساخار ، زبولون ، وكاد ، فيما زعموا ٠


سوريا

٢ ـ البتراء :

المدينة الأثرية العظيمة في العالم أجمع ، ولا مجال في هذه الرحلة لوصفها وإيفاء الحديث عنها ، تقع البتراء غرب معان مع ميل الى الشمال وشمال مدينة العقبة ــ ميناء الأردن ــ مع ميل إلى الشرق ، وتبعد عن معان « ٤٨ » كيلاً ، وعن العقبة « ١٣٨ » كيلاً .

وآثارها منقورة في الصخر فناحتون منه بيوتاً ومجالس وردهات، ومن أعظم هذه الآثار « خزنة فرعون » وهي في صخور وردية جميلة، والسواح يؤمونها بلا انقطاع . وباختصار فانه لا يمكن أن يتصور روعة آثار البتراء وحسن نظامها الا من رآها رأي العين ، وقد تذكر أنها الرقيم المذكور في القرآن ، والله أعلم .

٣ ـ جرش (بالتحريك) :

مدينة أثرية عجيبة ذات أعمدة من الصخر تقوم حول قاعات واسعة ، ولها مدرجات حسنة البناء ، تقع شمال عمان على الطريق المؤدي إلى دمشق ، وتبعد عن عمان ٤٨ كيلاً ، وهي ملتقى طرق في تلك المنطقة ، وآثارها رومانية وكانت من المدن السبع الرومانية ، ومن آثار جرش صخور عليها نقوش تذكر أباطرة الرومان وقادتهم ، وفيها قوس بني تخليداً لزيارة الامبراطور الروماني هدريان في شتاء عام ١٢٩ ــ ١٣٠ م . وهو قوس عجيب لا زالت بواباته ماثلة للعيان . ومن بوباته : باب عمان ، يرتفع اثني عشر متراً بعرض سبعة أمتار . وفيها أثر يدعى « هيكل أتيميس » وهي في زعمهم إلهة المدينة . وفيها آثار كنائس عديدة ، ومدرج يعرف بالمدرج الروماني . وللمدينة تأريخ حافل وآثار أخرى ليس مجالها هنا .

٤ ـ رِمْ :

آثار تقع غرب المدورة في الطرف الشمالي الغربي للحجاز في واد

عميق جميل ينتهي سيله إلى وادي اليتم ، وتتكون الآثار من معبد قد يكون نبطياً ، وبرك ومجار للمياه يعتقد أنها رومانية ، وفي صخور الوادي نقوش باللغة التمودية . والحكومة الأردنية مهتمة في تحويل المنطقة الى منطقة سياحية متكاملة .

٥ ـ عَمّان :

تقدم الحديث عنها ، والمقصود هنا الآثار في عمان ، وأهمها المدرج الروماني : يقع على الضفة الشرقية لوادي عمان ، وهو مبني في سفح الجبل بالحجر بناء محكماً . وفي عمان قلاع من أشهرها القلعة التي سمي بها جبل القلعة وقد تقدم .

٦ ـ مجموعة من القصور الأثرية :

تنتشر في الصحراء الأردنية شرق وجنوب شرقي عمان ، منها : قصر الحلابات : قصر أموي شرق مدينة الزرقاء بما يقارب خمسة وعشرين كيلاً .

قصر عمرة : ويقع جنوب قصر الحلابات وغرب الأزرق . قصر المشتى : قصر أموي أيضاً جنوب عمان قريباً من الطريق بين عمان ومعان .

قصر الحمّام وقصر الخرانة وقصر الطوبة وقصر الضبعة : كلها في تلك الصحراء ، تدل على مدنيّة غابرة وحضارة مندثرة .

٧ ـ الكرك : بالتحريك :

مدينة ذات موقع منيع سبق التحدث عن موقعها ، تشتهر بقلعتها العظيمة « قلعة الكرك » ظلت على مر الأيام حصناً حصيناً لكل من اعتقل فيها ، أمر ببنائها القائد الصليبي « بايم » سنة ١١٣٦ م ابان احتلال

الصليبيين لهذه البلاد ، وتقع القلعة على جبل يشرف غرباً على البحر الميت يرتفع « ٩٦٠ » متراً عن سطح البحر . وكانت هذه القلعة تسيطر على طريق قوافل الحجاج بين الشام والحجاز المارّ في الصحراء شرقيهـا ، وكان صلاح الدين هاجم هذه القلعة مرات ، وفتحت صلحاً على يديه سنة ٥٨٤ هـ .

٨ ـ مأدبـا :

مدينة صغيرة جميلة تقع جنوب عمان مع ميل إلى الغرب على بعد ٣٣ كيلاً على الطريق التي تمر بالكرك ثم إلى البتراء فالعقبة .

جل سكانها من المسيحيين ، ويقال أن بناء المدينة يعود الى سنة « ٢٠٠٠ » ق.م. وعثر على نقش هناك ينص على أن اسمها القديـم « مهدبا » وأنها من بناء المؤابيين ومن أهم آثار مأدبا الخريطة التي تمثل فلسطين وتظهر فيها معظم مدنها بما في ذلك مدينة القدس ، مرسومة بالفسيفساء في كنيسة للروم الأرثوذكس ، يعود ذلك إلى القرن السادس الميلادي .

٩ ـ المزار :

مكان قرب بلدة مؤتة ، فيه قبر جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، والمكان حيث قتل جعفر يوم مؤتة ، يقع المزار جنوب الكرك غير بعيـد .

قبائل الأردن

المهمة

جل سكان شرقي الأردن قبائل ، أما ذات قرى وحضارة مع تمسكها بتكوينها القبلي أو قبائل رحل تتمثل فيها كل مقومات القبيلة.

وعندما قامت امارة شرقي الأردن كانت مدعومة من كثير من هذه القبائل ، كذلك عندما تكونت المملكة الأردنية الهاشمية ، ولذا فان الكثير من القبائل هنا تتمتع بنفوذ ولها وزن وثقل في تسيير السياسة، وهناك قبائل لا تخلو حكومة من وجودها فيها كالمجالي وبني صخر ، والمعايطة وبني خالد وبني حسن .

وفي هذا البحث الموجز عن قبائل الأردن قدمت أهم هذه القبائل عدداً ونفوذاً في بحث مختصر ، ولما كانت رحلتي لم تمكنني من مقابلة الكثيرين من عارفي هذه القبائل والمعنيين بها ، فقد عولت بعض الشيء على معجم قبائل العرب ، وبعض الكتب المؤلفة عن الأردن ، وعلى علمي بكثرة غلطات هذه الكتب ، فاني لم أجد مندوحة عن الرجوع إليها من وقت لآخر .

بنو حسن

من القبائل الأردنية القاطنة شمال عمان حول جرش ، وكانت في القرن التاسع عشر الميلادي في حروب ونزاعات مستمرة انتهت بقيام الدولة الاردنية فصارت القبائل هناك أخوة يذكرون تلك العهود بالنقد والتجهيل .

فروع بني حسن :

تنقسم إلى فرعين كبيرين ، هما :

١ ـ السبتة :

وتنقسم الى ثلاثة فروع : الزيود ، والعموش ، والمشاقبة .

آ ـ الزيود : وفروعهم : الفراهيد ، والعباس ، والصغيرين ، والجوابرة ، وبنو عثمان ، وبنو ابراهيم ، واليعاقبة ، والحسابلة .

ب ـ العموش : وفروعهم : الحسبان ، والحمادية ، والداود ، والسميرات ، والعويضات .

حـ ـ المشاقبة : وفروعهم : الثوانية ، الحويتات ، والجريدات ، وبنو قبلان ، وبنو حامد .

٢ ـ بنو هليّل :

وتنقسم الى : الحراحشة ، والخزاعلة .

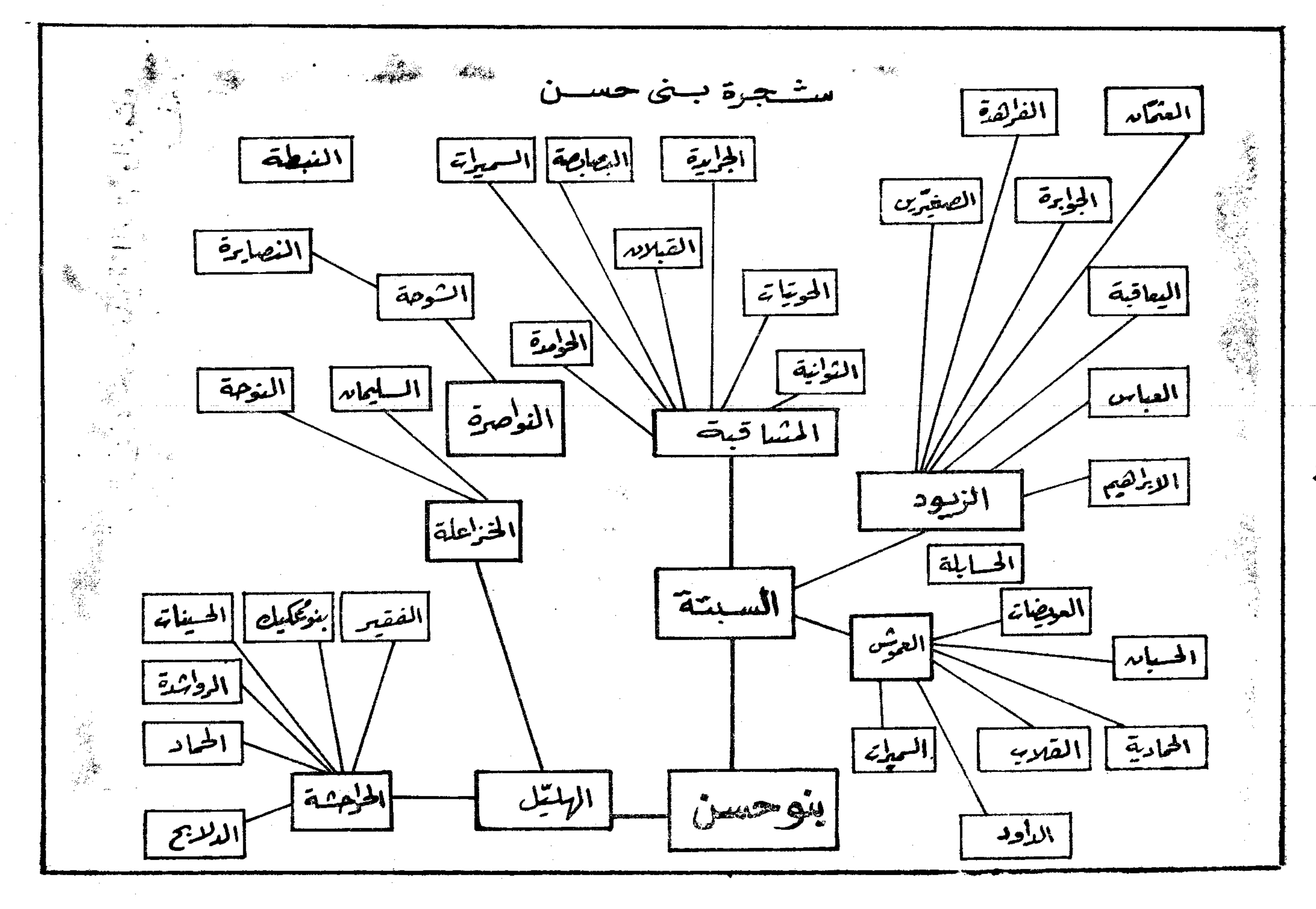
آ ـ الحراحشة : وفروعهم : الفقير ، والعكيك ، والحسينات ، والرواشدة ، وبنو حماد ، والدلابحة .

ب ـ الخزاعلة : وهم : السليمان ، والنوحة .

ومن بني حسن : الخطبة ، والنواصرة ، ومن النواصرة الشوحة ، ومن الشوحة النصايرة[١] .

---

(١) عن معجم قبائل العرب .


شجرة بني حسن
بنو حسن
السبتة
الهليل
المشاقبة
الزيود
العروش
الخزاعلة
الحراحشة
النبطة
السميرات
البصابصة
الجرايرة
القبلان
الحوتيات
الحوامدة
الثوانية
النصايرة
الشوحة
النواصرة
النوحة
السليمان
العثمان
الفراهدة
الصغيرين
الجوابرة
اليعاقبة
العباس
الابراهيم
الحسايلة
العويضات
الحسبان
الحمادية
القلاب
السميرات
الداود
الحسينات
بنو محكيك
الفقير
الرواشدة
الحماد
الدلابح

بنو خالد :

احدى قبائل شمال شرقي الأردن، حول مدينة المفرق والرمثاء ومنهم في سوريا ، برز منها رجال وصلوا رئاسة الوزراء • وهـــذه القبيلة فرع من قبيلة كثيرة العدد والقرى في سوريا ، وقد عدهـــا وصفي زكريا في « عشائر الشام » من أغنى عشائر الشام • يقيظ أكثرها في شرقي محافظة حمص ، وبعضهم في شرقي حماة ، وشمالي السلمية ، وينتجعون في الشتاء أنحاء تدمر والحماد حول جبل التنف ، وجبل عنزة • وعدهم وصفي « ١٥٠٠ » بيت ، ثم ذكر أن لهم خلطاء من بني حسن القبيلة التي تجاور بني خالد الأردنيين ، مما يدل على صلة وثيقة بين القبيلتين • ويرجح أن هذه القبيلة من جذام كما أشار إلى نحو هذا في نهاية الأرب ، وقال : كانت منازلهم البلقاء •

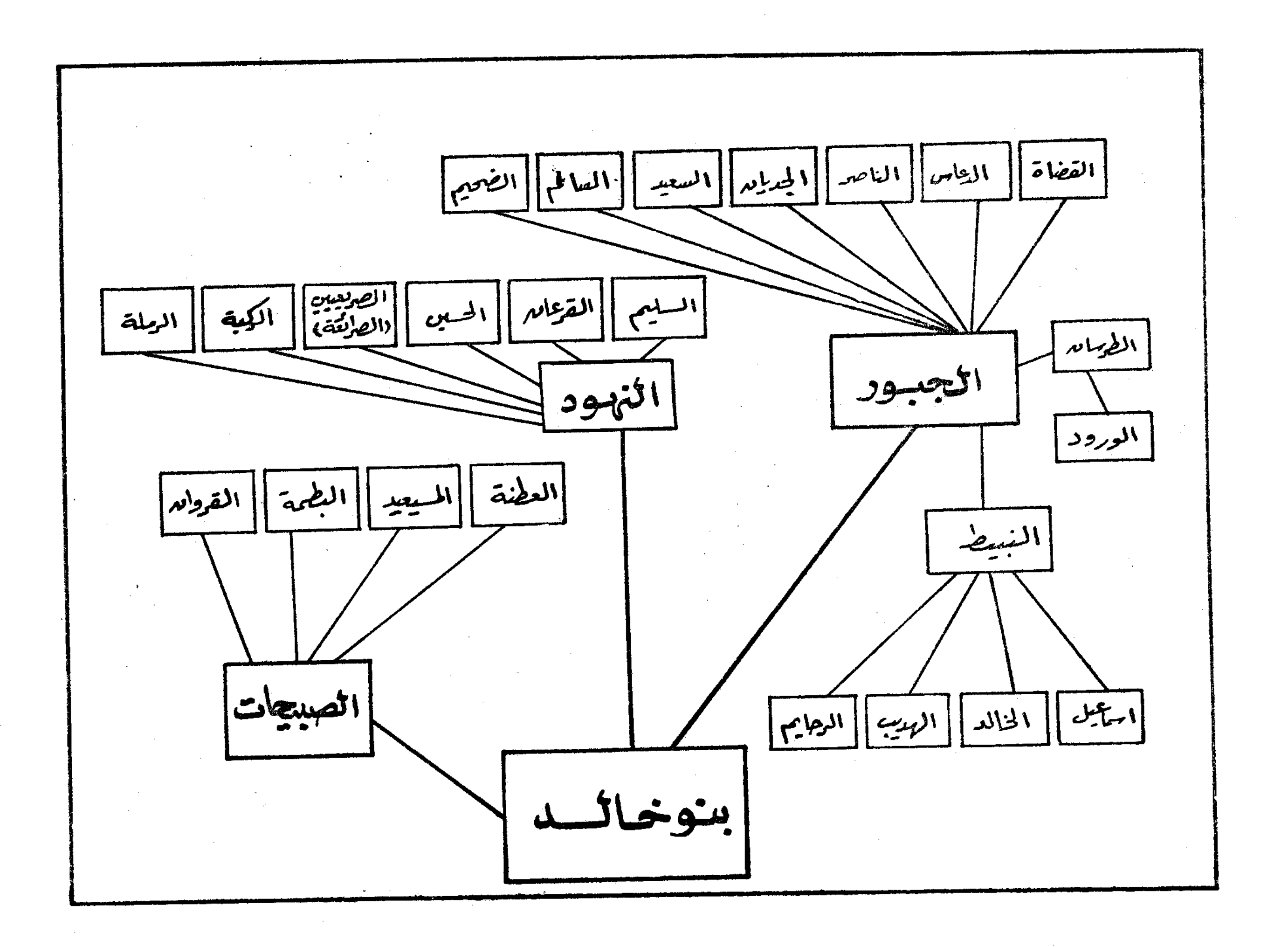
فروع بني خالد الاردنيين :

تنقسم قبيلة بني خالد المقيمة في الأردن إلى ثلاثة فروع رئيسية،هي:

١ ــ الجبور : أكبر تلك الفروع وأكثرها عدداً ، ومنها القضاة، والناصر ، والدعاس ، والجديان ، والضحيم ، والسالم ، والسعيد ، والطرسان ، ومن الطرسان : الورود ؛ والنبيط : ومنهم : الهديب ، والاسماعيل ، والخالد ، والرحايم •

٢ ــ الصبيحات : ومنهم : العطنـــة ، والمسيعيد ، والبطمة ، والقروان •

٣ ــ النهود : ومنها : الحسين ، والقرعان ، والرملة ، والصرعان، والسليـــم •


بنوخالد
الجبور
النهود
الصبيحات
القضاة
الناصر
السعيد
السالم
الضحيم
الورود
النبيط
اسماعيل
الخالد
الهديب
السليم
القرعان
الحسين
الرملة
العطنة
المسيعيد
البطمة
القروان

السرحان

قبيلة ليست كبيرة ، تسكن في وادي السرحان في المملكة العربية السعودية والأردن ، فتمتد ديارها من نواحي الأزرق ـ شرق عمان ـ إلى القريات فالجوف .

قال في معجم قبائل العرب : السرحان : قبيلة عريقة في القدم ، نسبها بيك إلى السرحان من قضاعة . كانت من أقوى قبائل حوران[1] وأعظمها سلطاناً في القرن السادس عشر الميلادي ، كانت على رأس خلف قبائل كبيرة ، تدعى بأهل الشمال ، ويضم قبائل : العيسى ، والفحيلي والفضل .

وحوالي عام ١٦٥٠ م نازع السردية[2] بزعامة محمد المهيدي سيادة السرحان ، فاقتتل الطرفان قتالاً عنيفاً ، سقط فيه عدد كبير من القتلى ، فآلت سيادة المنطقة الممتدة من دمشق إلى البلقاء إلى المحفوظ السردي ، ثم انفصل العيسى والفحيلي عن حلفائهم السرحان، فتضاءلت قوتهم وتزعزع سلطانهم ، وأصبحوا مرغمين على الرحيل من حوران. ثم خرج السرحان من حوران حوالي عام ١٦٥٠ ـ ١٧٠٠ م ونزلوا في الجوف ، بعد أن اغتصبوه من أصحابه ، وشرعوا في بناء مجدهم الغابر، الذي قضى عليه المحفوظ السردي .

وفي ربيع عام ١٩٢٥ م أغار الأخوان السعوديون على السرحان ، ونهبوا ماشيتهم وابلهم، فكانت هذه الحادثة سبباً في استقرارهم جميعاً. واليوم يرتاد البادية في فصل الشتاء فقط ، أكثر من نصف القبيلة ، ولا يتوغلون في منازلهم أبعد من **الهزيم ، وكاف والشامية**[3] ، حيث يقضون شهرين أو ثلاثة ثم يعودون إلى منازلهم في الغرب .

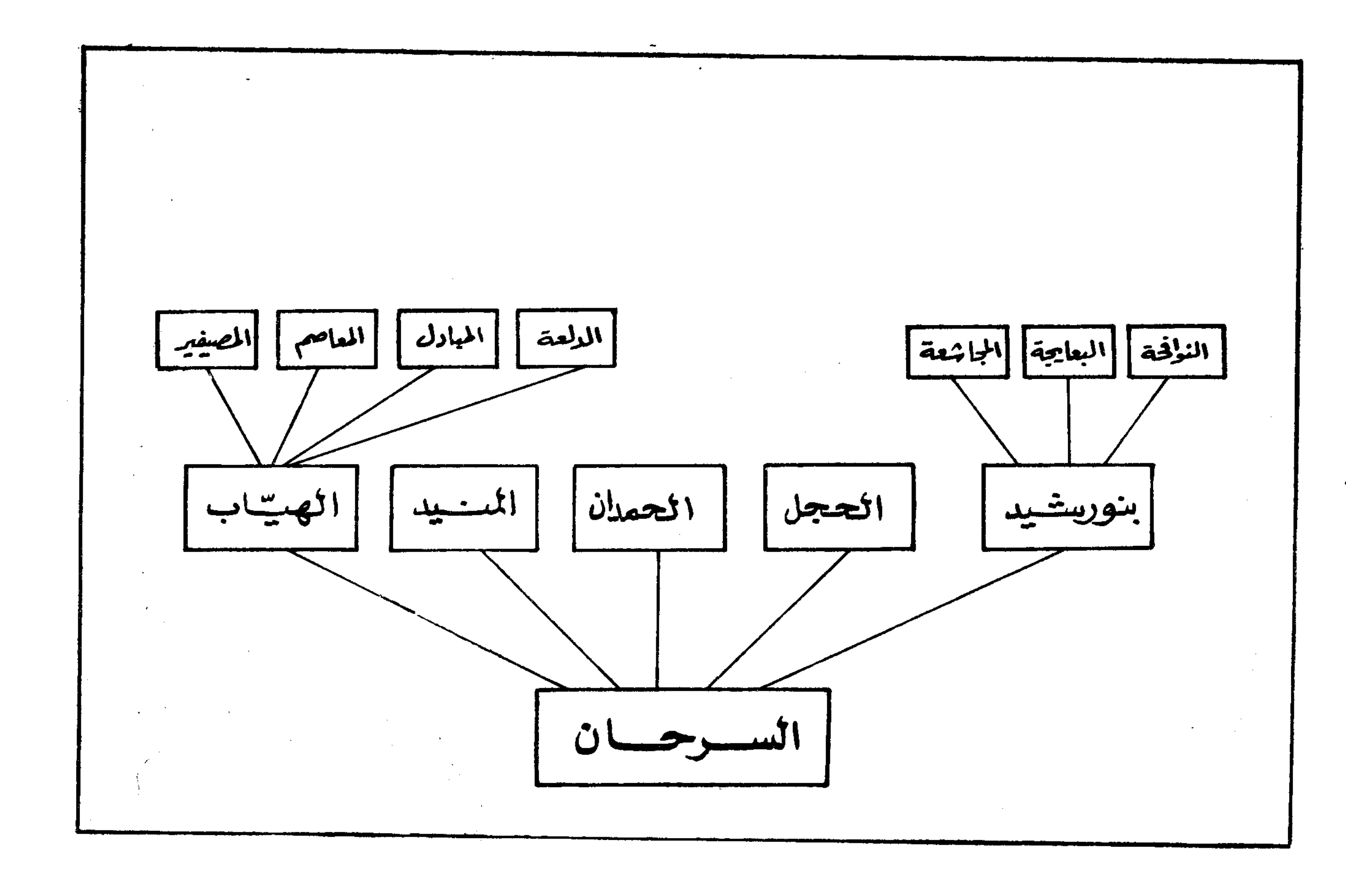
---

(١) حوران : اقليم شامي بين دمشق وعمان ، فيه : بصرى ، واذرعات، وهرعاء والرمثاء .
(٢) السردية : من قبائل حوران .
(٣) أماكن من قريات الملح وما حولها .

وفي « الاشتقاق لابن دريد » : فمن قبائل قضاعة : كلب بن وبرة ، وهو قبيل عظيم ، منهم الأسبُع ، وهي بطون : ثعلب ، وفهد ، ودب ، والسيّد ، والسرحان . الخ .

فروع السرحان اليوم :

١ ـ الحمدان .
٢ ـ الحجل .
٣ ـ المنيد .
٤ ـ الهياب : ومن فروع الهياب : الدلعة ، والمبادل ، والعاصم، والمصيفير .
٥ ـ بنو رشيد : ومن فروعهم : البعايجة ، والمجاشعة، والنوافحة.


السرحان
بنو رشيد
الحجل
الحمدان
المنيد
الهيّاب
النوافحة
البعايجة
الجاشعة
الدلعة
المبادل
المعاصم
المصيفير

بنو صخر

احدى القبائل المهمة في الأردن ، فهي أكثر قبائل الأردن ـ حول عمان ـ عدداً ومنها رجال بارزون في الدولة الأردنية ، تقع أراضيها جنوب عمان حول زيزيا على جانبي طريق الحجاز ، وتمتد شرقاً موغلة في الصحراء ، وأرضها خصبة حسنة الانتاج .

نسب بني صخر :

قال في نهاية الأرب : بطن من جذام من القحطانية ، مساكنهم بلاد الكرك من الشام . قال الحمداني : وهم : الدعجيون والعطريون والصوتيون . وهم أحلاف لآل فصل من عرب الشام . قال : ومنهم جماعة بمصر . ثم قال : بنو صخر ـ أيضاً ـ بطن من طيء من قحطان، منازلهم ما بين تيماء وخيبر .

وتنقسم اليوم بنو صخر إلى فرعين كبيرين ، هما :

١ ـ الطوقة :

وتنقسم إلى ثلاثة بطون كبيرة هي :

آ ـ الخضير : وتنقسم الى البراذعة ، والهقيش ، وتنقسم الهقيش الى : البشير ، والمهنا ، والزيدان ، والسالم .

ب ـ الغبين : بالغين المعجمة ، تصغير غبن ، وتنقسم إلى :

(١) الحامد : الفياض ، المناحي ، الكايد ، المعادية ، الدغيم .

(٢) الفائز : السطام ، البخيت ، المطيرات ، الذياب ، القعدان ، الكنيعات ، الصقر ، النمر ، الجنيبات ، الحمود ، الدهامشة .

حـ ـ الفضل : وتنقسم الى :

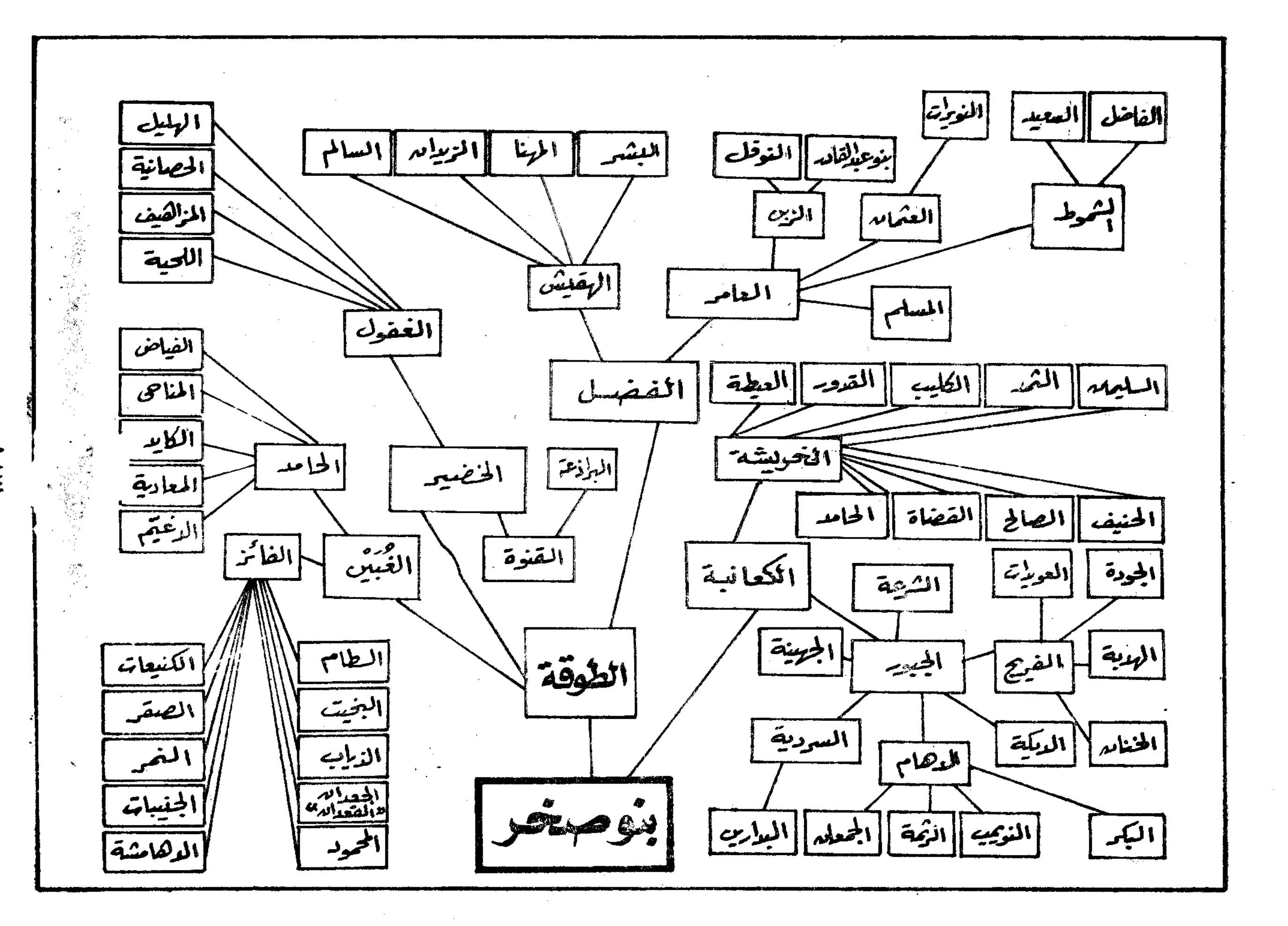
(١) العامر : الشموط ، ومنهم : السعيد والفاضل ، والمسلم ، والزبن ، ومنهم : النوفل ، والعبد القادر ، والعثمان، ومنهم :النويرات.

٢ ـ الكعابنة :

وتنقسم الى قسمين : الجبور والخريشة . وتنقسم الجبور إلى : الجهينة ، والشرعة ، والديكة ، ويقال انهم من زبيد سوريا ، والسردية، ومنهم البدارين . والدهام ، ومنهم : الجمعان ، والرتمة ، والنويمي، والبكر . والفريج ، ومنهم الحنان ، والهدبة ، والعويدات ، والجودة.

وتنقسم الخريشة إلى :

الحامد ، والقضاة ، والصالح ، والعيطة ، والقدور ، والكليب ، والثمد ، والسليمان ، والحنيف .


بنو صخر
الطوقة
الكعابنة
الفضل
الخضير
القنوة
البزازعة
الغبين
الفائز
الحامد
الغفول
الهقيش
العامر
المسلم
الزبن
العثمان
الشوط
الفاضل
السعيد
النويرات
بنو عبد القادر
النوفل
السالم
الزبيدات
المهنا
البشر
الهليل
الحصانية
المزاهيف
اللحية
الفياض
المناحي
الكايد
المعادية
الرغيم
الطام
البخيت
الزيايب
المحمود
الكنيعات
الصقر
النمر
الجنيبات
الوهاشة
الخريشة
العطية
القدور
الكليب
الثمر
السليمان
الحامد
القضاة
الصالح
الحنيف
الجبور
الشرعة
الجهينة
السردية
البلازين
الدهام
الجعلان
الزيمة
النويجيس
البكر
الفريج
العويدات
الجودة
الهويدية
الخنابر
الربيكة

عـَــبّاد

من قبائل البلقاء • جاء في معجم قبائل العرب نقلاً عن تأريخ شرقي الأردن لبيك ، وخمسة أعوام في شرقي الأردن لبولس سلمان :

عباد : من عشائر منطقة البلقاء • تتألف من عدة عشائر ، يكاد يكون أغلبها لا يجتمع في أصل واحد • وتنقسم إلى فريقين كبيرين : الجرومية ، والجبورية • وعن تأريخ جبل نابلس لاحسان النمة « ج١ ص١٣٥ »: عباد:من عشائر البدو • وتنقسم إلى أربع عشرة عشيرة،تسمى بهذا الاسم ، وترجع الى أنساب متعددة ، وقد أصبحت ذات شأن في القرن الثاني عشر ، ثم ظهرت عشيرة العـَدْوان القوية ، فكونت عباد حلفاً ضدها ، من الصقر والبشاتوة ، وفلاحي الغور •

فروع عباد اليوم :

١ ـ الجبورية :

وتتفرع إلى عدة فروع هي :

آ ـ الزيود : ومنها : الدويكات ، والشراب •

ب ـ الزيادات : ومنها : العلاوين ، والعوامرة ، والمحاسنة •

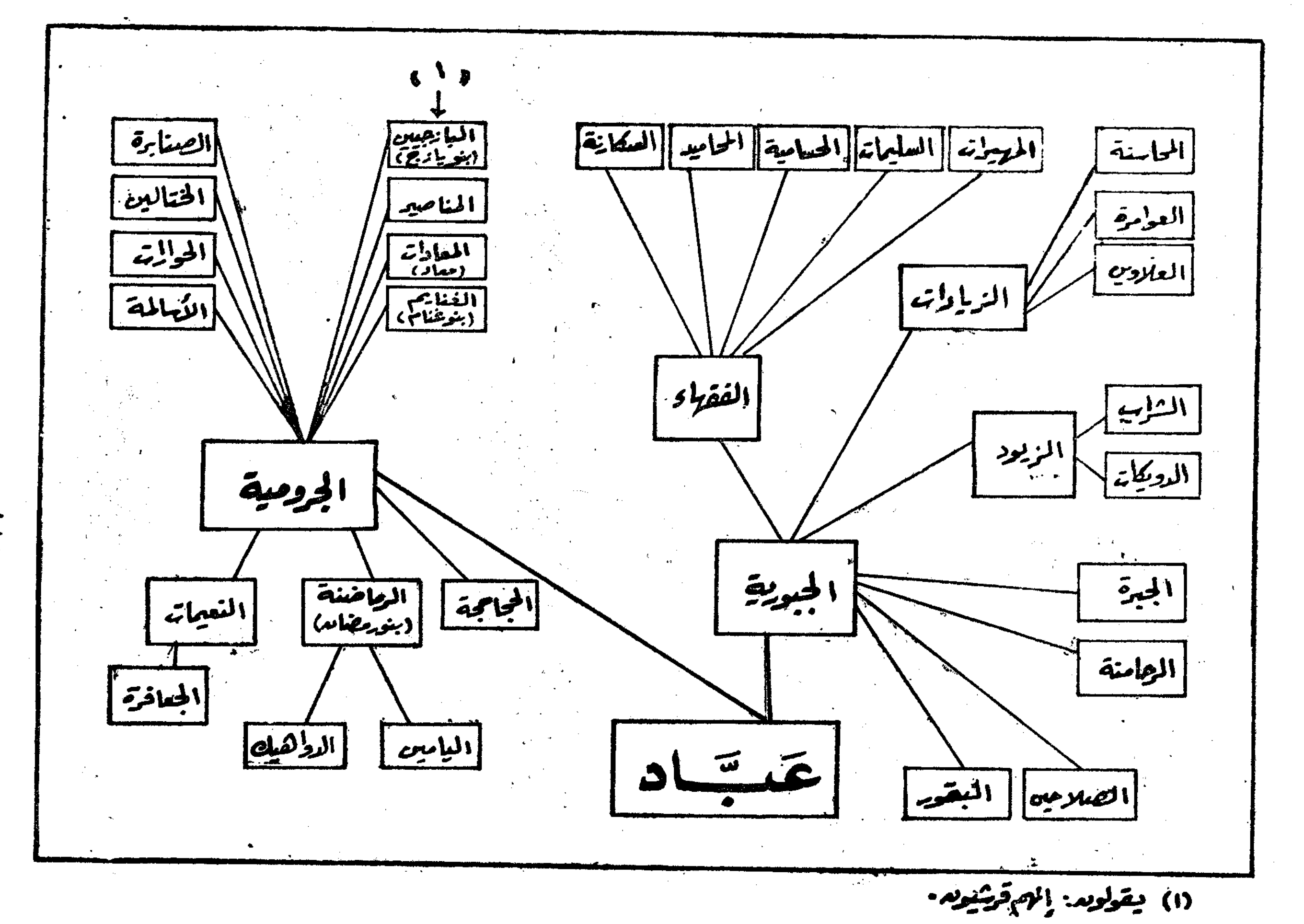
حـ ـ الفقهاء : ومنها : السكارنة ، والمحاميد ، والحسامية ، والسليمات ، والمهيرات •

د ـ البقور ، والصلاحين ، والرحامنة ، والجبرة • وكل منها تتكون من بطون وعائلات •

٢ ـ الجرومية :

وتتفرع الى :

الحجاحجة ، والرماضنة « بني رمضان » ، والدواهيك، واليامين، والنعيمات ، ومنهم الجعافرة ؛ والصنابرة ، والختالين ، والحورات ، والأسالمة ، واليازجيين « بني يازج » وينتسبون الى قريش• والمناصير ، والمعادات ، والغنانيم « بني غنام » •



(١) يقولون: إنهم قرشيون.

عـدوان

من قبائل البلقاء الغربية ولها في الغور بلدة الشونة « شونة ابن عدوان » وهي بليدة على الضفة الشرقية لنهر الأردن فيها مشاتي لبعض الأسرة الأردنية ، وللملك عبد الله ـ رحمه الله ـ قصر فيها كان يتخذه مشتى ؛ وبنو عدوان هؤلاء هم : بنو عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن عدنان • كانت منازلهم حول الطائف ، ثم حدثت بينهم حروب ومنازعات أدت الى جلاء بطون عديدة من عدوان إلى مصر وافريقيا ثم دارت حروب أخرى بين الذين بقوا في ديارهم فتفرقوا فنزلت هذه الفرقة الأردن فقويت شوكتها وتملكت أراضي زراعية وكثر عددها ، ولما ولى الملك عبد الله بن الحسين امارة شرق الأردن حاول بنو عدوان الخروج عليه فأخضعهم ، ثم سالموه ، ولهم اليوم وزن في الأمور الأردنية ، ومنهم « نمر بن عدوان وابنه عقاب[1] » بطلي قصة نمر بن عدوان الأردنية ، وعليهما المثل القائل « هذا بلا أبوك يا عقاب » ذلك أن نمراً كانت له امرأة اسمها وضحاء جميلة هيفاء ولدت له عقاباً فماتت ، فصار نمر يبحث عن كل امرأة اسمها وضحاء فيتزوجها، فاذا لم يجدها كوضائة طلقها، ثم عثر على وضحاء تشبه وضاءة فأمسكها فجاءه عقاب ذات يوم يقول : « يابوي خالتي وضحاء ما هي مثل أمي» فسأله الوالد عن الخلاف بينهما • فقال الولد : « أمي اذا دحرجت الحدجة[2] من تحت جنبها وهي نائمة تتعدى دون أن تشعر بها ، أما خالتي فان الحدجة تقف مصطدمة بها فتستيقظ من النوم »!• فقال الأب : « هذا بلا أبوك يا عقاب ! » فصار مثلاً • أي أن ضمور خصر

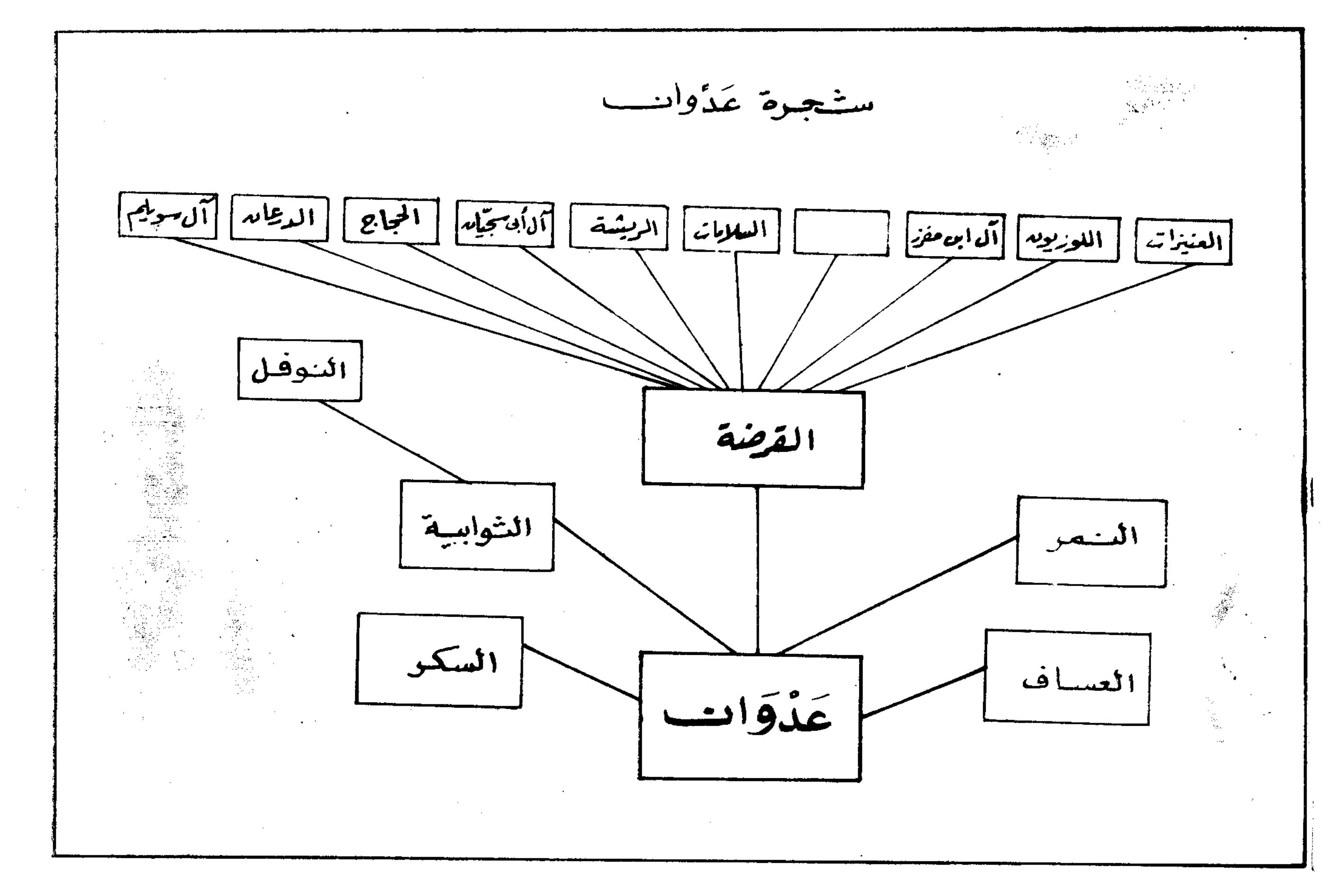
---

(١) وقيل : ان نمرا هذا من بني صخر •
(٢) الحدج : ثمر الحنظل يشبه الحبحب الا أنه أصغر منه•

أم عقاب من الشروط التي أتعبت نمراً وهو يبحث عنها •
ولا زالت عدوان الأم تسكن شرق الطائف ، وهي قلة اليوم[٢] •
فروع عدوان الأردن :
١ ــ الثوابية : ومنهم : النوفل •
٢ ــ السكر •
٣ ــ النمر : ويقولون انهم ذرية نمر بن عدوان •
٤ ــ العساف •
٥ ــ القرضة : ومنهم : العنيزات ، واللوزيين ، وابن مغرز ، والدرعان ، والحجاج ، والسلامات ، وأبو تتوه ، والريشة ، وآل سويلم ، وآل أبو سجيان •

---

(٢) انظر عنها كتابي معجم قبائل الحجاز •



شجرة عَدْوان
العنيزات
اللوزيين
آل ابن مفرز
السلامات
الريشة
آل أبي سجّان
الحجاج
الدعجان
آل سويلم
النوفل
القرضة
الثوابية
النمر
السكو
عَدْوان
العساف

المجالي

من القبائل المهمة في الكرك ، واذا ذكر الكرك اليوم ذكرت المجالي ، ومنهم رجال بارزون في الحكومة الأردنية، ومنهم قادة وصلوا أعلى المناصب • وأماكنها حول الكرك ، ولها كثير من العقار في مدينة الكرك والقرى المحيطة بها ، وتنقسم إلى :

١ ــ السليمان : ومن فروعها :

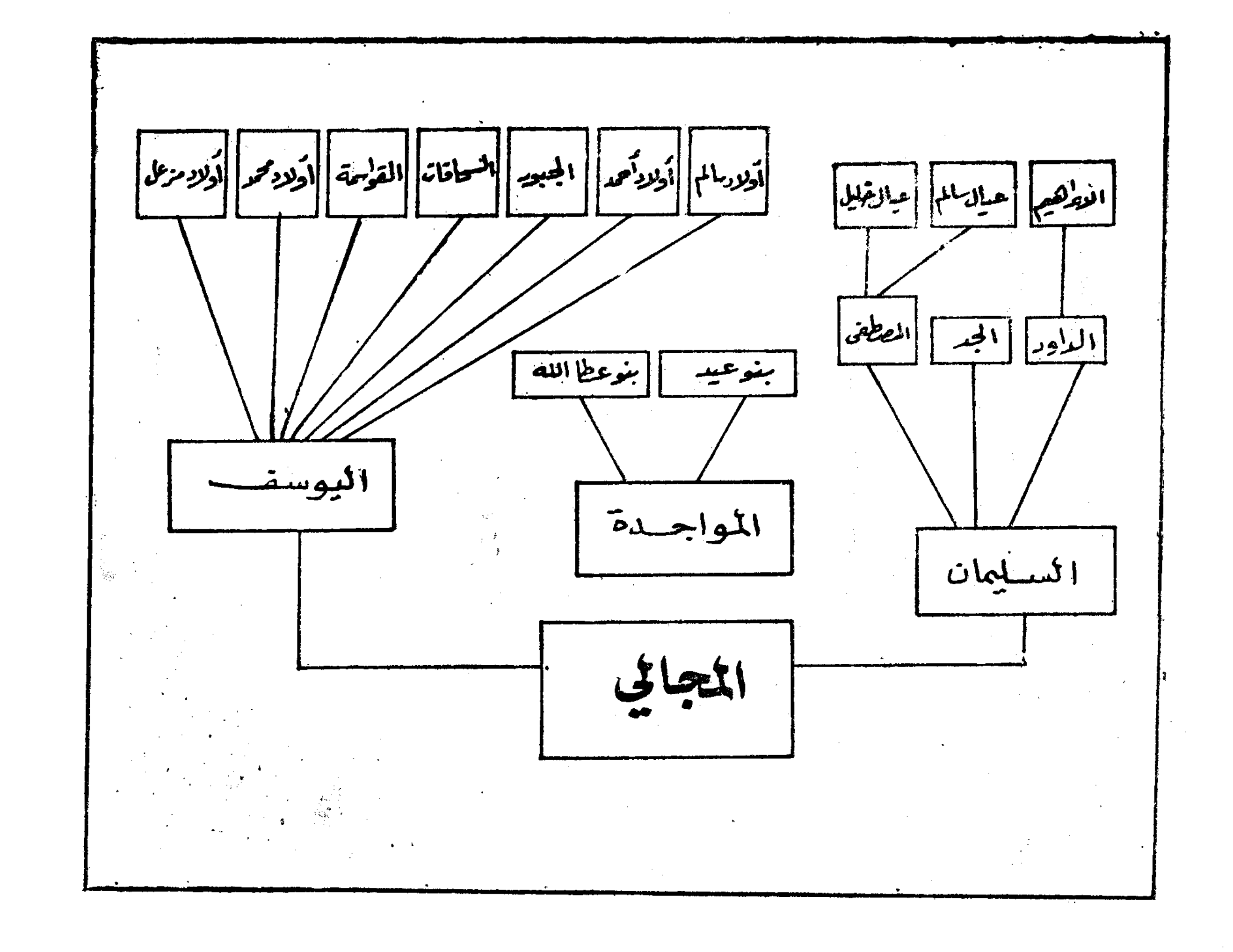
آ ــ الداود ، ومنهم آل ابراهيم •
ب ــ الجد : قال في « خمسة أعوام في شرقي الأردن » : منازلها مدين ــ قرية قرب الكرك ــ وعدد بيوتها ٣٠ بيتاً •
حـ ــ المصطفى : وهم : عيال خليل ، وعيال سالم •

٢ ــ اليوسف : وفروعهم :

أولاد أحمد ، وأولاد محمد ، وأولاد سالم ، والسحاقات « بنو اسحاق » ، والجبور ، والقواسمة •

ومن حلفاء المجالي عشيرة المواجدة « بني ماجد » وفي معجم قبائل العرب : تنقسم الى فرعين : عيد بن محمد ، وعطا الله بن مسلم •

ولم أر أحداً ذكر شيئاً عن نسب المجالي على شرفها وشهرتها •


المجالي
اليوسف
المواجدة
السليمان
أولاد مزعل
أولاد محمد
الجبور
أولاد أحمد
أولاد سالم
بنو عطا الله
بنو عبيد
المصطفى
الجد
الداود
عيال خليل
عيال سالم
الابراهيم

المعايطـة

من عشائر الكرك المهمة بعد المجالي ، يقولون : ان أصلهم من الخليل ، تعد بيوتها قريباً من مائتي بيت ، وتنقسم إلى بطنين ، هما : الرشايدة ، والزقايلة ، وتنضم إليها قبائل : الامامية ، والأعجام ، والبيايضة ، والذنيبات •

وتنقسم كل قبيلة الى بطون على النحو التالي :

١ ـ الرشايدة : وتنقسم الى :

آ ـ الطالب : ومنهم الأعيدة •

ب ـ المساهرة : ومنهم : الرشيد والجبران •

٢ ـ الزقايلة :

وهما : الابراهيم والسليم ، ومن السليم : أولاد عياد ، وأولاد مطلق •

٣ ـ البيايضة :

وورد ذكرهم في بعض الكتب الأردنية « البياضة » والذي أعرفه أنا البيايضة : بيائين مثناتين من تحت ، قبيلة صغيرة تسكن حول مدين جنوب الكرك ، ولي منها أصدقاء لا زالوا يراسلونني •

٤ ـ الذنيبات :

ومنها : الفراية : بالفاء ، والقروم ، والكفارين •

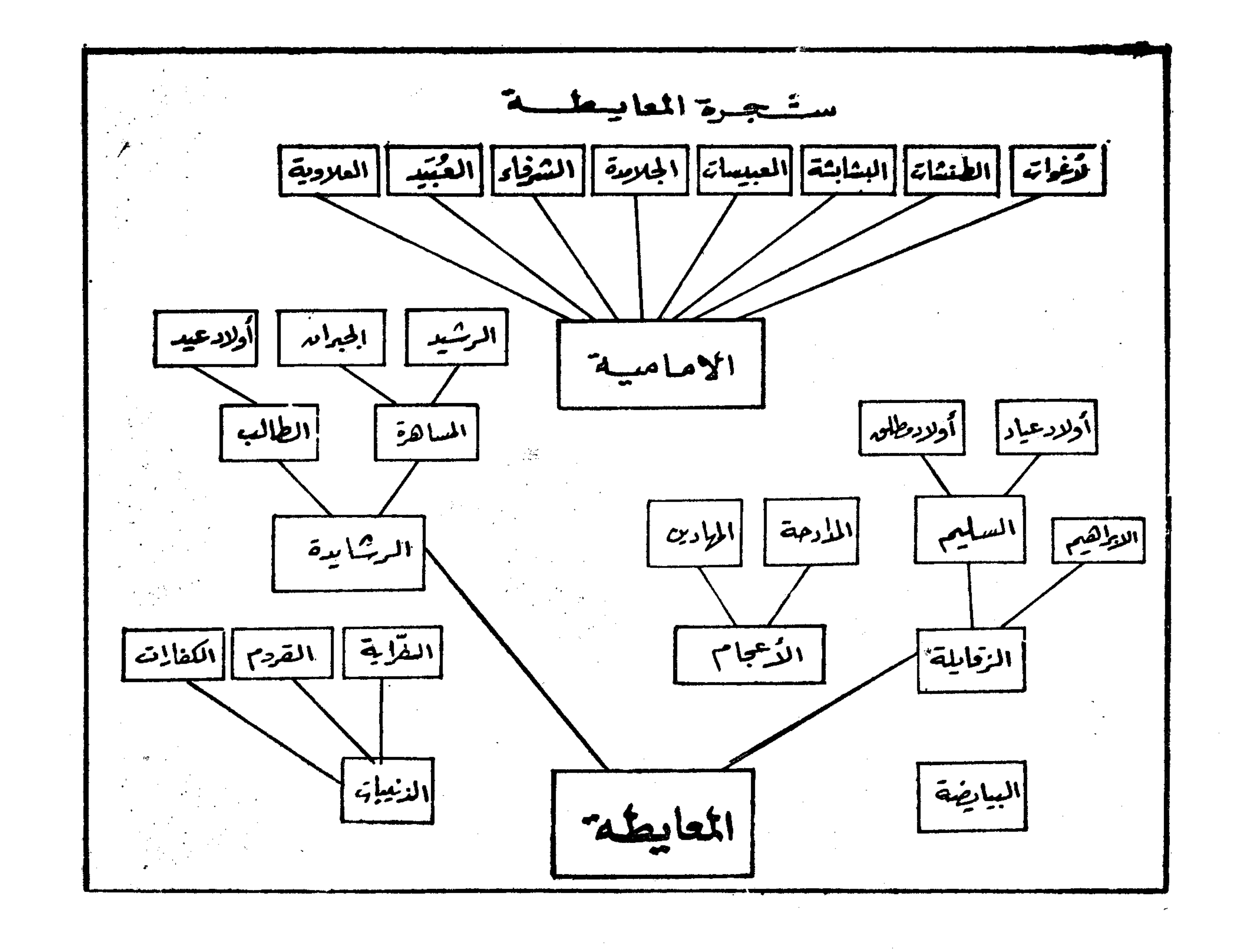
٥ ـ الأعجام :

ومنها : المدادحة ، والمهادين •

٦ ـ الامامية :

والمستفيض لدى قبائل الكرك ومنهم البيايضة أن الامامية من أصل تركي • ومن فروع الامامية : الأغوات ، والطنشات ، والبشابشة ، والجلامدة ، والعبيسات ، والشرفاء ، والعلاوية ، والعبيد •

( ) هي غير مدين شعيب •


شجرة المعايطة
أبوغوات
الطنشات
البشابشة
العبيسات
الجلامدة
الشرفاء
العبيد
العلاوية
الامامية
الرشيد
الجبراند
أولاد عيد
المساهرة
الطالب
الرشايدة
أولاد عياد
أولاد طلوه
السليم
الابراهيم
المادحة
المهادين
الأعجام
الزوايلة
القراية
القردم
الكفارات
الذنيبات
المعايطة
البيايضة

الدليل العام

للاعلام والمواضع والقبائل والامم

أ

ب

ت

ث

ج

ح

د

ذ

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

ق

ن

و

دليل الموضوعات العامة

المؤلف
في سطور

عاتق بن غيث بن زوير بن زائر بن حمود المرادي(١) البلادي •

ولد بخليص من ضواحي مكة المكرمة سنة ١٣٥٢هـ، وفي الثانية عشرة من عمره توفي والده ، فنزل مكة ودرس في مدارسها ، وحضر — لسنوات — حلقات التدريس في المسجد الحرام ، في اللغة والحديث وغيرهما •

وفي سنة ١٣٧٢ هـ التحق بالجيش العربي السعودي، وفي سنة ١٣٧٦هـ تخرج من مدرسة المشاة برتبة وكيل ضابط ، سافر على أثرها الى الاردن• تنقل في معظم مدن المملكة ، وحصل على عدد من الدورات،كانت تقديراته بدرجة (ممتاز)في أغلبها•

حصل على دبلوم في (فن الصحافة) من معهد دار عمان العالي ، بتاريخ ١٩٥٨/٩/١ م • وتخرج من معهد اللغات — قسم اللغة الانجليزية في ١٣٨٥/٢/٣ هـ وكان ترتيبه الخامس •

رقي الى رتبة مقدم في ١٣٩٤/٤/١ هـ • وفي ١٣٩٦/١/١ هـ نقلت خدماته الى سلاح الحدود • عمل رئيسا للمجلس التأديبي بسلاح الحدود بجدة•

كاتب ثابت في ثلاث مجلات سعودية : الجندي المسلم ، والعرب ، والمنهل • حرر صفحة البادية بجريدة البلاد مدة من الزمن •

كتب مقالات أخرى في كل من : مجلة اليمامة ، وجريدة البلاد ، وغيرهما • له مؤلفات عديدة •

(١) انظر المرادات والبلادفة في كتابي نسب حرب ومعجم قبائل الحجاز •

كتب للمؤلف

١ — الادب الشعبي في الحجاز : أول دراسة شاملة للادب الشعبي في الحجاز • مطبوع •

٢ — طرائف وأمثال شعبية(من الجزيرة العربية) صورة صادقة لمجالس بادية الجزيرة العربية• طبع للمرة الثانية •

٣ — نسب حرب : كتاب يتحدث عن قبيلة حرب (تاريخها ، وأنسابها ، وديارها) • مطبوع •

٤ — معجم معالم الحجاز : كتاب جغرافي أدبي تاريخي ، ضخم • يقع في عشرة أجزاء• تحت الطبع•

٥ — معجم قبائل الحجاز : كتاب يستقصي جميع القبائل والبطون التي سكنت الحجاز من فجر التاريخ الى يومنا هذا، فروعها، وتاريخها وديارها• يقع في ثلاثة أجزاء • تحت الطبع •

٦ — الرحلة النجدية : رحلة في أعماق نجد الواسعة ، تصف المدن والقرى النجدية والمسافات فيما بينها ، والقبائل والبطون ، والحركة الفكرية والادبية في الرياض • مطبوع •

٧ — في شمال الحجاز والاردن : معلومات مركزة عن جغرافية وتاريخ وقبائل المنطقة الواقعة بين المدينة وعمان •

٨ — في طريق الهجرة : رحلة في طريق هجرته صلى الله عليه وسلم، استقصاء للاماكن التاريخية، والسكان ، والحالة العامة في المدينة المنورة • معد للطبع •

٩ — الحان وأشجان : ديوان للمؤلف • مخطوط•

المراجع

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ الأدب الشعبي في الحجاز ـ للمؤلف
٣ ـ الاشتقاق لابن دريد .
٤ ـ أعمدة الحكمة السبعه للورنس
٥ ـ البيان والتبيين للجاحظ .
٦ ـ تاريخ شرقي الأردن لبيك .
٧ ـ تأريخ جبل نابلس لاحسان النمر .
٨ ـ الحرب العالمية الثانية /ج٣ .
٩ ـ الحسين بـن علي والثورة العربيةالكبرى لسليمان موسى .
١٠ ـ الحويطات /لعدنان عطار .
١١ ـ خمسة أعوام في شرقي الأردن لبولس سلمان .
١٢ ـ درر الفوائد المنظمةللجزيري .
١٣ ـ الدليل السياحي الأردني .
١٤ ـ في أرض مدين لفلبي .
١٥ ـ في شمال نجد لموزل .
١٦ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة .
١٧ ـ سبائك الذهب .
١٨ ـ السيرة النبوية لابن هشام .
١٩ ـ شعر الأحوص .
٢٠ ـ في شمال غرب الجزيرة لحمد الجاسر .
٢١ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد
٢٢ ـ فتوح الشام للواقدي .
٢٣ ـ فتوح البلدان للبلاذري .
٢٤ ـ القاموس المحيط للفيروزابادي
٢٥ ـ مجلة العرب للجاسر .
٢٦ ـ مذكرات الملك حسين .
٢٧ ـ مروج الذهب للمسعودي .
٢٨ ـ معجم البلدان لياقوت .
٢٩ ـ معجم قبائل الحجاز للمؤلف .
٣٠ ـ معجم قبائل العرب لرضـا كحالة .
٣١ ـ معجم ما استعجم للبكري .
٣٢ ـ معجم معالم الحجاز للمؤلف .
٣٣ ـ مقدمة ابن خلدون .
٣٤ ـ نهاية الأرب .
٣٥ ـ الرحلة الحجازية .
٣٦ ـ الرحلة اليمانية .
٣٧ ـ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ لحمد الجاسر .
٣٨ ـ الاكليل للهمداني ج١ .
٣٩ ـ أبو علي الهجري لحمد الجاسر
٤٠ ـ عشائر الشام لوصفي زكريا .